

کتابخانه مجلس شورای اسلامی

کتاب: ترجمه الامام فی محاسن الشام

مؤلف

موضوع

شماره قفسه



شماره ثبت کتاب

۶۵۸۹۵

کتابخانه مجلس شورای اسلامی	۲۲
	۲۹

زهة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقى

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور « وتاريخ » تبصرة اولى الابصار « و » سحر العيون «

وكم بالشام من شرف وفضل ومرتب لدى بر وبحر
بلاد بآرك الرحمن فيها فقدسها على علم وخبر
بها غرر القبايل من معدة وقحطان ومن سروات فهر
اناس يكرمون الجار حتى يجبر عليهم من كل وتر
أحمد بن محمد بن المدبر الكاتب

طبع على نفقة

المكتبة العربية - بغداد

لصاحبها : نعمان الاعظمى

وحقوق الطبع محفوظة له

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبها : محبة الدبة المطب وميلقاته فندون

القاهرة : ١٣٤١

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد فإن من الكتب اللطيفة التي عثرنا عليها من مخطوطات بغداد دار السلام هذا الكتاب المسمى :

نزهة الأنام ، في محاسن السام

وقد وجدناه من الكتب الجامعة بين لذة الأدب من منشوره الى منظومه ، وبين ملج التاريخ من خصوصه الى عمومه .
وفضلاً عما فيه من لذة وفائدة فإنه يصلح أن يكون نموذجاً صحيحاً لروح الأدب في القرن التاسع الهجري

ولما كانت غوطة دمشق - التي استوحى منها المؤلف موضوع كتابه - من أبدع مجالي الجمال الطبيعي في العالم ، بل ربما كانت البقعة المتمردة بجمالها في عصر المؤلف ؛ فإن ما انطوى عليه هذا الكتاب من الكلام عليها ، ووصف الشعراء والأدباء لأزهارها وأثمارها ، والاشارة الى ضواحيها ونواحيها ؛ لما يشوق الادياب الاطلاع عليه



(مقدمة الناشر)

٣

ان المدينة التي اختصها البدري بكتابه هذا هي اقدم مدينة ثبت عمرانها على وجه الدهر ، ونقل ياقوت في معجم البلدان قول ابني بكر الخوارزمي : جنان الدنيا أربعة ؛ غوطة دمشق ، وصغد سمرقند ، وشعب بوان ، وجزيرة الابله . قال : وقد رأيتها كلها ، وأفضلها دمشق

قال ياقوت : وجملة الأمر انه لم توصف الجنة بشيء إلا وفي دمشق مثله . ومن المحال ان يطلب بها شيء من جليل اعراض الانيا ودقيقها الا وهو فيها اوجد من جميع البلاد

ولاحظنا عند العزم على طباع الكتاب أن في النسخة البغدادية نقصاً فسمعنا لاستكمالها من النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية (رقم ٤٩٤ من كتب التاريخ) وعليهما اعتمدنا في نشره طالبين من الله تعالى العون والتوفيق

بغداد

نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية

أحمدته حمداً كثيراً حيث أصبح اللوز بامرّه على بعضهم
عاقده، وبعضهم أنقلها الحمل من الجوز فامست بارادته بعد
قيامها لتقاعد. وبعضهم من بالسقات النخيل من طرحت
بقدرته ثمرة الفؤاد. وأجرى لطفه في بعضهم حيث ارتخت
نهودها كالرمان هائلة بحضنهم في كل واد

وأشكره شكراً مزيداً مذكراً على طفل
الأمهات السفرجل فيرضعه وهو يشرب، وأسبل ستره على
من رقعت كفوفها كورق الكرم لما امتدت وعليها
الغيب زيب. ومنهم من عمها بالحيا فاحمر خدها كالتفاح،
ومنهم من نكست رأسها من الهيبة كالكمثرى فاكسبها
عرفا طوت شقق نشره أيدي الرياح

سبحانه أوجد بها اجناسا ذات انواع تسقى بماء واحد،
وجاد لعليلها من انواء السحاب وشعاع النيرين بصلة وعائد.
فجعل قطوفها دانية لأحبابه، وقدس أرضها اذ هي مرتع
ومربيع لاصفيائه. وحبها لسكنى الانبياء، واختارها
هو طناً لعباده الاولياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل الشام في وجه الارض شامة خضراء،
وزان عاطله بحالي عيون تروي قلب الصادي وتشرح له
صدرا. وأجرى ماءها الفضي على ثراء كالذهب، وحلى به
حصباء در لم يكن فيه منشاب. وأدار من الماء خلاخيل
على سوق أصول الاشجار، وقلد أجياد فروعها بيواقيت
اثمار توجت رءوسها بأكليل جواهر الازهار. وأرسل كف
النسيم بمشط المطر فسرح فروع رءوس عرائس الغصون،
وجالها بحال ذات الكلام من سندس أخضر ومعصفر
صبغة صنعة من ثم له ساجدون

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد تقي يرجو بها في غد التفكه في رياض الجنان مع مزيد
الانعام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اخترق
السبع الطباق بنور أضاءت منه قصور بصرى من أرض
الشام . ذو الشرف الاعلى السني الجبهة الواضح الجبين ، الذي
أنزل عليه « وآونياها الى ربوة ذات قرار ومعين »

الاهم فصل وسلم عليه ما دامت الشام عامرة بحديثه
الشريف الماحي لصور الكفر الواهية ، وعلى آله وأصحابه
الذين تعاونوا على البر والتقوى في فتحها فمنهم من أخذ
شطرها الشرقي عنوة ومنهم من اخذ الشطر الغربي صلحاً
من باب الجابية

وبعد فقد سألتني أيها الاخ الامجد ، والحبيب الاسعد .
العاشق في محاسن الشام على السماع ، والمتشوق المتوق
الى بديع مرآها المشنف ذكره للاسماع . أن اعلمك بخبرها
لعدم العيان ، وان اقربها اليك بوصف يلذه قلب المهام
الولهان . وهل أنا الا قسيمك في الشوق والهيام ، وحليفك

في الحب والغرام

وليس بتزويق اللسان وصوغه

ولكنه ما خالط اللحم والدم

غير اني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها ،
كأنني اذنبت في حالة القرب فادّبتني بهجرها وبعدها

عشنا زماناً وليس الوصل يقنعنا

واليوم أدنى خيال منك يرضينا

أي والله

وما قلت ايه بعدها لمحدث

من الناس الا قال قلبي آها

كيف لا وهو

بلد صحبت به الشبيبة والصبا

ولبست ثوب العز وهو جديد

فاذا تمثل في الضمير رأيت

وعليه أغصان الشباب تמיד

أستغفر الله هي مسقط رأسي ، وجمع أهلي وناسي .

وملعب خلاني واخواني

سقا الله شاماً كان فيها اجتماعنا

بأحبابنا النائين مغدودقا سكبنا

وروى ثراها من دموعي مسبل

كبجر فاني أستقل لها السحبنا

منازل أحبائي ومربح جيرتي

وأوطان اخواني ومن كان لي ترابا

لعمري لئن شط المزار وأصبحت

منازلهم شرقاً ومنزلنا غرباً

فاني على بُعد الديار وقربها

أسرُّ لهم حباً وأبدي لهم حباً

يهيج أشواقي من البرق لأمع

ويبعث اشجاني النسيم اذا هباً

ويذكرني ليالات وصل تصرّمت

حمام النوى نوحاً فأسعده ندباً

ليالي اعطيت البطالة حقها

ورحت بما يقضيه حكم الصبي صباً

اعاطي الهوى الصحب الكرام وبيننا

أحاديث آداب أرق من الصبها

عسى ما مضى من شملنا أن نعيد

ونصبح في أفق ونسي به شهباً

كيف اخفي ذلك ، وقد سبق في علم الله ما كان حمداً

وشكراً على حب الوطن ، فانه من الايمان

وما عن رضى كانت سليمى بديلة

بليلى ، ولكن للضرورات أحكام

نعم

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة

ولكن تفيض العين عند امتلائها

فأجبتك أيها السائل اذ هيجت عندي من الدموع

بحجار الاشتياق . وواسيتك أيها العاشق اذ أتيتك بخبر

المعشوق ولعل الخبر يكون وصله في التلاق ، وقد فصلته

لك في هذه الاوراق . وهو من جملة ما عندي ، وقدمت
لحضرتك السامية ثروة ما ملكه اللسان من جواهر
حفظها القلب في صندوق الصدر وأوردتها بخط يدي . وما
هي الا صباغة من صب ، وقطرة من جفن نازح حب
وما تناهيت في بئي محاسنها

الا وأكثر مما قلت ما أددع

لعامي أن محاسن (دمشق) كثيرة لا تستقصى ،
وأوصاف صفاتها تتضاعف أعدادها ولا تحصى . قصرت
عن استيفائها أرباب التواريخ المطولة الحسنة ، وحفيت
سوابق خول أقلامهم في ميادين الطروس أن يدركوا
حصر بعضها في مصنفاتهم المذونة . لكن بحمد الله جاءت
هذه النبذة حديقة يترنح بها الخاطر ، ويتنزه فيها الناظر *
ولهذا سميتها

﴿ نزهة الانام ﴾ في محاسن الشام ﴿

والله تعالى أسأل أن يعوضنا عن ضيق هذه الدنيا
الجافية ، بالدخول الى جناته الواسعة الرفيعة ، وان يتمتعنا

فيها بقا كبة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة . ان شاء الله
تعالى بكرمه ومنه وأمنه ويمنه

فمن محاسن الشام ماورد فيها من رواية ابي داود في
سننه عن عبد الله بن حوالة قال رسول الله ﷺ « انكم
ستجندون بعدي أجناداً ثلاثة جنداً الى اليمن . وجنداً الى
الشام . وجنداً الى العراق » قال عبد الله « خري يارسول
الله » قال « عليك بالشام . فانها خيرة الله في أرضه يجتبي
اليها خيرته من عباده . وان الله قد تكفل لي بالشام وأهله »
قال أبو ادريس الخولاني ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه
وقال رسول الله ﷺ « ستفتح عليكم الشام فعليكم
بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام ، وفسطاط
المسلمين بأرض منها يقال لها النوطة

وقال ابو هريرة رضي الله عنه : « أربع مدائن من
مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار . فأما مدائن
الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأما مدائن
النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء »

قال ابو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء اليمن وانما هي صنعاء بأرض الروم. وانطاكية المحترقة انما سميت بذلك لان العباس بن الوليد بن عبد الملك أحرقها. وهو من فضائل الشام للربيعي. وهو عند كعب الاحبار أيضاً من طريق آخر. انتهى والحديث المبدأ به رويناه من حديث أبي مسهر عبد الاعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة الازدي رضي الله عنه. قال شيخ الاسلام وأمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين احمد بن حجر رحمه الله تعالى وهو حديث حسن مسلسل بالدمشقيين وهو عن النبي ﷺ قال «انكم ستجندون أجناداً. جنداً بالشام. وجنداً بالعراق. وجنداً باليمن» قال الخوالي «خري يارسول الله» قال «عليكم بالشام فمن أبي فليأحق بيمنه ويسق من غدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله» فكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث التفت الى ابن عامر فقال «من تكفل الله تعالى به فلا ضيعة عليه» انتهى والله تعالى أعلم

ومن محاسن الشام هذا الحديث القدسي الذي ورد فيها عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال «انا نجد في كتاب الله تعالى يعني التوراة أن الارض على صفة النسر فالرأس الشام والجناح الايمن الغرب والجناح الأيسر الشرق وهو العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق. وخلفها من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى. والظهر السند وخلف السند الهند. وخلف الهند أمة يقال لها مستند وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى. والذنب اليمن فلا يزال الناس بخير ما لم يقرع الرأس فاذا قرع الرأس هلك الناس»

قال بعض الشراح والمؤرخين والمفسرين انما سميت الشام شاماً لان قوماً من بني كنعان نزلوها فقتلوا اليها فسميت شاماً لذلك

وقالت طائفة انما سميت شاماً لما تشاءم لها ^(١) أهل اليمن من يمنهم كما يقال تيامنوا وتياسروا فسميت بذلك

(١) كانت في الاصل «لما تشاءموا لها.. الخ»

وقال قوم انما سميت شاماً لأن بني اسرائيل قتلوا بني كنعان ونفوا ما بقي منهم فصارت لهم ، ثم وثب الروم على بني اسرائيل فقتلواهم وأجلوا من بقي عنها الى العراق الا قليلاً منهم ، ثم جاءت العرب فقتلت الروم وسببتهم وهرب من سلم منهم الى بلاد الروم ، واستمرت بيد أولاد العرب الى يومنا هذا

قال الجوهري يذكر ويؤنث ورجل شامي وشام على فعال وشامي أيضاً حكاه سيبويه رحمه الله تعالى عليه ولا تقل شأم وما جاء في ضرورة الشعر محمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد وامرأة شامية وشامية مخففة الياء

ونقلت من خط اللغوي أحمد بن مطرف من الجزء الثاني من كتابه المسمى بالترتيب في الاخبار والاعاجيب أن في الشام قولين أحدهما أنه يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشومى وهي اليد اليسرى واليمنى اختها فالشومى من الشوم واليمنى من اليمن . وقالت العرب :

فأنحنى على شومى يديه فذاها
باطلاً من فرع الذؤابة اسحماً
اطأً أفعل من الظما وشومى مقصور مهموز ويجوز أن
يكون فعلى من الشوم

ويجوز أن يكون فيه قول ثالث وهو أن يكون جمع شامة والشامة العلامة . يقال شامة وشام مثل حاجة وحاج . والرجل أشأم اذا كان ذا شامة وحقيقة الشامة أن تكون مخالفة للون سائر الجسم . قال الجاحظ وأطلقت الشامة على النكتة من أي لون كان في أي لون كان اضعافها . الا ترى قول رسول الله ﷺ لما نزلت « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم - الى قوله - ولسكن عذاب الله شديد » قال عمران بن الحصين انزلت هذه الآية وهو في سفر قال « أتدرون أي يوم ذلك » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال « ذلك يوم يقول الله لا دم ابعث بعث النار » قال « يارب وما بعث النار » قال « تسعمائة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة » فانشأ المسلمون يبيكون : فقال

رسول الله ﷺ «قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط
الا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ ذلك العدد من الجاهلية
فان تمت والا كملت من المنافقين. وما مثلكم ومثل الامم
الا كمثل الرقة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير»
ثم قال «اني لارجو أن تكونوا ربع اهل الجنة» فكبروا
ثم قال «اني لارجو أن تكونوا ثلث اهل الجنة» فكبروا
ثم قال «اني لارجو أن تكونوا نصف اهل الجنة»
فكبروا ثم قل ولا أدري قال الثلثين أم لا رواه الترمذي.
فانظر اليه ﷺ كيف اطلق الشامة وجعلها في جنب البعير.
والبعير قد يكون ازرق أو أحمر وغير ذلك. وما الغرض
الا النكتة القليلة من اي لون كانت في جنب البعير من أي
لون كان. الا تراهم يقولون أرض الشام والشام جمع شامة
وذهب بعضهم الى تسميته شاماً لشامات له يعني
اختلاف اراضيه في الوان ترابها وقد علمت أن بعض ترابه
أبيض وأسود وأحمر وأصفر وبعضها كدر. ويختلف
كل لون منها في ذاته بالاشدية والاضعفية اختلافاً كثيراً

فصح أن اطلاق الشامة هاهنا لكونها نكتة في الارض
اذ الشام بمجموعه لو كان لوناً واحداً لكان كالنكتة الخفيفة
الخفية في أديم الارض. ثم انهم تجاوزوا في استعمال الشامة
الى ان اطلقوها على غير اللون فأطلقوها على كل شيء قليل
في نوعه فقالوا: فلان في قومه شامة. اما لمزيتة عندهم
بالكرم أو بالحلم أو بالشجاعة أو بغير ذلك من الصفات
الحيدة. ومنه قول ابن الساعاتي:

لولا صدودك يا امامة مابت اندب عهد رامة
ابكي ليالي غبطة كانت خد الشام شامة
فتأمل كيف أطلق الشامة على لياليه التي قطعها بالشام لأنه
استلذ زمانها واستطاب أوقاتها من بين الليالي كلها. انتهى
ومن محاسن الشام ما يروى عن كعب الاحبار رضي
الله عنه أنه قال: ما بعث الله نبياً الا من الشام فان لم يكن
من الشام هاجر الى الشام. وبها رأس يحيى ابن نبي الله زكريا
عليهما السلام بين الاساطين^(١) من الجانب الشرقي

(١) كانت في الاصل «الاساطين»

بالجامع الاموي . قبله هود عليه السلام في الجدار القبلي
قبره . انتهى

ومن محاسن الشام بناؤها ودمشقتها

قال وهب بن منبه : دمشق بناها العازر غلام ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام وكان حبشياً وهبه له نمرود بن
كنعان

وقال أبو الحسن الرازي : رأيت في الكتاب الذي
سماه أبو عبيدة (كتاب فضائل الفرس) أن يوراسف الملك
بنى مدينة بابل ومدينة دمشق

وفي جزء الدمشقيين ما حكاه أبو الخير العراقي قال كان
في زمان معاوية بن أبي سفيان رجل صالح بدمشق وكان
يقصده الخضر عليه السلام في أوقات للزيارة فيبلغ ذلك
معاوية فجاء اليه وقال بلغني أن الخضر يأتيك فأحب أن تجمع
بيني وبينه فقال له نعم فلما جاء الخضر عليه السلام على العادة
قال له الرجل ان معاوية سأله الاجتماع به ^(١) فقال الخضر

(١) كانت في الاصل « بك »

عليه السلام لا سبيل الى ذلك قال معاوية قل له قد اجتمع
على أفضل الخلق وحدثه وجلس معه وهو سيد الأولين
والآخرين ^{عليه السلام} ولكن سله عن ابتداء (دمشق) كيف
كان قال الرجل فسأله قال صرت اليها فرأيت موضعها
بحراً تستجمع فيه المياه ثم غبت عنها خمسمائة عام ثم صرت
اليها فرأيتها قد ابتدء فيها بالبناء ونفر يسير بها

ونقل ابن عساكر رحمه الله تعالى في فتوحه قال :
وجدت بخط أبي الفرج الاصفهاني فيما ذكر انه نقله من
كتاب فيه اخبار الكعبة المشرفة وفضائلها واسماء المدن
والبلدان واخبارها ثم ذكر مولد ^(١) ابراهيم الخليل عليه
السلام على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمسين سنة من جملة
الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة وذلك بعد بنيان دمشق
بخمسين سنة . ونقل بعض المؤرخين بخمسين سنة . قلت
وهذا يناقض ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم

وقال صاحب عيون التواريخ ان الذي بناها غلام

(١) في الاصل « مولود »

(الاسكندر) اسمه (دمشقش) وقيل (دمشق)

وذلك لما رجع (الاسكندر) من المشرق ، وعمل
السد بين أهل خراسان وبين ياجوج وما جوج ، وسار
يريد المغرب ، فلما بلغ الشام وصعد على عقبة (دُمر)
نظر الى هذا المكان الذي فيه اليوم (دمشق) فوجده
واديًا يخرج منه نهر جار وغيضة أرز فلما رآها ذو القرنين
ورأى اجتماع الماء بواديها فأخذ الاسكندر لغلامه (دمشقش)
فأمره أن ينزل بها وكان أمينه على جميع ملكه فنزل هو
والاسكندر في موضع القرية المعروفة (بيلا) وهي من
غيضة الأرز على ثلاثة أميال . وأمره أن يحفر في ذلك
الموضع حفيرة فلما فعل ذلك أمر أن يرد بها التراب الذي
حفر منها فلما رد التراب اليها لم يملأها فقال للغلام ارحل
بنا فاني كنت نويت أن أأسس في هذا المكان مدينة
فبان لي ما يصلح أن يكون ههنا مدينة فانه ما يكفي
اهلها زرعها فلما رحل الاسكندر عنها وصار الى (البثنية)
و (حوران) وأشرف على تلك السعة ونظر الى أرضها

الجرء فأمر بتناوله من ذلك التراب فلما لمسه بيده أعجبه
ورأى لونه كالزعفران فأمر بالنزول هناك وان يحفر حفيرة
فلما حفرت أمر برد التراب فردوه ففضل منه ثلثه فقال
(الاسكندر) للغلام (دمشقش) ارجع الى الموضع الذي به
الأرز وانزل الوادي واقطع الاشجار التي على حافته وابنها
مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح أن يكون مدينة وهنا
يصلح أن يكون زرعها فانه يجزئها ويكون منه ميرتها .
يعنى المكان المسمى بحوران والبثنية . فرجع الغلام دمشق
الى الغيضة واختط بها المدينة وجعل لها ثلاثة ابواب الأول
(باب جيرون) والثاني (باب البريد) والثالث (باب الفراديس)
وهذا القدر هو المدينة فاذا غلقت هذه الثلاثة الأبواب فقد
اغلقت المدينة وتحصنت . وخارج الابواب مرعى ونبات
وأعشاب وما أشبه ذلك . وكان قد بنى له فيها كنيسة يعبد
الله تعالى [فيها] وهي الموضع الذي هو الآن الجامع
وقيل إن الذي بنى الكنيسة اليونان . وقيل بل
وسعوها ثم وكبروها على ما هي عليه اليوم من الجامع المعمور

بذكر الله تعالى

وسكنها (دمشق) واستمر بها الى أن مات فيها وبه
عرفت وسميت، غير ان طول الازمنة وتغير الاحوال
واختلاف الالسة حذفت شينته وسكنت قافه فقليل
(دمشق) وقيل انما اسمه دمشق وبه سميت

وقال الجوهري دمشق المراد به السرعة ويجمع على
دماشق ومنه قول الهذلي :

دماشق يعفقن عفق السعالى

خفاف التوالى طوال الجزور (١)

وناقة دمشق أي سريعة جدا ومثلها حَضَجَر ومنه
قول الزبيان «وصاحبي ذات هباب دمشق»

قال الجوهري و (دمشق) هي قصبة الشام . انتهى
وقال ابو مسهر عبد الأعلى راوي الحديث المتقدم
ان الذي بنى حصن (دمشق) هو الذى حول أبواب (بيت
المقدس) الى مسجد لها وجعله على مساحته

(١) لم نجد هذا في (الصحيح) وفيه الاسطر الثلاثة التالية

واليونان هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا علي
حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا (دمشق)
في طالع سعيد واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد
بين هذين الجبلين ، وصرفوا أنهاراً تجرى الى الاماكن
المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء في أبنية الدور بها وبنوا
هذا المعبد وكانوا يصاون الى القطب الشمالي فكانت محاريبه
تجاه الشمال وبابه يفتح الى جملة القبلة حيث الحراب اليوم
كما شاهدنا ذلك عياناً لما تقضوا بعض الحائط القبلي وهو
باب حسن مبنى بحجارة منحوتة عن يمينه ويساره بابان
صغيران بالنسبة اليه وكان غربى المعبد قصراً منيفاً جداً
تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد وشرقيه باب قصر
جيرون وهي «إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في
البلاد» انتهى

وقال بعض المؤرخين الذي بني (باب جيرون) (١)
سليمان عليه السلام بنته له الشياطين وكان الذى تكفل

(١) فى الاصل «الذي بباب جيرون»

بعمارتها اسمه (جيرون) فسمى به

وقال بعض المؤرخين بناه (عاد) وقيل بل ولده (سعد) كان له ولدان أحدهما اسمه (جيرون) والآخر (بريد) فبنى لهما هذين القصرين على أعمدة وفتح لكل قصر منهما بابا إلى المعبد فسمى كل واحد باسم صاحبه وهو أول من صنع المدينة وأحدث بها البناء وعمل لها الأبواب :

الأول (الباب الصغير) وهو الذي نزل عليه (يزيد بن أبي سفيان) في حصار المسلمين الروم ودخل منه . وسمى بذلك لأنه كان أصغر أبوابها حين بنيت . وقيل يسمى (باب الجاية الصغير) وهو في قبلة البلد

الثاني (باب كيسان) وهو من شرقيّه وينسب إلى (كيسان مولى معاوية) لنزوله عليه قلت وهو الآن مسدود ويليه الثالث وهو (باب شرقيّ) لأنه شرقيّ البلد وعليه نزل (خالد بن الوليد) رضي الله عنه ومنه دخل عنوة كما في التواريخ المطولة

ويليه الرابع وهو (باب توما) من شام البلد ينسب

إلى عظيم عن عظماء الروم وسمى باسمه وكان له عليه كنيسة ويليه الباب الخامس وهو المسمى (بباب الجنّيق) منسوب إلى رومي اسمه (الجنّيق) وبه تعرف (محلة الجنّيق) كانت خارج البلد تسمى (الفراديس) والفراديس بلغة الروم البساتين

ويليه السابع وهو (باب الجاية) منسوب إلى قرية الجاية) وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة انتهى . وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله كان باب الجاية ثلاثة أبواب الأوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران وكان الباب الشرقي بهذه الصفة لكونه مقابله وكان من الثلاثة الأبواب ثلاثة أسواق ممتدة من الباب الشرقي إلى باب الجاية

وكان الأوسط من الأسواق الثلاثة للمشاة من الناس ، وأحد السوقين [لمن] يشرّق بدابة والآخر لمن يغرب بدابة حتى لا يلتقي فيهما راكبان

والأبواب صورها على الكواكب فزحل على باب كيسان وعلى الباب الشرقي صورة الشمس وعلى باب توما

الزهرة وعلى باب الجنيق القمر^(١) وعلى باب الفراديس عطارذ وعلى باب الجابية المشتري وعلى الباب الصغير المريح^(٢)

وكان من حكماء اليونان من اتخذ على باب الجابية صورة انسان مطرق الرأس كالمثفـكر ومن أعماله أنه اذا دخل أحد يريد بدمشق سوءاً أو بأهلها فان ذلك الانسان يصـر لا يـنـتـه الباب فيعلم به خدمة الباب وقوامه . انتهى والمرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد افتتح لها باباً وسماه باب السلام^(٣) وأحدث باب الفرج وسماه بذلك لما وجد الناس به من الفرج

قال ابن عساكر وكان بقربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة فسد أثره باق الى يومنا هذا وأول (١) في ابن عساكر (١ : ١٦) وباب الفراديس الآخر المسدود للقمر

(٢) في ابن عساكر الباب الصغير للمشتري وباب الجابية للمريح

(٣) في الاصل « باب السلامة »

من بني القلعة اقسر ابن آوق ولما جدد الملك العادل أبو بكر بن أيوب القلعة أذهب باب العمارة . والله أعلم ويليه الباب الجديد وهو الآن خاص بالقلعة والذي أحدثه الأتراك في دولتهم ثم صحفته العوام بالحديد^(١) وهو يفتح الى القلعة يليه من الغرب باب السر سمي بذلك لكونه يفتح الى القلعة أيضاً وكانت الأتراك ينزلون منه سرّاً ويطلعون منه ويجوز الخارج منه على جسر من خشب من تحته الخندق الدائر بالقلعة ينيف عمقه على مائة ذراع بالعملة به يتخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة

واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولى نيابة دمشق أن يصلي عند هذا الباب ركعتين مستقبل القبلة بحيث يبقى الباب على يساره ويقف أجناد القلعة وأرباب الوظائف والأتراك في منازلهم على حسب العادة متحملين السلاح الى أن يفرغ من صلاته ودعائه فان أريد به شر (١) قال ابن عساكر (١ : ١٦) باب الحديد في سوق الاساكفة

قبض عليه ودخلوا به من ذلك الباب ويقفلون الجسر بينهم وبين أعوانه ، فإن الجسر بالوالب يحيل بينهم . وإن أريد به خير ركب في عزه ووجوه الدولة في خدمته إلى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين الشهيد . وهي التي تسمى اليوم بدار السعادة وهي تلي باب السرور وعلى بابها باب النصر فتحه الملك الناصر بن أيوب للمدينة وهذه الخمسة الأبواب الحادثة جميعها فيما بين بابي الجابية والفراديس إلا باب السلام وفي السور أبواب صغار تفتح عند الحاجة إليها غير ما ذكرنا وغالب هذه الأبواب القديمة بنى عليها منائر نور الدين الشهيد رحمه الله على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فإذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب يستغنى أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم وهو مقصد جميل . والله أعلم

ومن محاسن الشام افتتاحها على يد الصحابة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن عساكر لما فتح الله تعالى على المسلمين

الشام بكامله ومن جملة (دمشق) المحروسة بجميع أعمالها وأنزل الله عز وجل رحمته فيها وساق بره إليها كتب أمير المؤمنين ^(١) وهو إذ ذاك أبو عبيدة رضي الله عنه كتاب أمان وأقربا يدي النصاري أربع عشرة كنيسة وأخذ منهم نصف هذه الكنيسة وأخذ منهم التي كانوا يسمونها كنيسة مريخنا بحكم أن البلد فتحه خالد بن الوليد رضي الله عنه من الباب الشرقي بالسيف وأخذت النصاري الأمان من أبي عبيدة وهو على باب الجابية فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة فأخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة رضي الله عنه [مسجداً وكانت قد صارت إليه إمارة الشام فكان أول من صلى فيه أبو عبيدة رضي الله عنه] ^(٢) ثم الصحابة بعده في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن

(١) أي الأمير على من شهد هذا الفتح من المؤمنين

(٢) الموضوع بين هاتين الاشارتين [كان ناقصاً من النسخة البغدادية وأكمل من النسخة المصرية

الجدار مفتوحاً بمحراب مخي وانما كان المسلمون يصلون عند هذه البقعة المباركة

وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصيل الذي كان في جهة القبلة مكان المحراب الكبير الذي هو اليوم حسبما سلف لنا ذكره فينصرف النصارى الى جهة الغرب لكنيستهم ويأخذ المسلمون يمينه الى مسجدهم . ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربون بناقوس اجلالا للصحابة رضي الله عنهم ومهابة لهم وخوفا منهم

ولما ولي امارتها معاوية رضي الله عنه بنى دار الامارة وسماها ﴿ الدار الخضراء ﴾ وسكنها معاوية أربعين سنة والامر على ذلك . والله أعلم

ومن محاسن الشام ما ورد في فضل مسجدها . نقل عن بعض المفسرين في قوله تعالى « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين » عن قتاده أنه قال : لقد أقسم الله تعالى بأربعة مساجد فان التين هو مسجد دمشق

والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام والبلد الامين مكة المشرفة

وعن يزيد بن ميسرة قال : أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تعالى : طور زيتا ، وطور سيننا ، وطور تيماننا . قال فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سيننا طور موسى عليه السلام ، وطور تيماننا مسجد دمشق ، وطور تيماننا مكة المشرفة

وعن محمد بن شعيب قال : سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد دمشق . وأنهم قد أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد

وعن عمرو بن الدونس الغساني في تفسيره والتين قال : التين مسجد دمشق ، كان بستاناً لهود عليه السلام ، وفيه تين قديم

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : أوحى الله تبارك وتعالى الى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس . قال ففعل . فأوحى الله عز وجل اليه : اما

وقد فعلت فاني سأبني لي في حضنك بيتاً . قال الوليد بن مسلم في حضنك أي وسطك وهو المسجد أعني مسجد دمشق أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ولا تذهب الايام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك . قل فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع

ويقال ان أول من بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام ، وكان هود قبل ابراهيم الخليل عليهما السلام بمدة طويلة

وقد جاء في الاخبار ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاتل شمالي دمشق عند (برزة) قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند قرية برزة وبه سميت عند بروزه على أعدائه وبها متعبده بسفح الجبل ينسب اليه . وكانت دمشق عامرة إذ ذاك

وعن مسلم بن الوليد قال لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر منقوش فأتوا به الوليد فلم يجد من يحسن قراءته

فدلوه على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فقرأه وهب فاذا فيه موعظة^(١) وفي آخرها كتب في زمن سليمان بن داود عليهما السلام . والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام بناء معبدها . قال ابن عساكر : لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك عزم على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها الى ما بأيدي المسلمين وجعل الجميع مسجداً واحداً وذلك لتأذي المسلمين بسماع قراءة النصارى في الانجيل ورفع أصواتهم في الصلاة فاحب أن يبعدهم عن المسلمين فطلب النصارى وسألهم أن يخرجوا عن بقية الكنيسة ويعرضهم لقطعاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقر لهم اربع كنائس لم تدخل في العهد وهي كنيسة مريم وكنيسة المصلبة وكلاهما داخل الباب الشرقي وكنيسة تل الجبل وكنيسة حميد بن درة^(٢) التي بدرب الصيقل

(١) هذه الموعظة في تاريخ ابن عساكر (١ : ١٩٧)

(٢) قال ابن عساكر (١ : ٢٤٢) : هو حميد بن عمرو بن

فأبوا ذلك أشد الإباء فقال ائتونا بعهدكم الذي بأيديكم في زمن الصحابة فقريء بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التي كانت خارج باب توما لم تدخل في العهد وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريخنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجداً فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى بأن يأخذ بقية كنيسة مريخنا فاقهرهم على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية الكنيسة

ثم أمر الوليد بالهدم فجاءت اساقفة النصارى وقساوستهم وقد ندموا فقالوا يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يحن فقال أنا أحب أن اجن في الله والله لا يهدم فيها أحد قبلي ثم صعد المنارة الغربية وكانت صومعة عظيمة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأبى الراهب فأخذ بقفاه وحدّره منها ثم وقف على أعلى مكان

مساحق القرشي العامري ، رأمه (درة) بنت أبي هاشم خال معاوية بن أبي سفيان ، وهو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة . وكان لدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه

منها فوق المذبح الا كبر الذي يسمونه الشاهد وأخذ فأساً وضرب أعلى حجر فلقاه فتبادر الامراء والاجناد الى الهدم بالتكبير واتهلل والنصارى تصرخ بالعويل على درج باب البريد وجيرون وقد اجتمعوا فامر الوليد صاحب الشرط أن يضرهم وهدم المسامون جميع ما كان من آثارهم من المذابح والابنية والحنايا حتى بقى صرحه مربعة

ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة التي لم يشهد مثلها من قبلها ولا من بعدها

واستعمل الوليد في هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والمرخين . وكان المستحث على عمارته أخوه سليمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعاً في الرخام والاحجار وغير ذلك ليعمروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعده إن لم يفعل ليغزوا بلاده بالجيوش وليخرن كل كنيسة في بلاده حتى القيامة التي بالقدس الشريف ويهدم كنيسة الرها وجميع آثار الروم . فبعث ملك الروم صناعاً كثيرة جداً وكتب

اليه يقول له ان كان ابوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه
لوصمة عليك وان لم يفهمه وفهمته انت فانه لوصمة عليه .
فاراد ان يكتب اليه الجواب واذا بالفرزدق الشاعر دخل
عليه فاخبره بما كتبه ملك الروم فقال يا امير المؤمنين انت
جعلت اخاك سليمان هو القائم بأمر العمارة والجواب
بنص القرآن « ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً »
فأعجب ذلك الوليد وارسل به جواباً لملك الروم

ولما اراد الوليد ان يبني القبة التي في وسط الرواقات
التي يقال لها قبة النسر (قلت وهو اسم حادث على ما ظن
كان العوام شبهوها بالنسر في شكله لأن الرواقات
عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها) حفر لأركانها حتى
وصل الى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ثم وضعوا فيه
جراز الكرم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت الاركان
عقدوا عليها القبة فسقطت . فقال الوليد وقد أعياه أمرها
لبعض المهندسين اريد أن تبني لي أنت هذه القبة . فقال
علي أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبني فيها أحد غيري

وان لا يعارضني فيما أرومه . ففعل ذلك . وبنى الاركان ثم
سترها بالبواري والحصر واختفى سنة لا يعلم الوليد أين
ذهب ولا يستطيع أن يدع أحداً يتمها . فلما كان بعد العام
حضر على الوليد فقال له : كيف حتى عطلت البناء . قال لا امر
خفي على أمير المؤمنين وعلى البنائين ثم قال يا أمير المؤمنين
احضر معي حتى أوقفك على ذلك فلما حضر الوليد وكشف
الحصر والبواري عن الاركان فاذا هي هبطت بعد ارتفاعها
حتى ساوت الارض . فأعجب الوليد و [رجال] الدولة
وخلع عليه . ثم أكمل بناءها وعقدها على الهيئة المعلومة الآن
وأراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص
ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له بعض المعامير : انك لا تقدر
على ذلك . فغضب به خمسين سوطاً وقال له ويلك أنا أعجز عن
ذلك . فقال له المهندس الذي بناها : صدق يا أمير المؤمنين
وأنا أوضحه لك . فأمر أن يسبك له لبنه على القدر الذي
يطلبه . فلما أحضرها قال أمير المؤمنين : احسبوا القدر
الذي دخل فيها . فوجدوه عدة من الالوف فقال : يا أمير

المؤمنين اريد مثل هذه كذا وكذا الف لبننة فان كان
عندك ما يكفي عملناه . فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق
المضروب ورسم له بخمسين ديناراً واعتذر اليه
ولما سقف الوليد الجامع جعلوا أسقفه جملونات وباطنها
مسطحاً مقر نصاً بالذهب . فقال له بعض أهله : أتعبت
الناس بعدك بتبليس سطح هذا الجامع في كل عام . فأمر
الوليد أن يجمع ما في بلده وباقي معاملته من الرصاص ليحمله
عوض الطين ويكون أخف على السقف ، فجمع ذلك . فلم
يكفه . ثم بلغ الوليد ان امرأة عندها من الرصاص
القناطير القنطرة ورثته من ابها ، فساوموها في بيعه
فأبت وقالت : لا ابيعه الا بثقله فضة . فقال لهم : نشتره
لحاجتنا بزنته فضة . فلما اخبروها ان امير المؤمنين سمح
لك بزنة ما قلت . قالت : حيث كان صادقاً في حب الله فانا
احب ان يكون لي في هذا الجامع شيء في حب الله خذوه
باجعه ، فكفاه وفضل . وذكر بعض المؤرخين ان هذه
المرأة كانت اسرائيلية

وقال ابن عساكر اشترى الوليد هذين العمودين تحت
قبة النسر من خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار
قال وكان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم
واشترى لوحين [من] رخام فستقي من الاسكندرية
بمائة اشرفي ونقلهما ووضعهما على محل الغار التي فيها رأس
يحيى بن زكريا عليهما السلام . وقيل انهما كانا في عرش
بلقيس مع الستة الشبايك التي في مشهد المؤمنين على الباب
والمشهد الذي تجاهه

وعن يزيد بن واقد قال وكفى الوليد على العمال في بناء
الجامع فوجدنا فيه مغارة فعرّفنا الوليد . فلما كان الليل
وافى وبين يديه الشمع فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة
اذرع في ثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا
فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا . فأمر الوليد
بردّه الى مكانه وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه معينا بين
الاعمدة . فجعلوا عليه عموداً مسطوا الرأس
وذكر بعض المؤرخين ان ارض الجامع كانت مفروشة

بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفُسَيْفَسَاء. وان الرخام كان في جدرانه سبع وزرات. ومن فوقه صفات البلاد والقرى وما فيهما من العجائب. وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب. ثم فرق البلاد يمينا وشمالا وما بينهما من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك. وجعل سلاسل المصاييح من نحاس محلى بالذهب. ورتب له من الشموع ما يوقد منه في اماكن مختصة. واصطنع في صحنه صفة مجامر على اعمدة برسم البخور ووكّل بذلك خدمة لا يفترقون ليلا ولا نهارا حتى كان يُشتم روائح البخور من مسيرة فرسخين وسبك له سرجا من نحاس كل سراج يوضع فيه قنطار زيت وجعل على كل باب سراجا. وجعل في محراب الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حجر بلور، وقيل بل درّة لا قيمة لها وكانت اذا طفئت المصاييح يقوم نورها مكانها وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يُسيرها اليه فاختملسها وسيرها اليه، وقيل انه لما رآها امر بردها. وقال اخاف ابن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها

برنية من زجاج وقد رأيتها، ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيء.

وبني الوليد المنارة التي يقال لها (العروس) وجعل عدّة من المصاييح توقد عليها في كل ليلة ورتب لها ثلاث نوب كل نوبة اربعون مؤذنا وهي باقية الى يومنا هذا. واما (الغربية) و (الشرقية) فهما على ما كانتا عليه من غير عمل ادوار ودرازين، وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب النواقيس والرصد. وقال بعض المؤرخين ان الشرقية احترقت في سنة اربعين وسبع مائة فنقضت وجددت من اموال النصارى لكونهم اتهموا بحرقها واقر بعضهم بذلك فقامت على احسن الاشكال. وقال بعض العلماء في المنارة الشرقية البيضاء التي ينزل عليها عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سميان والله اعلم

ويقال انه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة

فهدمهما الوليد ، وجعل من بعض آتھما قبتان على اعمدة في صحن الجامع ، وجعل فيهما خلوتان من فوق الاعمدة واودع بهما كتب اوقاف هذا الجامع ومصاريفه ، ويقفل عليهما بالاقفال الحديد المانعة (١)

وكانت فيه طلسمات اصطنعتها اليونان لعدم دخول الحشرات كالحية والعقرب والخنفس والعناكب وغير ذلك من الطيور كالحمام والعصافير والوطايط وما اشبه ذلك . قال ابن عساكر : وذهب بعض طلسماته . قالت : بل كلها

(١) توجد الى الآن في الشمال الغربي من صحن المسجد قبة على اعمدة فتحت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد بطلب من الحكومة الألمانية بناء على اقتراح بعض مستشرقيه . وكان من العلماء الذين حضروا فتحها باسم الحكومة العثمانية شيخنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، فوجد فيها بعض الصكوك والوقفيات والمصاحف وامثال ذلك من المكتوبات القديمة . أما الشمال الشرقي من صحن المسجد ففيه الآن قبة الساعات وهي على جدران لاعلى اعمدة

بسبب الحزن التي توالى وتعددت على دمشق آخرها محنة تمرلنك

وقال عمرو بن مہاجر الانصاري رحمه الله : ضبط الكتاب ما انفق على الكوة التي في قبة المسجد فكانت سبعين الف دينار . وقال ابو قصي : انفق في عمارة مسجد دمشق خمسة آلاف الف دينار وستمائة الف دينار . فلما بلغ امير المؤمنين الوليد ان عمرو بن مہاجر والناس قالوا « أنفذ الوليد بيت مال المسلمين في غير حقه وكان يعمر هذا الجامع ببعض ذلك » جمع الناس ، ونودي بالصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وحمد الله واثنى عليه فقال « يا ايها الناس ، قد بلغني عنكم أنكم قلتم بأنني انفقت بيت مال المسلمين في غير موضعه بغير حق » فأطرقت الناس ثم قال « يا عمرو - يعني ابن مہاجر - قم فأحضر اموال بيت المال » فحمل على البغال . وبسطت الأنطاع تحت القبة وصب عليها المال ذهباً وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر وجيء بالقبانين ووزنت فاذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة

وفي رواية سبع سنين مستقبلة لو لم يدخل الناس شيء
بالكلية ففرح الناس وهللوا وكبروا وحمدوا الله وأثنوا على
أمير المؤمنين ودعوا له وشكروه على ذلك . ثم قال الوليد
« يا أهل دمشق انكم تفخرون على الناس بأربع : بهوائكم
ومائكم ، وفا كهتكم ، وحماماتكم ؛ فاحببت أن أزيدكم خامسة
وهي هذا المعبد » فحمدوا الله تعالى وانصرفوا شاكرين
له . انتهى

ومن محاسن الشام ما وصف جامعها به بدر الدين حسن
ابن حبيب الحلبي في كتاب سماه (تشنيف المسامع في وصف
الجامع) قال : وأما دمشق فإنها في وجنة الدنيا كالشامة ،
وزينة البلاد كريش الطاوس أو طوق الحمامة . وفي دائرة
الاقطار كالنقطة المعلمة ، وفي جيش الامصار كالملك الذي
ينطق بالحكمة . وفي قلادة الاقليم كالواسطة ، وفي سماء
الحلل كالشمس التي بدت أشعتها في الوجوه باسطة . وهي
الربوة المباركة . والغوطة التي جلت عن المائلة والمشاركة .

والمعدودة من جملة مدائن الجنة ، والمأهولة بالأهلة من أرباب
الكتاب والسنة . والمعروفة بإرم ذات العماد ، والموصوفة
بلم يخلق مثلها في البلاد . وأما جامعها ففيه أقول :

يا جامعاً في دمشق في حسنه قد تفرّد
لم تطرب الناس طراً ألا لأنك معبد^(١)
وقلت أيضاً :

معبد الشام يجمع الناس طراً
واليه شوقاً تميل النفوس

كيف لا يجمع الوري وهويته
فيه تجلى على الدوام العروس^(٢)
وقالت :

ياراغبا في غير جامع (جَلَى)
هل يستوي المنوع والمنوح

(١) فيه تورية باسم (معبد) الموسيقى العربي الشهير

(٢) فيه تورية باسم (منارة العروس) التي مر ذكرها

اقصر عنك وفي غلوك لا تزد

إن الزيادة بابها مفتوح (١)

قلت : وهذا الباب المفتوح في بيت ابن حبيب سرقه
عن بيتي الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة لكن ركبته في
محلّه أحسن تركيب وهما :

أرى الحسن مجموعا بجامع (خلق)

وفي صدره معنى الملاحاة مشروح

فإن يتغالى في الجوامع معشر

فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ونقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدي

قوله فيه :

تقول (دمشق) اذ تفاخر غيرها

بمعبدها الزاهي البديع المشيد

جرى لتناهي حسنه كل معبد

وما قصبات السبق الا لمعبد

(١) فيه تورية باسم (باب الزيادة) الذي مر ذكره

والاصل في ذلك قول الشيخ برهان الدين القيراطي
رحمه الله :

سقى بدمشق الغيث جامع نسكها

وروضاً به غنى الحمام المغرد

إذا ما زهى في العين من ذاك معبد

لذكر حلا في السمع من ذاك معبد

ومن معانيه البديعة قوله فيه :

الجامع الأموي اضحى حسنه

حسناً عليه في البرية أجمعا

حلوه اذ حلوه فانظر صحنه

تلقاه أصبح للحلاوة مجما

ومن تحريره البديع قوله فيه :

(دمشق) في الحسن لها منصب

عال وذكر في الوري شائع

نفل من قاس بها غيرها

وقل له ذا الجامع المانع

ومن محاسنه قوله في الساعات رحمه الله تعالى :
 في الجامع الأموي الحسن مجتمع
 وبابه فيه للأحداق لذات
 دقائق الحسن يحويها له درج
 فخبذا منه بالساعات ساعات
 وخبذا معبدكم أطربت اذننا
 فيه من الذكر نغامت وأصوات
 جلا العروس على الراي فطلعتها
 نزفها من بدور التم طارات
 ومن لطائفه قوله فيه وفي (النسر) تغمد الله برحمته :
 يقول لنا نسر بجامع (خلق)
 أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
 وقد أطرب الاسماع مطرب جنكها
 وغنى به من لا يغنى مغردا

ومن محاسن الشام ما وصفها [به] الشيخ بدر الدين
 محمد الدميامي الاسكندر المالكى قال: « فتاملها المملوك

فاذا هي جنة ذات ربوة قرار ومعين ، وبلدة تبعث محاسنها
 الفكر على حسن الوصف وتعين . وحسبها بالجامع الفارق
 بينها وبين سواها ، والانهار التي اذا ذكرت قبل المحل
 فمأجراها ، واذا سمع حديث الخصب فمأرواها . وما أقول
 ومتنزهات مصر عارية عن المحاسن وهذه ذات الكسوة^(١) ،
 وان النيل ما احترق^(٢) إلا من الأسف حيث لم يسعده
 الدهر بالصعود الى تلك الربوة . وما أظنه احرر إلا خجلاً
 من صفاء أنهارها ، ولا ناله الكسر الا لتألمه بالانقطاع
 عن الوصول الى سقي أزهارها . نلو رأى العاشق جبهتها
 لسلا بمصر معشوقه ، ونسبي ظهور جوانبه المنحنية بقامات
 غصونه المشوقة . ولو تطاولت الجنونة الى المفاخرة
 لتأخرت الى خلفها مستحيية ، وأحجمت عن الاقدام حين
 تحركت لها بدمشق السائلة . وحق لمصر ألا يجري حديث

(١) فيه تورية بقرية (الكسوة) وهي ضاحية جنوبى دمشق ،
 سميت باسم كسوة المحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة
 كل عام (٢) فيه اشارة الى (تحاريق النيل) ايام انخفاضه

المفاخرة في وهما، وأن تتقي شر المنازعة قبل أن تصاب
من هذه البلدة بسهمها . فسقى الله متزهاتها التي طرب
المملوك برؤية جنكها ولطالما اهتزت له المعاطف على
السماع ، ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فالتقد على
حلاوة شكره الاجماع »

وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي :

ما فيه إلا جوسق أوروقة

أو جدول أو بلبل أو ربرب

وكان ذاك النهر فيه معصم

بيد النسيم منقش ومكتب

واذا تكسر مأوه أبصرته

في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت

بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تنشد والنسيم بها فكم

اضحى له من يميننا متطلب

ولكم طربت على السماع بجنكها

وغدا بربوتها اللسان يشبب

ففى أزور معالمها ابوابها

بسماعها كتب الكرام تبوب

ومن محاسن الشام ما وصف جامها به العلامة اليعقوبي

قال « مدينة دمشق جليلة قديمة . وهي مدينة الشام ، في

الجاهلية وفي الاسلام . وليس لها نظير في جميع بلاد الشام

في انهارها ومبانيها وكثرة عمارتها . افتتحت في خلافة

عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة اربع عشرة وبانيها اسمه

دمشق بن عمرو بن كنعان . وقيل دمشق بن قاني بن مالك

ابن أرخشيد بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل سعد بن

عاد ، وبني فيها قصرين لولديه بريد وجيرون ، ولما بنى

دمشق سماها إرم وعلى هذا نقلت الاخبار ان ارم ذات

العماد هي دمشق ، يقال انه كان فيها اربعمائة الف عمود .

واما جامعها فليس في مدائن الاسلام احسن منه ، بناه

الوليد في خلافته بالرغام والذهب سنة ثمان وثمانين ، فرش

بالرخام الابيض الختم بالارزق ، وسقفه لاختشب فيه ،
 مذهب كله من اعلاه الى اسفله ، وبه ثلاثة منابر انتهى
 ومن محاسن الشام وصف الاستاذ ابن جبير لجامعها .
 نقلت من خط الشريشي قال : أملى علي شيخنا ابن جبير في
 وصف جامع دمشق ما صورته قال « الجامع الاموي من
 اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء ، وغرابة صنعة ،
 واحتفال تنميق وتزيين . ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه
 عنكبوت ، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف
 ووجه الوليد الى ملك الروم بالقسطنطينية فامر باشخاص
 اثني عشر الف صانع من جميع بلاده وتقدم اليه بالوعيد في
 ذلك ان توقف . فامثل امره مدعنا فشرع في بنائه وبلغت
 الغاية في التأنيق فيه [وانزلت جدره كلها] بالفصوص الملونة
 المذهبة المعروفة بالفسيفساء ومثلت به الاشجار مفرعة
 الاغصان بانواع الازهار ، فجاء يغشى العيون وميضاً
 وبصيصاً
 وبلغت النفقة عليه احد عشر الف الف دينار

ومائتي الف دينار
 وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلها
 صالح النصارى بان اخذ نصف الكنيسة الشرقي فصيره
 مسجداً وبقي النصف الغربي للنصارى فاخذوا الوليد وادخله
 في الجامع بعد ان ارغبهم في التعويض عنه فأبوا فاخذوا
 قسراً . وكانوا يزعمون ان من يهدم كنيسة يحن ، فبادر
 الوليد وقال أنا أول من يحن في حب الله وبدأ الهدم بيده
 فبادر المسلمون للهدم ثم ارضاهم عمر بن عبد العزيز في
 خلافته عن الكنيسة بمال عظيم
 وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مائتا خطوة
 وهي ثلاثمائة ذراع وذراع في السعة من القبلة الى الشمال مائة
 وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وتكسيره من
 المرجع الغربي اربعة وعشرون مرجعاً وهو تكسير مسجد
 النبي ﷺ غير ان طوله في مسجد رسول الله ﷺ من
 القبلة [الى الشمال] . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة
 من الشرق الى الغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة

خطوة [والخطوة] ذراع ونصف وقامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها [اربع وخمسون سارية و] ثمانية ارجل واربعة [ارجل مرخمة ابدع ترخيم ، مرصعة بقصوص من الرخام ملونة ، قد نظمت خواتيم وصورت] يتخللها اثنتان مرخمة ملصقة في الجدار الذي يلي الصحن واربعة محاريب واشكال غريبة قامت في البلاط الأوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهات سعته عشر خطوات عدد قوائمه سبع وأربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سواد

وسقف الجامع كله من خارج ألواح من رصاص واعظمها ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب هي قائمة في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم وهو غارب لها ^(١) يتصل من المحراب الى الصحن والقبة

(١) كانت في الاصل « وهو عمودها » فصححناها من رحلة ابن جبير ومنها أخذنا الزيادات التي أدخلناها في هذه القطعة بين هاتين الاشارتين []

قد اقيمت في الهواء فاذا استقبلتها أبصرت مرأى عظيماً هائلاً

ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو وعدد شمسيتها الزجاجية الملونة المذهبة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي وتتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة بعض صورها

ومحاربه من أعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغبابة صنعة يتقد ذهباً كله قد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجدار تحفها اسبورة مفتولات قبلي الاجدرة كأنها مخروطة بعضها احمر كأنها مرجان ولم ير شيء أجمل منها

وفيه ثلاث مقاصير : مقصورة معاوية رضي الله عنه وهي مقصورة وضعت في الاسلام طولها اربعة وأربعون شبراً وعرضها نصف الطول . ويلها جهة الغرب المقصورة

التي احدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر . والثالثة
بالجانب الغربي تجتمع السادة الخنفية فيها للتدريس
وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب
شمالي يعرف بباب الناطفين وباب غربي يعرف بباب البريد
وباب شرقي يعرف بباب جيرون وهو أعظمها . وله وللغربي
[وللشمالي أيضاً] دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى
باب عظيم كانت كلها مداخل الى الكنيسة فيقيت على
حالتها

وفي صحنه من عجائب الابنية والقباب والصوامع
الثلاث والمياه المدبرة ما يحير العقول وتكلّ عنده الافهام
وهذا الصحن من أجل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل
البلد [هو] متفرجهم كل عشية تراهم فيه ذاهبين راجعين
من باب البريد الى باب جيرون لا يزالون على هذا الحال
الى انقضاء العشاء الآخرة منهم من يتحدث مع صاحبه
ومنهم من يقرأ . فهذا دأبهم بالعمشي والغداة ، والاحفل
بالعمشي . وأهل البطالة يسمونهم الحرائين »

وما أحسن قول الشاب الظريف محمد بن العفيف
في غلام يمشي في صحن الجامع :

تمشي بصحن الجامع الشادن الذي
على قده أغصان بان النقي تثني
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة

الافانظروا هذي الخلاوة في الصحن

وقال ابن جبير « وللجامع الاموي اربع سقايات في
كل جهة

سقاية باب جيرون ، وباب جيرون مفروش بالبلاط
الطويل العريض وهو خمسة ابواب مقوسة لها ستة أعمدة .
وفي جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين
رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة . وبازائه مسجد
صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . قد انتظمت
أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق
العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف
دونه سموأ قد حفته أعمدة كالجدوع طولا وكالاطواد

ضخامة . وبجانب هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت . وفي وسط الدهليز حوض بانوب صفر يزجج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علواً فيخرج عنها كقضبان اللجين وكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها ابداع من أن يوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبيرة مستديرة فيها طيقان من صفر وقد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمتين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقيتين ^(١) الى الطاستين ويقذفانها بسرعة

(١) كانت في الاصل « بالصيحتين » المحرفة عن « الصنجتين »

وتدبير عجيب تتخيله الاذهان سحراً فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب اللجين بلوح صفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاولى

ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة شمعة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعها وهي التي تسمى الميقاتية ^(١) «

فصحنها من رحلة ابن جبير . وفيما نقل هنا عن ابن جبير اختصار وتلخيص في مواضع كثيرة

(١) في رحلة ابن جبير « وهي التي يسميها الناس المنجاة »

انتهى كلام ابن جبير والله أعلم
ومن محاسن الشام قلعتها وحسن بنائها واتساعها فانها
قدر مدينة . وبها ضريح السيد الجليل ابي الدرداء رضي الله
عنه . وبها جامع وخطبة كالمدينة فانها بفرد خطبة لا غير
وخارج المدينة الخطب الكثيرة يعسر الآن علينا تعدادها .
وبها حمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع . وبها دار
الضرب التي تضرب فيها النقود . وبها الدور والحواصل
وبها الطارمة التي ليس على وجه الأرض أحسن منها كأنها
افرغت بقال من شمع ينظر الرأي اعلاها فيحسن نظره
وان ظال مرآه

وهي تسامت دءوس الجبال . يقال ان تمرلنك لما ان
حاصرها وعجز عنها امر أن ينقب تحتها وتقطع الاشجار
وتعلق بها حتى اذا انتهى تعليقها اطلق النار فيما تحتها من
الاخشاب وظن انها تفسخ بذلك وتسقط شذر مذر
فيمبلغ مراده من أخذ القلعة . فلما عمت النار فيما تحتها بركت
بصوت أزعج الوجود كما يبرك الاسد فن ثم سموها

بالاسد المبارك وهي الآن على الثلاثين من علوها
وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع
الحصار وقطع عنهم الماء تقوم الآبار مقامه
وبها يمر نهر بانياس وينقسم فيها قسمين يستمر
احدهما على حاله طاهراً للمنافع والاستعمال والاخر تنسحب
عليه الاوساخ والقاذورات وهو المسمى بقليط يمر تحت
الارض بنحو من قامتين لتسحب الماء الطاهر فوقه عينا
وشمالا ، حتى في بعض الاراضي يبلغ سبعة مجار من الماء
العذب ليس لاحدها اختلاط بالآخر

ومصارفهم تسقط على نهر قليط ويمر في المدينة الى أن
يخرج من الباب الصغير ويتصل بحلة المراز فيضمحل
فيما يليها من الاراضي التي تزرع الكرسنة والفصة والبيقية
والقنب وما أشبه ذلك . وغالب ما يسقى به القنب وهو
أبيض أملس كالرماح في الطول مجوف لا عقد به يصب الماء
من رأس الواحدة فيجري من آخرها وقشره يعمل منه
الخيوط والحبال وتورد بالقنب النار وهو يقوم مقام

الشعشاع والطرفاء لكنه ألطف منهما وأسرع وقيداً .
كما أن الشيخ أحسن من الحلفاء بعرفه الذي أخضر
وناشفاً . ويقال ان القنب هذا يعمل من ورقه الحشيش
إذا اضيف اليه الورق البري . وقد ذكرنا ذلك مفصلاً
في كتابنا (راحة الارواح ، في الحشيش والراح)
فليراجع . انتهى

ومن محاسن الشام تحت قلعها فانها منهل للغريب ومرتع
للغريب وهي ساحة سماوية كبركة الرطلي^(١) في الوسع
لاجماع البرية تحفها الدور وتعلوها القصور ويلحقها كل ما
يرومه الانسان وتشتهيه الشفة والاسان لا يحتاج فيها
سكانها حاجة من المدينة ولا لجيرانها . فيها دار البطيخ
الذي يباع فيه جميع فواكه البلد . وبه العين المشهورة بالجمع
على برودة مائها وعذوبته وخفته . وتحت القلعة سوق
للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط . أحدهما للرجال
والآخر للنساء . وبها سوق للفرا والعبي وغير ذلك . وبها

(١) بركة الرطلي حي من أحياء القاهرة

سوق السقطيين وسوق النحاس وبها سوق السكاكينيين
وبها سوق القرييين وبه للارميين^(١) وبها سوق قماش الخيل
والبنال والبهائم والاعنام وبها سوق القشاشين وبها سوق
المدهون والخضريين . وبها سوق المحاريين والنجارين
والخراطين . وبها سوق النقليين وبها دار الخضر وبها سوق
المناخلين والزجاجين

واما ساحة تحت القلعة فانك لا تستطيع أن ترى
ارضها لكثرة ما به من المتعشين والوظائفية . ويتخلل
بينهم أرباب الخلق والفالاتية والمضحكون وأصحاب
الملاعيب والحكوية والمسامرون [و] كل ما يتلذذ به
السمع ويسر العين وتشتهيه النفس صباحاً ومساءً على هذا
لا يفترون ، لكن المساء أكثر اجتماعاً ويستمرون الى
طلوع الثلثين . وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة بأعلى
القلعة يضربون الثالث الاول كل واحد منهم ضربة والثالث
الثاني من الليل يضرب كل واحد ضربتين والثالث الآخر

(١) كذا الاصل

من الليل يطلع المؤذن على منارة العروس بالجامع الاموي ويعلق لهم قنديل الاشارة فيضرب كل واحد منهم ثلاث ضربات ويسوق الثلثين من التسبيح والأذان الاول الى السلام ينتهي الضرب

وبها خطبتان الاولى بآخرها بالمدرسة المؤيدية .
والثانية بصدرها في جامع يابغا . وهو من أحسن الجوامع ترتيباً ومتنزهاً ، يصحبه بركة ماء مربعة داخلها فسقية مستديرة بها نوفرة يصعد عنها للماء قامة ومن فوقها مكعب عليه عريشة عنب ملون يصل الماء الى قطوفها الدانية .
وبجانبها حوضان فيهما من أنواع الفواكه واجناس الرياحين . وله شبائيك تطل على جهاته الثلاث الاولى على تحت القلعة من جهة الشرق والجهة الثانية تطل على بين النهرين وهي الغربية والجهة القبليّة تنظر الى نهر بردى وما هناك من الاشجار والازهار وهناك شجرة حور يختلط بها اربعة رجال فلا ينظر الواحد لمن يقابله لعظم ساقها . وللجامع ثلاثة أبواب الاول الشرقي وهو في صدر تحت

القلعة ويسمى باب الحلق ، والثاني شماليه يخرج الى الميضا ويسمى باب الفرج ، والثالث غربيه ينحدر منه في درج الى اول الوادي ويسمى باب المنزه . انتهى

ومن محاسن الشام (بين النهرين) وهو مبتدأ الوادي يشتمل على فرجة سماوية بها دور وقصور وسويقة بها حنوت طباخ وصاجاتي وقطفاني وقفاعي وحواضري وفاكهاني وشواو قلاجين وسكر داني وتقلي وقاعة لبن وعدة للجلبية وحمام يشرح صدور البريد ^(١) وقنطرة يتوصل منها الى جزيرة لطيفة من رأسها ينقسم نهر بردى فيصير نهرين والمقسوم منه نهر الصالح المعتقد الشيخ ارسلان أعاد الله علينا من بركاته وعلى الساميين طول الزمان وبها مقصفان ^(٢) للبطالين فيما بين المقسمين وقبائهما زاوية للشباب التائب يقام بها السبت والثلاثاء من الاوقات بالوعاظ والدواخل ما يصير الحاضر غائبا . ويتوصل الى زقاق الفرائين . الشتمل على قاعات واطباق وغرف ومكم رواق ، الجميع يطبل على بين

(١) كذا (٢) المقصف المتنزه الظليل على شاطئ نهر

النهرين ولكل مكان من ذلك ناعورة يستلذ صاحبها بانسها
وتجلب له الماء اذا سمع حسها . ومن أحسن ما قاله الشيخ
ابو الفضل ابن القدوة احمد ابن العارف محمد وفاء :

نواير نعت لي رشاً للقلب راعي

فهام القلب مني على حس النواي

ومن محاسن الشيخ زين الدين عمر بن الوردي قوله فيها :

ناعورة مذعورة ولهانة لي حائر

الماء فوق كتفها وهي عليه دائره

ابن نباته :

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها

واضلعها كادت تعد من السقم

أدور على قلبي لاني فقدته

وأما دموعي فهي تجري على جسمي

ومن بديع مجير الدين ^(١) محمد بن تميم :

(١) كان في الاصل هنا « مجي الدين » وفي صفحة ٦٩

« محب الدين » وفي صفحة ٧٢ « مجير الدين » وفي صفحة

٨٤ « نجر الدين » والصواب ما اعتمدناه — المطبعة السلفية

ناعورة قالت لنا بأنينها

قولاً ولن تدري الجواب ولا تعي

كم في من عجب يرى مع اني

ابداً اسير ولا افارق مضجعي

لا رأس في جسدي وقلبي ظاهر

لناظرين واعيني في اضلعي

ومن اغراضه قوله :

وناعورة شبتها اذ رأيتها

وما زال فسكري بالرائب يسمح

بطائرة مخضرة كل ريشة

لها تحتها عين من الدمع تسفح

ومن بدائع ابن خطيب الاندلس :

وناعورة تحسب من صوتها

متيماً يشكو الى زائر

كأنما كيزانها عصبية

رموا بصرف الزمن القاهر

قد منعوا ان يلتقوا فافتدى
 أولهم يبكي على الآخر
 ومن تحرير القيراطي قوله :
 وناعورة قد ضاعفت بنواحيها
 نواحي وأجرت مقلتي دموعها
 وقد ضعفت مما تن وقد غدت
 من السقم والشكوى تعد ضلوعها
 التقى ابن حجة قوله فيها :
 وناعورة قد سلسلت دور انسنا
 وأهدت لنا روحاتها نفحة الصور
 اذا ما سقت دوراً تحرك عودها
 لنا وتغني في البسيط على الدور
 شيخه علا الدين بن القضايمي :
 وذات شجوا سألت مداماً لم تصنها
 تبكي بفرط دموع ويضحك الروض منها
 ابن نبأته رحمه الله تعالى :

وناعورة قسمت حسنها
 على واصف وعلى سامع
 وقد ضاع نشر الربا فاعتدت
 تدور وتبكي على الضائع
 ومن محاسن شعره قوله فيها :
 اعجب لها ناعورة قلبها
 للماء منشى العيش والغشب
 تعبانة الجسم ولكنها
 كما ترى طيبة القلب
 الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله :
 أبدت لنا بالعدر ناعورة
 أدمعها في غاية السكب
 تقول لما ضاع قلبي وقد
 ضعفت بالروح وبالنسب
 حيرت جسمي كله اعيناً
 تدور في الماء على قلبي

ومن تضامين ابن تيميم قوله :
 وناعورة شبيها حين ألست
 من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
 كطاوس بستان تدور وتنجلي
 وتنفض عن ارياشها بلل القطر
 ومن لطائفه قوله فيها :
 ناعورة مذ ضاع منها قلبها
 دارت عليه بأنة وبكاء
 وتعللت بلبائنه فلاجل ذا
 جعلت تدير عيونها في الماء

ومن محاسن الشام شرفها وما حويا من المناظر
 والقصور ، وما فيهما من الولدان والخور . وتقرب الى الله
 تعالى أهلها ببناء المدارس ، رغبة في جوار المجرّد الفقير البائس .
 ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام ، والزيت والخل
 والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام . فيجلس
 الطالب في شبّا كهّا ينظر الى الماء والخضرة والوجه الحسن ،

فكيف لا ينبعث الى طلب العلم ويتحرك من فهمه ما سكن
 ويقال ان بمدرسة السكججانية قبة بها طاقات بعدد
 أيام السنة ، والشمس دائرة على تلك الطيقان ولا تدخل
 اليها وهذا من حسن الهندسة

وأما جامع تنكز فانه في الشرف الأدنى وهو من
 الغايات هندسة وبناء فيه عشرون شبّا كما على خط الاستواء
 يشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى . وبوسط
 صحنه يمر نهر بانياس يتوضأ منه الناس وبه ناعورتان يتلآن
 ويفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار ، وجميع الرياحين
 والازهار . وبينهما بركة مربعة بها كأس في غاية التدوير ،
 يجري الماء اليها من النواعير . فهو متنزه يقصد ، ولمصلي
 معبد . وفي كل شرف منها عدة من المدارس والمساجد ،
 ولكل واحد ما يكفيه من الاوقاف استولت عليها ايدي
 المتشبهين بالفقهاء فظهروا فيها انواع المفاسد . فلاحول ولا
 قوة الا بالله العلي العظيم

وكل شرف يطل على (الشقرا) و (الميدان) ، و (القصر

الابلق) و (المرجة) ذات العيون والغدران . وما أحسن
قول الشيخ [شمس] الدين محمد النواجي الشافعي في وصف
الشرف الاعلى :

الا ان وادي الشام أصبح آية
محاسنه ما بين أهل النهى تتلى

وان شرفت بالنيل مصر فلم يزل
دمشق لها بالغوطة الشرف الاعلى
وتقلت من خط العلاء علي بن المشرف المارديني في
غلام اسمه علي في الشرف الاعلى :

جنى علي ولسكن وجهه حسن
وفعله المراضى يحلو به الشغف
بدر من الشرف الاعلى له نسب

وهل لغير علي ينسب الشرف
الامير مجير الدين محمد بن تميم يصف الميدان :
عجباً لميداني دمشق وقد غدا

كل له شرف اليه يؤول

والنهر بينهما لغير جنابة
سيف على طول المدى مسلول
وقال ابن الشهيد في (الشقراء) و (الميدان) :

لم تحك جلق في المحاسن بلدة
قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت منافسا في غيرها

هاييننا (الشقراء) و (الميدان)
ومن تحرير القيراطي قوله في وصف الشقراء :
سري الى الشقراء من جلق

واثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنهما
ابو نواس للها عن (جنان)
وانزل بواديها الذي تربه

مسك وحصبا النهر منه جان
ومن محاسن الشام مرجتها * قرأت كتاب وقف تربة
السلطان الملك الظاهر (برقوق) سقى الله عبده الكائنة

بالصحرا خارج (باب النصر) من (القاهرة) المحروسة
وهو متصل الثبوت الى آخر وقت تسجيلي على بعض
القضاة الشافعية، من جلته طاحون الشقراء بمرجة (دمشق)
المحروسة ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات (بيبرس)
سقى الله عهده بالقرب من (زاوية الاعجام) ويليهما قصبة
سوق عدة حوانيتها احد وعشرون خانوتا وعالوها الطبايق
المطلية على المرجة المذكورة وبآخرها المسجد المطل على نهر
بردى . انتهى

قلت وأدركت الطاحون غير دائرة . ولقد هدمها
وكيل المقام الشريف (برهان الدين النابلسي) المعروف
بابن ثابت في أوائل دولة السلطان الملك الاشراف
(قايتباي) خلد الله تعالى ملكه . فعلى هذا كانت المرجة
عامرة أهلة وهي من المحاسن التي لا تدرك وبعضهم يشبهها
بصدر الباز^(١) كأنه مشبهها به لان الوادي ينضم من رأسها
(١) لا يزال منتهى (المرجة) في جهة الغرب يدعى الى اليوم
(صدر الباز)

ويعالوه جيلان وشبهه هذين الشرفين بالاجنحة
ونقلت من خط النبي ابن حجة قوله فيها :
ذكرت احبتي بالارج يوما
فقوت ادمعي نيران وهجي
وصرت اكبدا لا حزان وحدي
وكل الناس في هرج ومرج
ومن بديع القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر قوله فيها :
ومرجة في واد يروك روضها
ولا سيما ان جاد غيث مبكر
بها فاض نهر من لجين كأنه
صفائح اضحت بالنجوم تسمر
تلاحظها عين تفيض بادمع
يرقرقها منه هنالك محجر
وكم غالته للغزالة مقلة
تسارق اوراق الغصون فتنظر

إذا فاخرته الريح ولّت علية
بأذيال كشبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو وانربيع وكم غدا

به الروض يحيى وهو لاشك جعفر^(١)

ومن محاسن الشام محلتا (الخلخال) و (المنبيع) فحلة
(الخلخال) بها سوقية وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن
الأتراك وكذلك المنبيع والشرفان وبه يدق طببخاناتهم وبها
زاويتا الادهمية والحضود^(٢) وهي تحف بالناس والاعيان
ومن أحسن قول الشيخ جمال الدين محمد بن نباته في
وصف الخلخال:

ياحبذا يومي بوادي جلق

ونزهتي مع الغزال الحالى

من اول الجبهة قبلته

مرآشفا لآخر الخلخال

(والمنبيع) محلة وسوقية وحمام وافران وبها مدرسة

(١) فيه تورية بآل برمك (٢) كذا في الاصل

(الختاوية) وهي من اعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر (بانياس)
ونهر (القنوات) على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة
وبها الواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة [من]
خلاوي الطلبة وبجوارها دار الامير الاصيل (ابن منبجك)
رحمه الله تعالى وبها سكن القاضي بهاء الدين بن جحى الشافعي
رحمه الله تعالى. وهذه المحلة من محاسن دمشق وشرفها. انتهى
نقلت من خط الشيخ شمس الدين محمد النواجي في
وصف المنبيع:

ياسادة اهدوا محاسن جلق

لطرفي ففاضت بالبكا عبرات

منبيع جفني فوق ربوة جببتي

يزيد ودمعي بعدكم قنوات^(١)

ومن محاسن الشام المتنزه المسمى بالجبهة وهي أرض
مربعة قدر فدانين عليها سقائف نظاما من غير طين بين
(١) فيه تورية بمحلة (المنبيع) و (الربوة) و (الجبهة)
ونهر (يزيد) و (القنوات)

شجر الصفصاف والجوز والحدود وكل مفرش حصير تحيط
به جداول الماء من اربع جهاته مع البرك والبحرات بالنوافر
وهي على جنب نهر (بردى) وبه النواعير وبها حوانيت
للشرايحية والجزارين والطباخين والحواضرية والاقساموية
والنكاهين وغير ذلك. وبها مسجد ومدرستان ومربط
الدواب. ومقاصفية واقفون في خدمة الناس. وعندهم
الحف والانطاع والعبي لمن يبات

وفيها يقول التقي ابن حجة الحموي (دويت):

لما ملأ (الجهة) بالانوار

لمناه على ذلك خوف العار

قال انصرفوا سئمت من بلدكم

و«الجهة» من منازل الاقار

وفيها يقول علي بن سعيد صاحب (المرقص والمطرب)

وقد رآها عند شمس الاصيل قبيل المغرب:

ان للجهة في قلبي هوى

لم يكن عندي للوجه الجميل

يرقص الماء بها من طرب

ويميل النمن في الظل الظليل

وتود الشمس لوباتت بها

فلذا تصفر في وقت الاصيل

ويعاوها نهر (القنوات) و(بانياس) المنحدر الماء اليها

منه ومن فوق النهر حمام النزه والى جانبه مقصف بحوانيت

فيها البضائع ويمر بوسطه نهر القنوات. ويتوصل منه الى

زاوية الحريري المشهورة وليس أبدع من منظرها وينحدر

منها الماء الى المتنزه المسمى (قطية) وهي مقصف على نهر

بردى وعليه النواعير متشعبة اراضيه بجداول الماء والبرك

والبحرات. وبه قصبة ذات حوانيت يعاوها اربعة أطباق

ومربط للدواب. وعند المقاصفي العبي والحف والانطاع

حتى الاطباق والملاعق لمن يأكل وهذا مما لا يوجد في بلد

من البلاد

انشدني قاضي القضاة عز الدين احمد الكتاني الحنبلي

فيها:

أياحسن سلسال على نهر قطية
إذا ما جرى فيها نخوض ونلعب
تهدده اغصانها برءوسها
فينظر من طرف خفي ويهرب
وقال ابن عماد الاندلسي وابتدع :
نهر يهيم بحسنه من لم يهيم
ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
فكأنه وكأن خضرة شطه

سيف يسيل على بساط أخضر
ومن محاسن الشام المتنزه المسمى بالبهنسية * وهو
روض يجمع بين الاشجار، والفواكه والازهار، مع عيون
الماء، وتظهر منه الى (مرجة جسر ابن شواس). به مقاصفي
وبيع وشراء ويتوصل منه الى اراضي (حصص) ما بين
رياض وغياض، ويمالوها محلة (النيرين). وهي أعظم
المحلات وأخضرها وأضرها. حسنة الاثمار كثيرة الازهار
وبها سويقة وحام يقال له (حام الزمرد) وجامع بخطبة

وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة نجم
الدين يحيى بن جحى وفيها قتل رحمه الله تعالى ومنها تدخل
الى أرض الربوة

وأعجب من هذا ان السالك الى الربوة من حين يخرج
من باب (جامع يلبنغا) يمشي بين اشجار. وأثمار. ومياه.
وظل ظليل. لا يمكن ان يرى الشمس. الا ان يقصد
رؤيتها انتهى

وفيها يقول بدر الدين ابن لؤلؤ الذهبي يصف النيرين :
رعى الله (وادي النيرين) فاني

قطعت به يوما لذيذاً من العمر
درى انني قد جتته متنزها

فمدّ لاقداى ثياباً من الزهر
واوحى الى الاغصان قربي فارسلت

هدايا مع الارياح طيبة النشر
وأخذني الماء القراح وحيثما

سنحت رأيت الماء في خدمتي يجري

وأجاد الوداعي بقوله ثم أفاد :

وَيَوْمَ لَنَا بِالنَّارِ رَقِيقَةٌ

حواشیه خال من رقیب یشینه

وقفنا وسامنا على الدوح بكرة

فردت علينا بالراءوس غصونه

سيف الدين المشد وأبدع :

وَصَبًا صَبَّتْ مِنْ (قَلَسِيُون) فَسَكَنْتْ

بهوبها وصب الفؤاد البالي

خاضت مياه (الزيربين) عشية

وَأَتَنُكَ وَهِيَ بَلِيلَةُ الْأَذْيَالِ

ومن محاسن الشام محلة (الروة) قال بعض المفسرين

الربوة احدثها بنو كنعان وابتدأوها . وهي المذكورة في

قوله تعالى «وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» يعني مريم

وعيسى عليهما السلام وانما قيل لها ربوة لانها مرتفعة مشرفة

على غرطتها ومياها. وكل راب مرتفع على ما حوله يقال له

ربوة ومنه تربية الصبي لترفعه في النفس والجسم. والمعين

الماء الذي يخرج من الارض

وقال ابن مطرف في ترتيبه : الربوة فيها ثمان لغات

رُبُوءٌ . وَرَبْوَةٌ . وَرُبُوءَةٌ . وَرِبْلَةٌ . وَرِبْلَةٌ . وَرَابِيَةٌ

وَرُنِي وَالْجَم رُنِي

والريوة مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبه صفة

محراب يقال انه مهد عيسى عليه السلام يزار وينذر له. وبها

جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وبها قاعات واطباق

وفيها عين ماء يقال لها (الملثم) ومرايط للدواب وبها

سو یقتان قاطع بینهما نهر (بردی) و بها صیادو السمک

يصطادون والقلايون على جبل النهر يقولونه ويذبح فيها كل

يوم خمسة عشر رأساً من الغنم خلاف ما يجيئها من اللحم

من المدينة وبها عشرة شراحيبة ليس لهم شغل غير الطبخ

والترف في الزبادي والصحون وكل ما تشبهه النفس

فيها وبها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز الشوري^(١)

وأما الفواكه فلا قيمة لها فاني اشتريت الرطل (٢) بربيع

(۱) کذا (۲) وزن الرطل الدمشقي ثمانمائة درهم

درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش مثله والتفاح
كذلك وبها حمام ليس على وجه الارض نظيره لكثرة مائه
ونظافته وله شبائيك تطل على النهر وهو مبني ما بين
الانهر من فوقه ومن تحته . وبها طارمة المسجد الديلمي الذي
جدده نور الدين الشهيد وله اوقاف على قراء ووعاظ وقراءة
البخاري وغير ذلك كالمؤذن والفراش والبواب والوقاد
وفيه يقول تاج الدين الكندي :

ان (نور الدين) لما أن رأى

في البساتين قصور الاغنياء

عمر (الربرة) قصرًا شاهقًا

نزهة مطلقة للفقراء

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم وأحسن رحمه الله ::
ياحسن طارمة في الجو شاهقة

ما ان تملّ بها العينان من انظر

نزّه لحاظك في طاقتها لترى

اصناف ما خلق الرحمن للبشر

تري محاسن وادٍ يحتوى نزها
لذاذة السمع والابصار والفكر
وربرة قد سمت حتى نخال لها
سرًا تحدّثه للانجم الزهر
ما بين روض وأنهار مسلسلة
تجري وتحمل انواعا من الثمر
كم بت فيها وخدني شادن غنج
حلو الثنى كغصن البانة النضر
اشكو اليه الذي ألقى ومقلته
تشكو اليّ الذي يلقي من السهر
حتى رأيت نجوم الليل قد غربت
عنا وهبت علينا نسمة السحر
بقنا نجرّر أذيال العفاف بها
والله يعلم منها صحة الخبر
الاخير في لذة تمضي ويعقبها
خطيئة تسلك الانسان في سقر

ومن اطائفه قوله :

موضع القس^(١) جنة الخلد اضمحت

مهجتي كل ساعة تشبهها
طوقتي بفضلها فلهذا

كلما زرتها اغرد فيها

وهذه القاعة التي بناها نور الدين الشهيد هي على شعب
جبل جميعها متخمة بالواح من خشب سقفا (نهر يزيد)
وأساسها من تحتها (نهر ثورا) ومنظرها من الغايات التي
لا تدرك وقبالها في الجبل الغربي ضريح العاشق والمعشوق
وعليهما صومعتان مبيضتان وبينهما سبعة مقاصف كل
مقصف فيه من الثريات والمصابيح والغطاء والوطاء ما لا
يحتاط به الوصف حتى ان بعض الناس يطلع اليها ليتنزه فيها
يوما فيقيم بها شهراً وجبالها متقابلان متلاقيان عليها الجبل
الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي رأسه مثل
الجنك . ولهذا اطنب الشعراء في وصفها

(١) كذا

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن تباتة في وصفها :

بالجنك من مغنى دمشق حمائم

في دف اشجار تشوق بلطفها
فاذا أشار لها الشجي بكاسه

غنت عليه بجنكها وبدفها

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي :

انهض الى (الربوة) مستمتعا

تجدد من اللذات ما يكفي

فالطير قد غنى على عوده

في الروض بين الجنك والدف

ومن محاسن الشيخ عمر بن انوردي قوله :

دمشق قل ما شئت في وصفها

واحك عن (الربوة) ما تحكي

فالطير قد غنى على عوده

في الروض بين الدف والجنك

ومن لطائفه قوله وقد اغار الصفدي على بيت ابن
الوردي :

ياربوة أطربتني وحسنت لي هتكي
اذلست ابرح فيها ما بين دف وجنك
ونقلت من خط الشيخ شعبان الآثاري^(١) :
كم تحت جنك الربوة أنفيحاء من

دف زهت اشجاره بشنوفها
سقياً لها من ربوة من حل في
ها أطربته بجنكها ودفوفها
ونقلت من خط الشرف القواس قوله :
ربوة الشام ربت منيتي

وقر قلبي وهي دار القرار
وطيرها المطرب في جنكه

غنى على ناي وعود وطار
ونقلت من خط الشرف القواس قوله :

(١) في الاصل (شيدان الاماري)

اودّ باني لو أرى الجنك ساعة
وأنفق فيه كل ما أنا أملك
فليس لنفسي في سوى الجنك مطلب
فدعهم يقولوا فيه للصب مهلك
ونقلت أيضاً من خطه :

سر بي الى الوادي وقف متنزها
فالجنك غنت فوقه الاطيّار
لو لم يكن هو جنة المأوى لنا
ما كان تجري تحتها الانهار

ونقلت من تحرير الشيخ برهان الدين القيراطي قوله :
سقى الجنك منهل الرّباب فشوقنا

لطيب مغاني ارضه ماله حصر
وحيا بقطر الشام انهارها التي

على شهادها للدمع من مقلتي قطر
وجادت سماء الغيث ارضاً سماؤها

غصون رياض الزهر آفاقها زهر

فكم جأني منها نسيم ممسك
وعرقها للقارين بها العطر
وطلع الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط الشهير
بضفدع مع ابن خلكان الى الربوة فوجدا غامانا يعومون
ويلعبون في نهر (ثورا) الذي تحت التخوت المعروف
بالمنيقية فانشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة
فعيش الورى يحلو لديه ويعذب
ترق لنا الانهار من تحت جنكه
فلا عجب انا نخوض ونلعب
فانشد ابن خلكان رحمه الله :

وسرب ظباء في غدير تخالهم
بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي
أمالك عن عهد الصبابة مذهب
وفي دمك المطاول خاضوا كما ترى

فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا
ومن محاسن الشام (المقسم) الذي تنقسم منه السبعة
الأنهار وأصله من ينابيع (عيون التوت)
واليها يشير برهان الدين القيراطي بقوله :
عندي لارض دمشق فرط صبابة
فسقى حماها الرحب صوب غيوث
وعيوننا لفراق مشمشها حكي
جريان أدمعها (عيون التوت)
ويمر [بردى] على قرية الزبداني كالبحر الى ان يلتقي
على قرية (الفيجة) الفيحاء [بمياه ينبوعها]
وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي في
وصف الزبداني :

دمشق وافي بطيب نسيمها المتداني
وصح قول البرايا من عاشر الزبداني
قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في (الملتقط) ان
ماء العيون بارد رطب ، وجيده من العيون الشرقية ينفع

الكبد الحارة، وضرره احداث الترهل، ودفع ضرره
بالحمام والرياضة. يصلح للامزجة الحارة

وقال ابقراط الماء يحفظ على البدن رطوبته ويقمع
الحرارة ولا يغذو ولكن يرقق الغذاء وينفذ الى العروق،
وهو يضر اصحاب الرطوبات والبلغم، الا انه اذا طبخ في اناء
جديد كخزف أو قوادر قلت رطوبته ونفخه. وأفضل
المياه مياه العيون الحارة الارض، التي تخرج من الاودية
بشدة على مقابلة الشمال، وتجري على الطين الحر مكشوفة
للسمس والرياح، ولا تمر على بطائح، ويكون ماؤه صافياً
براقاً، وأجوده أخفه وزناً، وأسرعه قبولا للسخونة
والبرودة، وأغذبه طعاماً

ويقال من ظاهر (باب السلام) الى ظاهر (باب توما)
ثلاثمائة وستون عيناً تجري الى القبلة. قلت: ورأيت غالبها
وارتويت من عذبتها. انتهى

وتنقسم هذه الانهار السبعة منها (يزيد) و (ثورا)
بذيل الجبل الشرقي. ويشق نهر (بردى) ببطن الوادي

ونهر (بانياس) ونهر (القنوات) ونهر (القناية) ونهر (الداراني)
بذيل الجبل الغربي

وآخر ما يتصفى من هذه الانهار ويفضل منها هو
نهر (بردى) وينزل في (المقسم) على نحو من عشرين درجة
كالشادروان، فرويته تذهب الهم وتزيل الحزن
وما أطف قول القاضي صدر الدين ابن الآدمي
رحمه الله:

قالوا فؤادك بردّ عن محبتهم

فقلت نار الهوى لا تنطفي ابدا

بردت قلبي عن الاحباب منذر حلوا

بما (يزيد) على (ثورا) وما (بردا)

وقال صاحب دواوين الانشاء العلاء ابن فضل الله:

انزل بياناس ففي نهرها

سرّ به تجلى عروس السرور

واسمع حديث الماء في جريه

فانه يشفي عليل الصدور

وجمعها الشيخ شعبان الآثاري في قوله وأجاد :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما (بردا)

و (بان يأسى) من المعشوق حين غدا

ومدمعى (قنوات) والعذول حكى

(ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا

على مغنية بالجنك جاوبها

شبابه كم بها من عاشق شهدا

غالبدر (جبهتها) والردف (ربوتها)

وخلها مات من خلخالها كدا

ومن محاسن الامير ابن درياس قوله :

والنهر قد عشق الغصون ولم يزل

ابداً يمثل شخصها في قلبه

حتى اذا فطن النسيم فجاءها

من غيرة فامالها عن قربه

واتى عليه مهيمنا بعتابه

سراً فجعد وجهه من عتبه

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ما فتح النور الا أشرف النور

فما اشتغالك والمنثور منشور

يا حبذا ودروع الماء تنسخها

انامل الريح لولا أنها زور

وقال ابن قرياص :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى

فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

فكأن فوق الماء وشياً ظاهراً

وكان تحت الماء دراً مضمرأ

وقال :

أيا حسننها من رياض غدا

جنوني فنونا بأفنانها

جئى الماء فيها على رأسه

لتقبيل اقدام اغصانها

وقال القاسم بن علي في خيال الاغصان في الماء :

انظر الى الغدران كيف تفرقت
 فبدا بها شبح الغصون الميس
 معكوسة الاشكال تحسب أنها
 قامت على الأيدي له والأرؤس
 وأبدع منه قول المناذري :
 وقانا لفحة الرمضاء واد
 وقاه مضاعف النبت العميم
 نزلنا دوحه خنا علينا
 حنوّ المرضعات على الفطيم
 وأرشفنا على ظمأ زلالاً
 الذّ من المدامة للنديم
 يصد الشمس أنى واجهتنا
 فيحجبها ويأذن للنسيم
 تروع حصاه حالية العذارى
 فتلمس جانب العقد النظيم
 وما أحسن قول ابن المشد :

والرّوض بين تكبر وتواضع
 شمع القضيّب به وخرّ الماء
 ويعجبني قول ابن النّبيه :
 تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر
 ودبّ عذار الظل في وجنة النهر
 فان رقّ واعتلّ النسيم صبايةً
 اذا مرّ في تلك الرياض فعن عذر
 توسوست الاغصان عند هبوبه
 فما برئت الاّ على رقية القمرى
 يخادعني الورد الجني وانى
 بوجنة من اهواه قد حرت في امرى
 ويبسم عن ثغر الاقاح بنفسج
 فألّمه شوقا الى لعس الثغر
 ومن محاسن ابن تميم قوله :
 والنهر مذعلق الغصون محبة
 اضحت تطيل صدوده وجفاه

فتراه يجري لاثماً اقدامها
وخريره شكوى الذي يلقاه
ومن لطائفه قوله :

ونهر حالف الاهواء حتى
غدا طوعاً لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الاغصان القت

اليه بها فيأخذها ويجري
وقال ابن لؤلؤ رحمه الله تعالى :

وحديقة مطولة باكرتها
والشمس ترشف ريق ازهار الربا

يتكسر الماء الزلال على الحصى
فاذا جرى بين الرياض تشعبا
وقال أيضاً :

والنهر كالمبرد يجلو الصدى
يبرده عن قلب ظمآنه
ومن نكته البديعة قوله :

ونهر يحب الدّوح اصبح مغرماً
يروح ويغدو هائماً بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريه
جفاها وامسى قانعا بخيالها
ومن اغراضه قوله :

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها
عليه ولاحت في ملابسها الخضر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها
كأننا أرقنا فيه كأساً من الخمر
ومن معانيه قوله :

وحديقة ينساب فيها جدول
طرفي برائق حسنه مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه
فكأنما هو معصم منقوش
ومن مآجه قوله :



يا حبيذا النهر الذي أمواهه
تسبي العقول بحسن ما تبديه
هو في الحدايق غير ان عيوننا
ان لا حظته تر الحدايق فيه
وقال محي الدين بن قرناص :
فديتك انت روضتنا تجدها
تميل الى لقائك بالصدور
يعاتقك القضيب بها سرورا
ويحقق فرحة قلب الغدير
ومن لطائفه قوله :

لما تبدى النهر عند عشيمة
والروض يخضع للصبا والشمال
عاينته مثل الحسام ، وطله
مثل الصدا ، والريح مثل الصيقل
وقال ايضا :

يا حسنه من جدول متدفق
يلهي برونق حسنه من ابصرا
مازلت أذره عيوننا حوله
خوفا عليه أن يصاب فيعثرنا
فأبى وزاد تماديا في جريه
حتى هوى من شاهق فتكسرا
ابن قرناص الحموي :

سرق النسيم حلى الغصون بلطفه
لما أتاها وهي في اطرافها
ورمى بها نحو الغدير فضمها
من خوفه في صدره وجرى بها
وقال جالينوس : الماء الذي يجري في الأنهار ، وتعلوه
الأشجار ؛ حار غليظ يعظم الطحال والكبد ، ويقمح
اللون ويفسد المعدة ، ويولد الحميات . وكذلك ماء البئر
لأنه يتحرك الى البروز حركة بطيئة ويطول ترده في
الأرض العفنة . وجميع الماء العفن كماء الآجام والبطائح

ردىء؛ واردة منه ماء البئر والقنا لانه محتقن لا يخلو عن تعفن .
وأردأ من الجميع الماء الذي يجري في مسالك من رصاص .
واقوى الماء المعتدل البرودة فانه يقوي الشهوة والمعدة .
ويحسن اللون ، وينع عفن الدم وصعود البخارات الى
الدماغ ، ويحفظ الصحة . ومن اعتاد شرب الماء المبرد في
الهواء لم يحتج الى الثلج لأن مضره الثلج تتبين بعد وقت .
فانها تتجمع قليلا قليلا واذا صار اصحابها الى سن الكهولة
عرفوا شرها . على ان الماء المثلوج يبرىء ، وينهض الشهوة ،
ويقوي المعدة ؛ ويصالح الأمزجة الحارة ، ويأمن الترهل .
إلا انه يضر الصدر والحنجرة والدماغ والأسنان
والعصب . واصحاب الاحشاء الورمة تدفع مضرته بالرياضة
والحميص ^(١) انتهى

ومن محاسن الشام « الحواكير » وهي كالحدايق في
سفح (جبل قاسيون) فان الفاصل بينه وبين (جبل الربوة)
عقبة قرية (دمر) التي بحد (قبة سيار) يقال ان سياراً هذه
(١) كذا

وبشاراً كانا يتعبدان على رأس هذين الجبلين اللذين للربوة
وكانهما كانا من أصحاب الخطوة فاذا أراد احدهما الاجتماع
بالآخر يضع قدمه على جانب الجبل والآخر عند صاحبه
فكانهما كانا عشيان في الهواء فبنوا لهما هاتين القبتين على
هذين الجبلين

رجع * وكان حكماء اليونان اذ درعوا هذه الرياحين
والازهار في سفح (جبل قاسيون) لحكمة وهو أنه يقيها
البرد كونها في داره ، وان النسيم اذا مر بها يحمل منها [من
طيب الريح] ما استطاع ويسري به الى من تحتها من أهل
المدينة والسكان . ولهذا قال (ابقراط) ينبغي للمعتنى بصالح
بدنه ان لا يدع حظه من الاستمتاع بروائح الازهار والرياحين
فانها تقوى الروح وتنش الحرارة الغريزية التي بها قوام
الحياة ، والعليل احوج اليها من الصحيح لانه قد عجز عن
الاخذ من المطاعم والمشارب فهي تنوب عن فعلها في
التقوية . انتهى

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ « من عرض بريحان

فلا يردّه ، خفيف الحمل طيب الروح » يعني عليه السلام
بالريحان كل ذى رائحة ذكية من الازهار

وقال ابن سينا : ينبغي [للمرء] ان لا يستعمل من
المشمومات الا ما كان موافقا لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه
حاراً يستعمل البارد وان كان بارداً يستعمل الحار ويجعلها
اصنافاً مختلفة من حار وبارد فيمتدل اكل مزاج

وينبغي ان لا يتناول المشوم الا غباً وعند توقان نفسه
اليه فانه أشهى والذّ موقعاً وكذلك جميع المحسوسات اذا
احجم نفسه عنها ثم تناولها مشتتياً لها فانه يجسد لذتها على
الكمال . الا ترى العطارين تمل خياشيمهم من الروائح الطيبة
وتكل فلا تجد لها رائحة وكذلك مدمنو الروائح القذرة
المنتنة فان خياشيمهم تألف ذلك التنن حتى لا يكاد أحدهم
يتأذى به . وينبغي ان لا يذني شيئاً من المشمومات الى انفه
فانه أشهى وابقى لزهرة الرياحين . انتهى

ومن محاسن الشام « الورد » وهو جنس تحته ستة
أنواع بدمشق خلا الاسود ، وهو بارد يابس قابض يقوى

القلب والاسنان

جيده « الجوري » يصلح للدماغ الحار والكبد ،
يسكن الصداع ويضر أكله البهائم وشرابه يبرد الدماغ ؛
دفع مضرته خاطئه بالكافور . واذا ربي بالعسل او بالسكر
جلا ما في المعدة من البلغم ؛ واذهب الغفونات . وهذا
يكون من الورد النصبي ؛ وماؤه بارد لطيف ، والاكثر
منه يبيض الشعر

ونقلت من (الفردوس) للامام الحافظ أبي شجاع
شيوخه بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل خلق الورد من بهائه ،
وجعل له ربح انبيائه ؛ فمن أراد أن ينظر الى بهاء الله ،
ويشم رائحة أنبيائه فليتنظر الى الورد الاحمر ويشمه »

وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ورقة :
« سطرها المملوك ومنظر الروض قد شاق ، ودمع الغيث
قد رقا ووجه الارض قد راق ، والغصون المتعطفة قد
ارسلت أهواء القلوب بالاوراق ، وحمائم المترنمة قد جذبت

القلوب بالاطواق . والورد قد احمر خده الوسيم ، وفكت
ازرارَه من أجساد القضب انامل النسيم ، وخرجت
اكفه من اكمامه تأخذ البيعة على الازهار بالتقديم . انتهى

ومن محاسن الخوارزمي قوله :

أما ترى شجرات الورد مظهرة

لنا بدائع قد ركن في قضب

كانهن يواقيت أضيف بها

زبرجد وسطها شذر من ذهب

ومن لطائف محمد بن عبد الله بن طاهر قوله فيه :-

أما ترى الورد يدعو للورد على

عذراء صافية في لونها صهب

ترى صداهن ياقوت مركبة

على الزمرد في أوساطها ذهب

ومن بديع ابن المعتز بالله قوله فيه :

ووردة في بنان معطار حي بها في خفي اسرار

كأنها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار

وأوضحه ابن خطيب دارياً بقوله :

انظر الى الورد ما أحلى شمائله

سبحان خالقه من يابس الحطب

كأنه وجنة المحبوب نقطها

كف المحب بدينار من الذهب

صاغه اللغوي الاندلسي في انضمامه بعد الفتح فقال :-

ورد تفتح ثم انضم منطقته

كما تجمعت الافواه للقبل

وما ألطف قول القائل :

أهدى إلى معذبي ورداً ولم يك وقته

فسألته عنه فقفا ل من الخدود قطفته

قبيلته فكأنني في خده قبيلته

أبو الوليد الشاطبي :

فوق خد الورد دمع

من عيون السحب يذرف

برداء الشمس أضى
بعد ما سال يحفف
ومن التشاييه البديعة ما كتب الى بعض اللطفاء :
ودونك يا سيدى وردة
يذكرك المسك انقاسها
كعداء ابصرها مبصر
فغطت باكامها رأسها
وأنشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين أحمد
الخلوف :

حكمت شجرات الورد في الروض اذ غدا
يقلمها في خدها مبسم القطر
سقاة محل ابرزت في أكفها
كئوس نضار قد ترصعن بالدر
ومن مقاصد أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بالله قوله :
وترى الغصون تميل في أوراقها
مثل الوصائف في صنوف حرير

والورد في خفر القموع كأنه
حمر الخدود بخضرة التعذير
واحسن القائل فيه :
الورد احسن منظراً تتمتع الاخفاظ منه
فاذا انقضت أيامه ورد الخدود ينوب عنه
وقال ابن العفيف رحمه الله :
قامت حروب الزهر ما
بين الريض السندسية
وأنت باجمعها لتف
زو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لأن
الورد شوكته قوية
ونقلت من خط زين الدين عبد الرحمن الخراط في
الورد على الماء :
عجبت وقد رأيت عيناى ورداً
يسير بجدول عذب الشروع

فلم ير ناظري ابدأ خدوداً
جرت من قبلهن مع الدموع
وما أطف قول برهان الدين القيراطي :

ان للروح في دمشق مأوى
ذا قرار وذا معين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد
لى بأزرارها صباية عروه (١)

وَأَبْدَعَ الشَّريف الرضی بقوله :
كم وردة تحكى بسبق الورد
طلیعة تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد
ضم فم لقبلة من بعد
دخل مجير الدين ابن تيمم الى حديقة هذه الوردة
وجمعها :

(١) هو (عروة بن حزام) الذي تضرب الامثال ببيكاته

الديار

سبقت اليك من الحقائق وردة
وأنتك قبل أوانها تطفيلاً

طمعت بلثمك اذ رأتك جُمعت
فها اليك كطالِب تقييلاً
ونقلت من خط ابن حجة له :

ارى الورد عند الصبح قد مدّ لي فها
يشير الى التقييل في ساعة اللبس
وبعد زوال الصبح يبدو كوجنة

وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس
ومن نكته البديعة قوله :

قالوا لزهر الخلاف عرف
يضع في ساعة القطاف
فضيع الورد قلت كلا

الورد أذكى بلا خلاف
وتلطف القائل :

كتب الورد الينا في قراطيس الخدود

يا بني اللهو صلوني قد دنا وقت ورودي
ونقل النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) عن
المتوكل أنه كان يقول « انا ملك السلاطين والورد ملك
الرياحين فكل منا أحق وأولى بصاحبه » حتى حرمه على
الناس واستبد به وقال « لا يصلح للعامة » فكان لا يرى
الورد الا في مجلسه . ولهذا قال علي بن الجهم في رثائه (١) :
وبات اللهو وهو سخين عين

وصار الورد بعدك في انتها (٢)

وكان لا يلبس في أيام الورد الا الثياب الموردة
ويجلس على الفرش والاسانيد الموردة ويورد جمع الآلات
وينشد قول جحظة :

عزيزي عليّ بان يمسك ساقط أو ان تراك نواظر البخلاء
ويقال أن كسرى مرّ بوردة ساقطة على الارض
فقال « أضاع الله من أضاعك » ونزل وهو في موكب
ووضعها على رأسه

(١) كانت في الاصل في « انشاه » (٢) لعله في « انتهاب »

قلت : وكل من تعرّض الى وصف الورد وتشبيهه
شغل عن علو رتبته وبديع حسنه ، ولو سكتوا عن ذلك
كان اليق بهم لانهم لم يتأدبوا معه مع علمهم بانه سلطان
الرياحين . ومن هذا قول بعضهم :

للورد عندي محل ورتبة لا تمُلُّ

كل الرياحين جند وهو الامير الاجل

ولعمري ان مثل هذا النظم السافل يمشي على كثير
من الناس ، وما احمرت وجنات الورد الا خجلا من نسبة
هذا الشعر اليها بين الندماء والجلال . انتهى كلامه

ومن النكت اللطيفة ما يحكى عن الفضل قال : دخلت
على الرشيد يوما وبين يديه طبق ورد عند جاريته ماردة
- وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال - فقال
يا فضل قل في هذا الورد شيئا ، فانشده بديهة :

كأنه خدي محبوب يقبله

فم الحبيب وقد ابدى به خجلا

فقال الرشيد قم يا فضل فاخرج عنا فقد هيئتني

هذه المأجنة ، فقامت وقد أرخت الستور عليهما
ونقلت من خط المرحوم محمد الدين عبد الوهاب
ابن سجنون خطيب النيرين وطبيب بيمرستان الصالحية
النشد في ضعف موته سنة أربع وتسعين وستمائة ، وقد
عاده بعض أصحابه ، ومعه وردة بيضاء فقال :

وورداً أبيضاً قد زاد حسناً

فعند الضد للخيال احمرار

يمثله النديم اذا رآه

مداهن فضة فيها نُضار

ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيه :

كم وردة بيضاء قد حكمت لنا مذ ازهرت
طلعة بدر كامل والشمس فيها كورت

وقد ولده من قول السري الرفاء فيه :

بدا أبيض الورد الجنى كأنما

تذسمة الناشئ بمسك وكافور

كان اصفراراً مته وسطاً ايضاضه
برادة تبر في مداهن بلور
وقال سعيد بن حميد في الورد الاحمر والاييض معاً :
يا حسنها من وردة بيضاء جاءت بالعجب
كجلام بلور به قرادة من الذهب
وقال سعيد بن حميد فيه وما تقدمه ليس لسعيد
بل للوأواء الدمشقي :

أناك انورد محجوباً مصوناً كمشوق تكففه صدود
كأن عيونه لما توافت نجوم في مطالعها سعود
بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الحدود

ومن لطائف بلدينا ابن المعتز بالله قوله فيهما معاً :

أهدت الي يد نفسي الفداء لها

الورد نوعين مجموعين في طبق

كأن أبيضه في وسط أحمره

كواكب أشرقت في حمرة الشفق

الشريف الرضي في وصف الورد الثالث وهو الاسود :
وورد أسود خلناه لما تضرع نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غرض وفيها بقايا من سحيق الزعفران
وقال ابن عيني بصل يصف الورد الأصفر :
شجرات ورد أصفر بعثت في قلب كل متم طربا
يا من رأى من قبلها شجراً سقى اللاحين فأنبت الذهبيا
ومن محاسن الطغرائي قوله فيه :

ألم تر أن جيش الورد وافي بخضر من مطارقه وصفر
أنى مثلما بالشوك أو في نصال زبرجد وروس تبر
الرابع قال المطوعي في الورد القحاني الذي باطنه أحمر
وظاهره أصفر :

ووردة جمعت لونين رائقة

خدي حبيب وخدي هائم عشقا

لعمري فبدا واش فراعها

فاجر ذا خجلا واصفر ذا قرقا

وله :

قحاني الورد في البستان يدعو
تبرجها الرجال الى الرحيق
لها نوعات ظاهرها كتبر
ولكن البواطن كالعقيق
تخال الجللار على بهار
وتبري الرياض على شقيق
ابن المعتز :

وذي لونين نشر المسك فيه يروق بحمرة فوق اصفرار
كعشوقين ضمهما عناق على حدثان عهد بالميزار
ومن لطائف أبي بكر الخالدي قوله فيه :

وردة بستان قحامية زينت من الحسن بنوعين

باطنها من قشر يا قوته وظهرها من ذهب عين

قبلتها حبا لها اذ بها حيائي البدر على عين

كأنها خدي على خده يوم اجتمعنا غدوة البين

والخامس الورد الجوري وفيه قال الشيخ عمر بن

الوردي :

قالت اذا كنت ترجو أنسي وتخشي نفوري
صف ورد خدي وإلا أجور ، ناديت جوري
والنوع السادس من الورد هو الأصفر المطبق

وقرية الزبداني هي قلعة الورد يستخرجون بها ماورد
القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرها من البلاد . وكذلك
فاكيتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرها

وفيه يقول نجم الدين صاحب ديوان الانشاء بجماه :
وورد آتينا النار تقبض روحه

ونبعثها نحو الحبيب تكرما
فلما رآها احمر واصفر قائلا

خذي نفسي يارب من جانب الحمى

وفيه يقول شهاب الدين بن الشبلي :

يا سيدي والذي خلأته كالروض أيدي الصبا تدمتها
بعثت ورداً اليك عسى تقبض لي روحه وتبعثها
وقل آخر :

لم أنس قول الورد حين جنيته
والنار لاستقطاره تتسعر
فأشدتكم نفسي خذوه وإنما
لا تعجلن بقبض روعي واصبروا
ومن رقيق شعر بلدينا محمد بن المزين الدمشقي قوله :
شاب ورد الرياض من ورد خديك وانفرك
فله الناس أثبتوا وانتقى الورد للكرك^(١)
ومن محاسن الشام الورد النسريني وهو نوار أبيض
وأصله بري يمتد ويعرش كالسكرم وله أغصان برعوسها
الورد كل غصن فيه مائة وردة وأكثر . قال ابن البيطار
في مفرداته : وبعض الناس يسميه بالورد الصيني وأكثر
ما يوجد بالشام بعد انفراك الورد المتقدم

(١) الكرك بلدة في منطقة (شرقي الاردن) الآن ؛ وكان
الحكام في القرون الوسطى قد اتخذوها منفى لمن يريدون إبعاده
عن الشام أو مصر . وفي تلك المنطقة (الحميمة) التي كانت منفى
آل العباس رضي الله عنه قبل قيام دولتهم

وقال ابن سينا: الورد حار يابس في الثانية يقوي القلب اذا اديم اشتد به ، ويحلل الرياح الكائنة في الرأس والصدر ويخرجها بالعطاس ، واذا تدلك به في الحمام مسحوقا بعد تنشيفه طيب رائحة البشرة والعرق . انتهى
وقال السامري : هو من خصوصيات الشام ، وبالديار المصرية نسرين ليس هو هذا ، انما هو ورد سياج بساكن الشام . وهو نوار ابيض شديد العرق يجمعونه بمصر ويبيعونه ولا يجمع في الشام ولا يباع لكثرة . وهو يطعم في الغالب من عند الله تعالى بدمشق وخروجه بالشام مع النسرين . انتهى

ونقلت من خط الشيخ شمس الدين الدماميني :
أقول لصاحبي والروض زاه

وقد ابدى الربيع بساط زهر
تعال نباكر الروض المقدسي

وقم نسعي الى ورد ونسري
ومن رقيق شعر ذي الوزارتين :

ابان لك النسرين أو خلت أنه
أ كف سقاة حملت اكؤساً صفراً
مداهن عاج حشوها التبر اذ علت
رعوس ذنوج ألبست حللاً خضراً
ومن محاسن الشام النرجس وهو جنس تحته أنواع :
الاول اليعقوري ، الثاني البري ، الثالث المضعف . قال
ابن البيطار : في الرابعة ، وهو نبات له ورق مجوف وليس
عليه ورق . طولها اكثر من شبر وعليها زهر ابيض
مستدير ، في وسطه شيء لونه اصفر ومنه ما لونه اسود
وثمرته سوداء كأنها في غشاء مستطيل . وهو طيب الرائحة
واذا اكل أصل النرجس مسلوفاً أو شرب هيج القيء فاذا
شم زهره نفع من وجع الرأس ويفتح شدد الدماغ . وشمه
ينفع الزكام الباردة ، وفيه تحليل قوى الرطوبات ويخفف
ويلطف ويحلو
وقال جالنيوس : ان النرجس راعي الدماغ والدماغ
راعي القلب

وقال بقراط : كل شيء يغذو الجسم والرجس يغذو العقل
والرجس المحرق وهو البري اذا شق بصله وغرس
صار مضعفا . ومن أدمن شم الرجس في الشتاء أمن
البرد سام في الصيف . وهو معتدل في الحرارة واليبس
وفي (اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب رضي
الله عنه) للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الجزري
الشافعي رحمه الله تعالى حديث مسلسل بالقضاة الى القاضي
شريح قال **حدثنا** اقضى قضاة الامة امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« شموا الرجس ولو في اليوم مرة ولو في الجمعة مرة ولو
في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان
في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم
الرجس » ورواه أيضا صاحب (الفردوس) مسلسل
بالقضاة الى اقضى الامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ولفظه « شموا الرجس فانه ما منكم احد الا

وله شعبة بين الصدر والفؤاد من الجنون والجذام
والبرص لا يقطعها الا شم الرجس »
وقال ابن سينا : من كان له رغبان فليجعل احدهما
في ثمن الرجس ، لان الخبز غذاء الابدان والرجس
غذاء الارواح »
وكان كسرى يقول : اني لاستحي ان اغازل من
احب يجلس فيه الرجس . أخذه بعضهم وقال :
غضى لحاظك يا عيون الرجس
فعمى افوز بنظرة من مؤنسي
فلقد يحير اذا رآك شواخصا
ترمينه بلوا حظ المتفرس
ومن لطائف امير المؤمنين ان المعتز قوله في الرجس
عيون اذا ما عاينتها فكأنما
دموع النداء من فوق اجفانها در
محاجرها يبيض واحداقها صفراء
واجسادها خضر وانفاسها عطر

والبحير الدين بن تميم :
ولما أتى النرجس المجتنى بقرب الربيع وإيناسه
نثرنا على رأسه فضة وتبرأ فراق لجلالته
وأصبح يخطر ما بيننا وذلك النثار على رأسه
ومن تشابه ابن قلاقس قوله :
وشادن اهيف حيا بنرجسة
كأنها اذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضاء ساعدها
زبرجد حملت كأساً من الذهب
ومن مقاصد ابن وكيع قوله :
ما نظرت عينا في روضة احسن من نرجسة غضة
كزعفران وسط كافورة أو ذهب افرغ في فضة
ومن مقاصد عبد الله بن المعتز قوله :
نرجسة لاحظني طرفها تلوح في بحر دجى مظلم
كأنما صفرة في الدجى صفرة دينار على درهم
ومن اغراضه قوله :

كأنما جفنه بالغنج منفتحاً
كأس من التبر في منديل كافور
ومن مداعبات أمين الدين جويان قوله :
نفس غصن البان اذباه
وماس عند الصبح زهواً وفاح
وقال هل في الروض مثلي وقد
تعرى الى مثلي قدود الرماح
خندق النرجس يزهو به
وقال حقاً قلت ذا او مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا
مقصوف عمر بالدعاوي القباح
فقال غصن البان من تبهه
ما هذه الا عيون وقاح
ومن مداعبات ابن تميم قوله :
ولما أتى النرجس المجتنى
بشير الربيع بقرب الزار

نثرنا على رأسه فضة

ولم يخل في بعضها من بضار

فأصبح يخطر ما بيننا

وفي رأسه بعض ذاك النثار

ومن تضامينه قوله :

غدير دار نرجسه عليه

ورق نسيمه فصفا وراقا

تراه اذا حللت به لورد

« كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ نَطَاقَا »

ومن تضمين ابن حجة قوله :

الى الحى نسمات الصبح مذ بعثت

ندى به ذيل ثوب الزهر مبلول

قالت نراجسه مذ حدقت ورننت

« مهما بعثتم على العينين محمول »

ابن الرومي واستحي من هجوه النرجس^(١)

انظر الى نرجس تبدت

صباحاً لعينيك منه طاقه

واكتب اسامى مشبيه

بالعين في دفتر الحماقه

واي حسن لطرف شاك

من يرقان يحمل ماقه

كراثة ركبت عليها

صفرة يبض على رقاقه

وفي تصحيفه قول الميكالي :

اهلاً بنرجس روض يزهر بحسن وطيب

يرنو بعيني غزال على قضيب رطيب

وفيه معنى خفي يزينه في القلوب

(١) هذه الايات ليست لابن الرومي الذي اشتهر بمدح

النرجس وذم الورد، بل هي لأبي العلاء السروري، وقد

أوردها النواجي في (حلبة الكميت) ص ٢٠٣

تصحيفه ان نسقت الـ حروف برء حبيب
وقال ايدمر المحبوي وابدع :
وكان نرجسه المضاعف خائض

في المساء لف ثيابه في رأسه
ومن غرائب ابي عبد الله الحداد الاندلسي قوله :
انظر الى النرجس الوضاح حين بدا
كانه ناظر عن جفن مبهوت
كاذرع الغيد في خضر البرود حكمت
على اناملها اصفى اليواقيت
ومن دقائق ابن وكيع قوله رحمه الله :

اشرب فلست على صحو بمعذور
واطرب على صوت نايات وطنبور
اما ترى النرجس الريان يلحظنا
كان اجفانه اجفان مخور

كان اصفره في وسط ابيضه (١)

قراصة اودعت احشاء بلور

اما تراه ومرث الريح يعطفه
كانه زعفران وسط كافور
اذا بدا في اختلاف من تلونه

اراك كيف امتزاج النار بالنور
ومن تشابه امير المؤمنين المأمون قوله :
ويا قوته صفراء في رأس درة

مركبة في قائم من زبرجد
كان جوار الطل في حباتها
بقية دمع فوق خد مورد

ومن جيد السبك قول ظافر الحداد الاسكندري :

كانما النرجس لما بدا
لناظر في ساحة (المأزمين)
زبرجد قد جعلوا فوقه

اقداح تبر في صواني لجين
وقال ايضا رحمه الله :

نرجس بلور

كأنما النرجس الطافي حين بدا
 قعاب تبر على جامات بلور
 كان أوراقه والشمس تقصرها
 أوراق شمع فن خام ومقصور^(١)
 ومن بديع ابن تميم قوله فيه :
 شبّهت نرجسة أهدي إلي بها
 خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب
 كفاً من الفضة البيضاء ساعدها
 زمرد وسطه كأس من الذهب
 ومن محاسنه قوله فيه :
 كيف السبيل لأن أقبل خد من
 أهوى إذا نامت عيون الحرس
 واصابع النشور توميء نحونا
 حسداً وتغمزها عيون النرجس
 ومن لطائفه قوله فيه :

(١) الخام قماش أبيض ويكون مقصوراً إذا غسله القصار ودقه.

لا تمش في أرض وفيها نرجس
 أو أقحوان غب كل مقام
 ان اللواحق والثغور أجلها
 عن وطئها في الروض بالأقدام
 ومن نكته البديعة قوله :
 اني لأشهد للحمى بفضيلة
 من أجلها قد صرت من عشاقه
 مآزاره أيام نرجسه فتى
 الا واجلسه على أحداقه
 ومن أغراض الشبلي قوله :
 ونرجس قابل في مجلس
 ورداً غلا في نعمته التاعث
 نخذُ ذا يخجل من لحظ ذا
 وطرف ذا في خد ذا باهت
 ومن تضامين ابن حجة قوله :

حدائق الروضة الغناء نرجسها
عيونه بدموع الطلّ مذ دمقت
ههنا الى دشف ثغر الكاس من فرح
« فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت »
والطف ما سمعت قول القائل :
يغض من فرط الحيا طرفه
ما أحسن الغض من النرجس
ومن عقود ابن لؤلؤ قوله :

ياكر الى الروضة تستجلها ففجرها الاشنب بسام
وبلبل الدوح فصيحاً غدا في الأيك والشحرور متمام
والغصن فيه الف قد بدا والنهر في أرجائها لام
والنرجس الغض اعتراه الحيا فغض طرفاً فيه أسقام
ويعجبني قول ابن مكاس :

وجدول الماء يجري بين نرجسه
لدى البصار جري الطيف في المقل
ومن المعاني التي اقتنصها ابن قرناص قوله :

من لي بروضة نرجس فاقت على
انواع أزهار الربيع المبهج
كقواعد من فضة قد ذهب
تعالو على عمد من الفيروز ج
وقال علي بن سعيد صاحب (المرقص) في تفضيل
الورد عليه :
من فضل النرجس وهو الذي
يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعداً
وقام في خدمته النرجس
ومن محاسن الشام البنفسج وهو العراقي وقلبي
وابيض . وهذا النبات له ورق قابل التدوير له ساق يخرج
من اصله عليه زغب أصفر وعلى طرف ساقه زهر طيب
الرائحة جداً ولونه لون الفيروز ينبت في المواضع الظليلة
الحسنة

وهو بارد وطب ينفع الدماغ الحار ويسكن صداعه

واذا ربي مع السكر ينفع من السعال الكائن من حرارة
وقال جالينوس: في السادسة ورق هذا النبات جوهره
جوهر ماء بارد قليلا ولذلك صار متى صنع ورقه كالضماذ إما
مفردا وإما مع دقيق الشعير سكن الاورام الحارة وقد
يوضع على العين اذا كان فيها لهيب وينفع من التهاب المعدة
والاورام الحارة وتثق المعدة ويقال ان زهره اذا تشرب
بالماء نفع من الخناق العارض للصبيان وهو المسمى «ام
الصبيان» وينوم نوماً معتدلاً ويسكن الصداع العارض
من المرة الصفراء والدم. والبنفسج الناشف يسهل المرة
الصفراء المحتبسة في المعدة والامعاء أيضا. والشربة منه
ثلاثة دراهم الى سبعة دراهم مدقوقا منخولا مع مثله
بالسكر ويشرب بالماء الحار والله اعلم. انتهى

ومن لطائف ابن تيميم:

عاينت ورد الروض يلطم خده

ويقول وهو على البنفسج محنق

لا تقربوه وان تضوَّع نشره
ما بينكم فهو العدو الازرق
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله:
ان البنفسج تراح النفوس له
ويعجز الوصف عن تحديده معجبه
اوراقه شعل الكبريت منظرها
وريحها عنبر تحي النفوس به
والاصل فيه قول عبد الله بن المعتز:
بنفسج جمعت اوراقه فحكمت
كحلا تشرب دمعاً يوم تشتيت
كانه فوق قامات يلوح بها
اوائل النار في اطراف كبريت^(١)
قال النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) رأيت لبعض

(١) في هامش الاصل: وقد رأيت في نسخة اخرى:

ولازوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حمر اليواقيت

كانها فوق قامات ضعفن بها اوائل النار في اطراف كبريت

صيارقة الادب على هذا التشبيه نقداً حسناً فانه قال « ان
كانت النار في اوائل الكبريت قد وافقته في اللون فقد
خالفته في الرائحة ، وشرط المشبه ان يكون اعلى رتبة في
التشبيه ، والبنفسج يجل علو قدره عن ذلك ، فانه من اهل
الجنة والكبريت من اهل النار

وقد زاحه عليه ابو العلاء عطاء بن يعقوب في رسالته
فقال « وحديقة سماوية اللباس ، مسكية الانفاس . كبقايا
النقش في بنان السكائب ، أو النقش في اصابع الكاتب .
لازوردية فاقت بزرقها اليواقيت ، كأوائل النار في اطراف
الكبريت »

قال وقد قل من وفاه حقه من المتأدين حسناً ، واتى
في تشبيهه بما يلائمه صورة ومعنى . وقلت :

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

شعر :

خليلي هبا ينقضي عنكما الهوى
وقوما الى روض وكأس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منورا
كأقراط در قمت بعقيق
بلدينا العلاء بن ابيك الدمشقي في الياسمين الاصفر
قوله :

كانما الياسمين حين بدا اصفره في جوانب الكشب
عساكر الروم نازلت بلداً وكل صلبانها من الذهب
وقل الزحاري :

ولفاء خلناها سماء زبرجد

لها انجم زهر من الزهر الغض

تناولها الجاني من الارض قاعداً

ولم ار من يجنى السماء من الارض

وتقلت من خط ابن حجة قوله فيه :

الياسمين يقول مذ ولّى الشتاء

ومضى الربيع بأعين ومباسم

دَيْن المصيف علىَّ أَن أُوَاْنُهُ

وقد استحق اليوم قبض دراهمي

ومن محاسن الشام المنشور . وهو أصفر وأبيض

وبنفسجي وازرق . والازرق فيه حراقة ، وطعمه يشبه

طعم الفجل يدثى ويهضم . انتهى

ومن لطائف الامير مجير الدين محمد بن تميم قوله :

ومذ قلت للمنثور اني مفضل

على حسنك الورد الجليل عن الشبه

تلون من قولي وزاد اصفراره

وفتح كفيه ومال الى وجهي

ومن محاسنه قوله فيه :

انعم على المنشور منك بزورة فلقد أراه والسقام حليفه

ما اصفر الا حين غبت ولم يزل

يدعو بان يأتى اليك كفوفه

ومن مقاصده قوله :

من قال ان الورد كالمنثور في عظم المكانة جد فيه تعنيفه

ما حمر وجه الورد الا اذا غدا المنشور يلطم خده بكفوفه

ومن اغراضه قوله فيه :

يشير بتوبة الندماء جهلاً والمنثور عندهم نصيب

وكيف وقد عقدنا كل كف بكف منه انا لا نتوب

ومن محاسنه قوله فيه :

مولاي للمنثور حق وهو أن

تلقاه اذ يلقي بكأس رحيقه

اكرمه أو فاعلم بان كفوفه

تدعو على من لم يقم بحقوقه

ونقلت من خط الشيخ بدر الدين الدماميني فيه :

للّه منشور بروضك نشره

يطوي عبير المسك والكافور

قطر الندى فيه جواهر نظمت

يا حبذا المنظوم في المنشور

ونقلت من خط القاضي زين الدين عبد الرحمن بن

الخرائط فيه :

دع المنشور شمسُ الور د غشت نوره نورا
ألم تره اذا يبدو هباء فيه منشورا

وقال عرقلة في المنشور الاحمر واجاد :

انظر الى المنشور ما بيننا

وقد كساه الطل قصانا

كانما صاغته أيدي الحيا

من أحر اليافوت صلبانا

ومن نكته البديعة قوله فيه :

حاذر أصابع من ظلمت فلها

تدعو بقباب في الدجى مكسور

فالورد ما ألقاه في حجر القضا

الا دعاء اصابع المنشور

ومن لطائفه قوله فيه :

مذ لاحظ المنشور طرف الترجس الا

مزور قال وقوله لا يدفع

فتح عيونك في سواي فانما
عندي قبالة كل عين اصبع

ومن محاسنه قوله فيه :

لما ادعى المنشور ان الورد لا

يأتى وان يصلى بنار سمير

ودت ثغور الاقحوان لوانها

كانت تمض اصابع المنشور

ونقلت من خط التقوى ابن حجة قوله فيه رحمه الله :

رأيت مع المنشور بعض وقاحة

ولم ادر ما بين الغدير وبينه

تلون منه ثم مد أصابعها

الى وجهه عمدا وخضر عينه

ومن بدائعه قوله فيه :

صافح منشور الربا وردة

فلامه القمري في الأيكة

قالت ورود الروض في غيضة
هل جاز في اضبعه شوكة
ويعجبني قول الحاجي وابدع :
ولقد نثرت مدامعي ودمي معاً
يوم الوداع وخاطري مكسور
لا تعجبوا اتلون من ادمعي
لا بدع ان يتلون المنثور
صاعد اللغوى قوله فيه وابدع :

قد اقبل المنثور ياسيدي كالدرد والياقوت في نظمه
ثناك لازال كانفاسه ورأس من عاداك مثل اسمه
ومن محاسن الشام السوسن ، وهو ابيض واصفر
وازرق

قال العلامة ابن الجوزي في كتابه (لقط المنافع) هو
ضرب من الرياحين وجيده الاسمانجوني الطاري ، حار
يابس ، يابن قصبته الرئة وينقيها ، وينفع الحلق ووجع
الطحال ، ويصفي الصوت وينفع التهاب المدة وحرقة البول

وقروح الكلى والمثانة ، ويزيد في المنى ، ويقوي الذكر ،
وينفع جميع علل السودا والبلغم ، والشربة منه ثلاثة دراهم
وقال ابن سينا : في الرابعة ومن الناس من سماه اسيرس
ومنهم من سماه ايرس ^(١) اخربا وأهل رومية يسمونه غلاديون
وهو نبات له ورق شبيه بالخناجر في عرضها محدد الطرف ،
وله ساق خارج من وسط الورق وطوله ذراع . غليظ
جداً عليه غلاف ذات ثلاث زوايا وعلى الغلاف زهر لونه الى
الفرقين ولون وسط الزهر احمر قان وله ثمر في غلاف شبيه
في شكله بالقثاء والثمر مستدير اسود وحريف وله أصل كثير
العقد طويل احمر . يصلح للخراجات العارضة في الرأس
والكسر العارض بقحف الرأس . واذا تضمد به مع الخل
ابراً الاورام البلغمية والاورام الحارة وقد شرب بالشراب
الحلو المعمول بماء البحر للشدخ وعرق النساء وتقطير البول
والاسهال واذا شرب بالخل حلل ورم الطحال
ومنه البري وفيه يقول ابن المعتز بالله في الابيض :

(١) يسمى زهر السوسن Iris بالفرنسية والانكليزية

والسوسن الابيض منشور الحلال
 كقطن قد مسه بعض الليل
 وقال ابن تميم وابدع :
 وكان سوسنة بدت في روضها
 بيضاء ضاعف نشرها وقع النداء
 نؤارة برد النسيم وهب في
 وقت الصباح بثوبها فتجردا
 ومن التشبيه المقلوب قوله فيه :
 يا حسن نوفرة بدت في بركة
 ابداً يفيض الماء فيها ديدنا
 ما ان بدت الا وظلت مفكراً
 في توفر وراح ينبت سوسنا
 ومن محاسن القاضي الفاضل قوله فيه :
 وأبيض السوسن في رياضه
 يسبي قلوب الزهر بالتجرد
 يظل مسروراً به كأنه
 اقتداح بلور على زبرجد
 وقال ابن تميم فيه وكأنه تلميح الى معنى ابن المعتز :

يا حسن منها من روضة ازهارها
 ابدت لعيني لؤلؤاً وزبرجداً
 والسوسن المبيض في ارجائها
 كالقطن بالله الندى فتلبدا
 وقال ابن المطرزي في السوسن الاصفر :
 يارب سوسنة قبلتها كلفاً
 وما لها غير نشر المسك في السوق
 مصفرة الوسط مبيض جوانبها
 كأنها عاشق في حجر معشوق
 وقال ابن المعتز في السوسن المشرب بالحمرة :
 سقياً لارض اذا ما نبهت بنهي
 على الهدوء بها قرع النواقيس
 كأن سوسنها في كل شارفة
 على الميادين اذئاب الطواويس
 وقال ابن حجة فيه مضمناً :
 بداسوسن الروض المدبج ازرقا
 وأصفر يعلو طوله فوق مبيض

كأن الربا أرخت ذبول غلائل
 مصبغة والبعض أقصر من بعض
 ومن محاسن الشام الزنبق وهو من خصوصياتها .
 وهو قضبان خضر دون الذراعين عليها ورق عرض ورق
 الطرخون وأطول منه وفي رأسه زهر أبيض شبيه قبل
 تفتحه بالمكاحل فإذا انفتح تلفيه مسدساً وبوسطه شيء
 كالابر في رفعها وأطول منها وعلى رؤوسها نقط صفر تصبغ
 كالزعفران ، عطر الرائحة شديد العرف وله دهن حار
 شعر :

قد نشر الزنبق اعلامه
 ولم اكن في الزهر سلطانه
 ففقهه الورد به هازناً
 وقال للازهار ماذا الذي
 فأنفتح الزنبق من قوله
 يكون هذا الجيش بي محققاً
 معين الدين عصرون قوله فيه :

وزهره هيفاء القوام رشيقة منعمة شقت عليها الغلائل
 كأن أعاليها قناديل فضة وقد أوقدت منهن تلك الفتائل
 المنقول من خط ابن حجة الحموي قوله فيه رحمه الله :
 اصابع المنثور لها مدها لقرص خد الورد من بعد القبل
 هزله الزنبق رجماً عالياً فالواية البيضاء غيبه لم تزل
 ومن محاسن الشام البهار ، قال ابن البيطار وهو
 الاقحوان الاصفر عند بعض الناس في الثالثة وهو نبات له
 ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازيان وزهره أكبر
 من زهر البابونج أصفر اللون اسود الوسط شبيه بالعيون
 ولهذا يسميه بعض المناربة بعين البقرة وينبت في الدمن
 وله حدة وحراقة وتحليل ويشفي من الاورام الصلبة اذا
 خلط بشمع مذاب ودهن

وقال التيمي في كتابه (المرشد) ومنه نوع صغير
 الشكل جداً يسمى في الشام «عين الحجل» اذا جمع نواره
 وجفف وسحق وجعل في بعض أكحال العين جلاظامة
 البصر العارضة له وجلا البياض الكائن من الماء المنصب

اليها المفسد لحسن البصر وأحد نورها
وفيه يقول ابن اسرافيل
حكاني بهار الروض حين ألفته
وكل مشوق للمشوق يصاحب
فقلت له ما بال لونك أصفر
فقال لاني حين أعكس راهب
ويضارعه الاقاح :
ولو كنت حيث الروض قدمه الثرى
بسلطان امواه الجداول معلما
ومن فوقه زهر الاقاح منورا
رأيت السما كالارض والارض كالسما
ومنه الاقحوان :
وقد لاح زهر الاقحوان كأنه
يميس به خصر ارق من العضب
دعوس مسامير من التبر رصعت
دوائرها الصواغ بالؤلؤ الرطب

ظافر الحداد قوله فيه :
والاقحوانة تحكي ثغر غانية
تبسمت فيه من عجب ومن عجب
في القد والبرد والريق الشهي وطية
ب الريح والون والتغنيج والشنب
كشمسة من لجين في زبرجدة
قد أشرقت تحت مسمار من الذهب
ومن مرقص ابن حمديس الصقلي قوله فيه :
من قبل أن توشف شمس الضحى
ريق الغواصي من ثغور الاقاح
باكر الى اللذات واركب لها
سوابق الالهو ذوات المراح
ومن لطائف الخالدي قوله فيه :
يا رب ربع مقفر موحش
خال نزلناه قبيل العشي

تأثما نور الاقاحي به
ثغر فم عض على مشمش

ومن محاسن ابن عباد الاسكندري :

والاقحوانة تجلو وهي ضاحكة

عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب

كانها شمسة من فضة حرست

خوف الوقوع بمسار من الذهب

ومن محاسن الشام الاذريون هو صنف من الاقحوان

ومنه ما نواره اصفر ومنه ما نواره احمر فالاصفر ذهبي وفي

وسطه رأس صغير اسود

وقال الغافقي هو نبات يدور مع الشمس ، وينضم

نواره بالليل . وزعم قوم ان المرأة الحامل اذا امسكته بيديها

مطبقة احدهما على الاخرى نال الجنين ضرر عظيم شديد

وان اداامت امساكه واشتمامه اسقطت

وقال صاحب (الفلاحة) ان دمنانه يهرب منه الفأر

والوزغ وهو نبات حار رديء السكيفية ، اذا شرب من مائه

اربعة دراهم قياً بقوة وان جعل زهره في موضع هرب
منه الذباب وان دق وضمد به أسفل الظهر أنعظ العاظاً

موسطاً

وقال هرمس : الأذريون حار في الثالثة يابس فيها ،

ويقال المرأة العاقر اذا احتملته حبلى . انتهى

وما ابلغ قول ابن المعتز فيه :

الأذريون شبهه والشمس فيه كاليه

مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

وما احسن قول الصنوبري فيه :

كان اذريونها من فوق تلك القصب

خيام مسك فوقها سراق من ذهب

وقال ابن حجة فيه :

كان اذريونها ونوره قد ابرجا

وميض برق لامع في جنح ليل قد دحا

وقال ابن تيمم :

وكان اذريونها في روضة

سرج تضيء على صفائها

والسرج تخفيها الشمس وهذه

سرج تزيد الشمس في انوارها

ويلحق به البابونج. قال ابن الجوزي في (لقط المنافع)

افضله ما كان أصفر طريا طيب الرائحة، وهو حار يابس

يحلل الاخلاط الرديئة ويقوى الاعصاب وينفع الصداع

والوسواس واليرقان. واذا جلست المرأة في مائة المطبوخ

ادر الطمث واخرج الاجنة ويدر البول ويفتت الحصى

الذي في الكلى والشربة منه ثمانية دراهم

وكذلك زهر الكركيش قال الشاعر:

انظر الى الكركيش وهو محقق

كالتبر محتاط عليه يدار

فكانه فم شادن متبسم

من فوق رأس لسانه دينار

ومن محاسن الشام الآس. قال ابو حنيفة خواصه

عظيمة وخضرته دائمة وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرته

سوداء ومنها ما هو أبيض كاللؤلؤ بين ورق كالزبرجد يباع

مجموعا بالرطل وبأغصانه من غير ميزان ويحلوا اذا ابتنع وعصارة

ثمره رطبة تفعل فعل الثمرة وهي جيدة للمعدة مدرة للبول

موافقة اذا خلطت بشراب لمن عضته الرتيلاء وللسع العقرب

وطبخ الثمر يصبغ الشعر

وقال (ديسقوروس): الآس اذا دق ورقه وسحق

وصب عليه ماء وخلط به شيء يسير من دهن ورد وتضمد

به وافق القروح الرطبة والمواضع التي يسيل اليها الفضول

والاسهال المزمن والنملة والجمره والاورام الحارة العارضة

للانثيين والثدي والبواسير واذا دق يابس ودر على الداحس

نفع منه وقد يعمل في الآباط وهو بارد يابس

وقال جالينوس: في السابعة هذا النبات من قوى

متضادة والأكثرفيها الجوهر الارضي وفيه مع هذا شيء

حار لطيف فهو لهذا يخفف تخفيفا قويا وورقه وقضبانته

وثمرته وعصارتها ليس بينها في القبض كثير خلاف

لكنه يولد السهر، ورفع مضرتة بالبنفسج الطرى ويصلح
 الامزجة الباردة والله اعلم
 وما احسن قول ابن طباطبا فيه :
 الآس فريد بديع في محاسنه ما مثله في معانيه بموجود
 يبدو باغصانه خضراء تلبسه كألسن الطير تشوى بالسقايد
 وانشدني فيه شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين
 الباعوني الشافعي :
 وروضة بانها يهتز من طرب
 شبيه مرتشف من خمرة الكاس
 يثني النسيم على الآس التضير بها
 فهو العليل الذي يثني على الآسي
 وقال بعض المفسرين في قوله تعالى «روح وريحان»
 انه الآس . وهو باليونانية المرسين
 عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهبط آدم من
 الجنة بثلاثة اشياء الآسة وهي سيدة الرياحين الجنة
 وتلطف سليمان بن محمد الطرابلسي بقوله :

احب بقضبان آس في سائر الدهر توجد^(١)
 كلها حين تبدو سلاسل من زبرجد
 وقال ابن حجة : تتبع ما قيل في وصف الآس فلم
 اقف على ما أرضاني الا قول القائل رحمه الله واجاد :
 خليلي ما للآس يعبق نشره
 احكى لونه اصداغ ريم معذر
 وصورته الاذان قبل النوا
 وقال :
 عوارض الآس ابدت في موشجها
 نظما باغصانه للنبات خرجات
 وقد حلا لي باوراق ملوزة
 والملوز في الدنيا حلالات
 ونقل الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بسنده
 عن الحسن رضي الله عنه قال حياني رسول الله ﷺ بكلمة
 (١) في النسخة المصرية « في سائر الدهر »

يديه بورد فلما أدنيتيه من أنفي قل ^{سأله} « انه سيد رياحين
الجنة بعد الآس » انتهى

ويلحق به الريحان وهو جنس تحته انواع ترنجي
وحماحي وطترى وطراطر وحمام . ونقل الشيخ جمال الدين
محمد بن نباته في كتابه (شرح العيون في شرح رسالة ابن
زيدون) عند ذكر كسرى انو شروان انه كان جالسا واذا
بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان
لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم قتلها وقال « هكذا نفعل
بعدو من استجار بنا » فلما كان بعد ايام جاءت الحمامة
بحب في منقادها فالقته اليه فأخذه وقال « ازرعوه » فنبت
ريحانا لم يكن رآه ولا عرفه فقال « نعم ما كافأنا الحمامة .
نسأل الله تعالى الذي الهمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته
والشكر على نعمته » انتهى

قال ابن وكيع في الريحان الترنجي :

لم ادر من قبل ريحان مردت به

ان الزمرد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته
ياقوم حتى من الاشجار سراق
ومن محاسن ابي القاسم بن العطار في الحماحي قوله :
اما ترى الريحان أهدي لنا حماما منه فأحيانا
نحسبه في طله والندى زمردا يحمل مرجانا
وأنشدني ذو الوزارتين الشهابي أحمد بن الخلوف
في الريحان الطراطري :

وريحان نضير غض جفنا
وأسبل فوق قامات ذوائب

حككت قضب الزمرد في اخضرار
وآثار الخضاب بكف كاعب
ومن غزل السري الرفا قوله في الريحان الحمام :

قضيب من الريحان شاكل لونه
اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
تشبهته لما بدا متجعدا

عذارا تبدي في سوائف أغيد

ومن مطرب أبي القاسم ابن العطار قوله :

أعددت محتفلاً ليوم فراغي

زوغاً غداً إنسان عَيْنِ الباغي

روض يروض هموم قلبي حسنه

فيه لكأس اللهو أي مساغ

وإذا انثنت قضبان ريحان به

جاءت بمثل سلاسل الاصداع

وقال ابن عبد ربّه :

وريحان يمس على غصون

يطيب بشمه شرب الكنوس

كسودان لبسن ثياب خز

وقد شطحوا بها شيب الرؤوس

ونقلت فيه من خط ابن حجة قوله :

يقول ريحان روضي للنسيم وقد

تعطر الكون منه حين وافاني

سرفت نشري وهاديت الأنام به

وليس تحمل مني عود ريحان

وريحان هذا الذي استعمله ابن حجة أخذه ابن

المعمار وهو :

لما تبدى عذار الحب قلت له

رفقاً ومهلاً عليه أيها الجاني

لا تخش شيئاً فما في الخلد محتمل

بأن يحط عليه عرق ريحان

ويضارعه النمام . قال ابن الجوزي انه حار يابس قوي

التحليل لما في الدماغ من الفضول البلغمية والصداع البارد

ونقلت من خط البدر البشتكي قوله فيه :

اني أرى البستان فيه ثلاثة

عندي بها حسناته آثام

العين صافية به ونسيمه

واش وزهر رياضه نمام

ومن لطائف الصفي الحلي قوله فيه :

ومجلس راق من واش يكدره

وممن رقيب له باللوم ايلام

ما فيه ساع سوى الساقى وليس به

بين الندامى سوى الرياحان تمام

ويعجبني قول ابن تميم :

ولم أنس اذ زار الحبيب بروضة

وقد غفلت عنا وشاة ولوام

أقول وطرف النرجس الغض شاخص

الينا ولانمام حولي الممام

أيا رب حتى في الحقائق أعين

علينا وحتى في الرياحين تمام

ومن محاسن الشام شقائق النعمان . قال صاحب

المفردات : في الثانية وهو صنفان : برى وبستاني . ومن

البستاني ما زهره أحمر ومنه ما زهره الى البياض وله ورق

شبيه ورق الكزبرة الا انه أدق تشريفاً وساقه أخضر

رقيق وورقه منبسط على الأرض وأغصانه شبيهة بشظايا

القصب رقاق على أطرافها الزهر مثل زهر الخشخاش وفي

وسط الزهر رءوس لونها أسود وكحلي الى السواد وأصله

في عظم زيتونة أو أعظم . وأما البري منه فانه أعظم من

البستاني وأعرض ورقاً وأصلب ورءوسه أطول وله زهر

أحمر قان وفيه ما بعضه أحمر وبعضه أصفر وله أصول

حقائق كثيرة وهو أشد حرافة من غيره

ومن الناس من لم يفرق بين شقائق النعمان البري

وبين النبات الذي يقال له «ارغماموني» وزهر الصنف من

الخشخاش الذي يقال له رواس . وهو رمان السعال لتشابه

لون زهرها في الحمرة . وهذا غلط فان زهر الارغماموني

وزهر الصنف من الخشخاش المسمى بالرواس اقل اصباغاً

في الحمرة من شقائق النعمان . غير ان ظهورها في الزهر

كظهور الشقيق . وقوى الشقيق حارة جاذبة فتاحة .

وكذلك الشقيق اذا مضغ اجتذب البلغم . وعصارته تجلو

الآثار الحادثة في العين عن القرحة ، والاكتحال بها

يسود الحدة وينعم الماء النازل ويحدر الطمث اذا احتملت

به المرأة ويدرك اللبن . وإذا خلط زهره مع قشور الجوز
 الرطب صبغ الشعر وقلع الثوباء والله اعلم . انتهى المعنى
 وفيه يقول الشريف الرضي :
 لجام تسكون من عقيق احمر
 مثلث دوائر بمسك اذفر
 خط الربيع قوامه فأقامه
 بين الرياض على قضيب اخضر
 بلدنا العلاء بن ابيك الدهشقي قواه فيه
 وشقيقة حمراء ذات توقيد
 مطوية في اليوم تشر في غد
 فكان حمرتها وحسن سوادها
 خد الحبيب زها بخال اسود
 وانشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصنائع
 الشهاب الخلوفا :
 خلت الشقيق وقد يرى في زرعه
 شققاً تقطع في سماء زمرد

وكان اسوده اذا لا حظته
 آثار كحل في لواحظ ارمد
 وتقلت من خطه والشدني :
 ما للشقائق اذ ابدى الربا زهراً
 يفتقر عن مبسم كالدر منتضد
 اسود باطنها من نوره حسداً
 حتى الشقائق لا تخلو من الحسد
 وانشدني وتقلت من خطه :
 وروضة أنف ابدى الغمام بها
 شقائقاً شكلها يبدي لمن رمقا
 غيرى بكث وأبانت شعرها وذوت
 فضل النقاب وأدمت خدها حنقا
 وتقلت من كتاب (خاتل العطار) للدنيسري احمد
 العطار قوله :
 كفى الروض حسنا ان بين زهوره
 شقيقة نعمان تلوح وتبتدي

كجام عقيق وسطه قرص عنبر
وخذ به خال ومقلة أرمَد

ونقلت من خط ابن حجة قوله :

سألت الشقيق الغض عن نقطة بدت

على خده والروض منها تعطرا

فقال سواد المسك هام بوجنتي

وقد أكثر التقييل فيها فأثرا

وقال أيضا التقوى ابن حجة :

أنهض الى جنة روض زاهر

لا يعتريك في مقالي شك

وانظر الى كأس شقيق ملئت

رحيق طل واختام مسك

ونقلت من خط القاضي بدر الدين الدماميني للملكي

الاسكندري :

سوادك يازهر الشقائق قد زها

بحمرة أوراق يروق سناؤها

يحكي قلوباً بالصدود تسودت
وجرحها لحظ فسالت دماؤها

ومن بديع اكتفائه قوله :

شقائق النعمان ألهو بها

ان غاب من أهوى وعز اللقا

واخذ في القرب نيمي وان

خاب فاني أكتفى بالشقا ئق

ومن غزل ابن منقذ قوله :

الا عجب صاغ الربيع من الزهر

مداهن تبر لم يصفن من التبر

شقائق في اغصان تبر كأنها

خدود بدت فيها عوارض من شعر

ومن غزل ابن وكيع :

شقيقة جاءتك من روضة

يقصر عنها كل مشموم

سوادها في صبغ ممرها
 كشامة في خد ملطوم
 وقال بعضهم :
 وبين الرياض الجون زهر شقائق
 مطاردها جمر أسافلها سحيم
 كما طرحت في الفحم نار ضعيفة
 فن جانب جمر ومن جانب فحم
 اخذه ظافر الحداد الاسكندري :
 وللشقائق جمر في جوانبه
 بقية الفحم لم يستره باللهب
 وما ارشق قول ابن رشيق :
 رأيت شقيقة حمراء باد
 على اطرافها لطح السواد
 يلوح بها كأحسن ماتراه
 على شفة الصبي من المداد
 وقال آخر :

شامتك السوداء يا قاتلي
 في خدك الأحمر تحكي الشقيق
 شقت قلبي مع سويدائه
 فصار قلبي في هواها شقيق
 وقال الميكالي وابدع :
 تصوغ لنا كف الريح حداثا
 كعقد عقيق بين سمط لالي
 وفيهن نوّار الشقيق وقد حكي
 خدود عذارى نطقت بفوالي
 ومن محاسن ابن حمديس الصقلي قوله :
 ولم تر عيني بينها كشقائق
 تبليها الارواح في الورق الخضر
 كما مشطت غيد القيان شعورها
 وقامت لرقص في غلائلها الحمر
 قوله :

وترى شقائقه خلال رياضها
 اوفت مطاردها على أزهارها
 فكانها والريح يصقل خدها
 والسحب تملأها بماء نضارها
 أقداح يا قوت لطاف أترعت
 راحاً فبات المسك حشو قرارها
 وكأنها وجنات غيد أهدت
 بخدودها حمرا خطوط عذارها
 ونقلت من خط الجمالي علي بن الكمال ظافر الخزرجي
 من كتابه (التشبيهات) :

انظر الى حسن شقيق الربا
 تنظر الى ما يحمل الزهرا
 من كل حمراء بها نقطة
 سوداء طابت بيننا نشرها
 كمثل خد فوقه شامة
 مسودة قد انبتت شعرا

او قطعة المسك اذا القيت
 في وسط كأس ملئت خمر
 ومن مخترعاته قوله :

ولاح لنا زهر الشقائق تابعا
 كمثل زنوج ضرجتها دماؤها
 ومن دقائق ابن وكيع قوله :

قم فاسقني يا رفيقي من السلاف الرحيق
 اما ترى الطل يحكي على احمرار الشقيق
 لآثامها ضمنها مداهن من عقيق
 واحسن منه :

والشمس لا تشرب خمر الندى
 في الروض الا بكنوس الشقيق
 ومن أهاجي جمال الدين الخزرجي قوله :

اني لا بنض في الشقائق منظراً
 سمجاً لان اديمه لون الدم

فكأنما هي جراح طعنة السمير تملة
قد شدة اوسطها بقطعة مرهم
وقال أبو النصر سالم بن سعاد الحمصي في الشقيق
والترجس:

وروض اريض من شقيق وترجس
لنوريهما من تحت قضب الزبرجد
خدود عقيق تحت خيلان عنبر
واجفان در تحت أحداق عسجد
ومن بليغ الارجاني قوله:
لما تباشر اصباحاً شقائقها

بانت وكانت قصها حمرا
ردت على رأسها الاذبال من طرب
لجعلهن على من بلغ الخبرا
وقال الصنوبري في الورد والشقيق:

قد أحدق الورد بالشقيق فاشرب عقيقاً على عقيق
كأنه حوله وجوه مستشرقات على حريق

وقال أبو نصر في الشقيق والسوسن:
وروضة زهرها عند الصباح غدا
يدعو النداحي الى شرب بتغليس
مثل أعراف الديوك لجهل
وسوسن مثل أعراف اللطواويس
وقال القاضي غياض رحمه الله تعالى:
والقيا نظرنا الى الزرع وجمانه
تحكي وقد هبت عليها الرياح
كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

ومن محاسنه قوله فيه:
شقيقة شق على الورد ما
قد كسيت من خالص الصبغ
لما بدت وجنة
قد يان فيها طرف الصدغ
ومن محاسن الشام الينلوفر وهو أصفر وازرق

وبنفسجي واحمر . قال ابن الاثير في عجائبه يسمى « حب العروس » . وهو نبات هندي واكثر ما ينبت بنفسه في مستنقعات الماء وراكدها ولا ينبت الا في الماء العذب الواقف من ارض طيبة ومن شأنه أنه يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت ، ويزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس ، فاذا اخذت الشمس في الهبوط اخذ في الانضمام حتى يكمل انضمامه عند غيبوبة الشمس ويغطس في الماء . ويقال ان طائراً لطيفاً يدخل في الزهر وينضم عليه ويغيب في الماء ليله فاذا أصبح طلع وتفتح فيخرج الطير

وهو بارد رطب مسكن للصداع الحار ويكسر شهوة الجماع وينفع من الاحتلام اذا شرب منه درهم بشراب الخشخاش ويحمد المني . قال ابن البيطار : في الرابعة هو نبات له ورق شبيه بورق القلقاس الا انها ارق واسمه فارسي معناه النيل له اجنحة تنبت في المياه الراكدة والاحام وورقه من اصل واحد . وقال ابن الجوزي : شبه البنفسج في قوته ومنفعته إلا انه ابرد وأرطب يذهب وجع

الاسنان اذا استعمل مضغته وينقي السواد والبلغم وانفعه الاصفر وهو من خواص الشام . انتهى وفيه يقول الموطوعى وابدع :

وبركة حفت بنيلوفر
قد جمعت من كل لون عجيب
كأن نيلوفرها عاشق
نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى إذا الليل دنا وقته
وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه عسي في السكرى
ينظر من فارقه عن قريب
وقال فيه :

خناجر من خناجر ترعت
وهي على الماء من دم حمر
ومن لطائف الباخريزي قوله فيه :

اشرب على بركة نيلوفر
مخضرة الاوراق حمراء
كأنما ازهارها اخرجت
السنة النار من الماء

ومن تشايه ابن حمديس الصقلي قوله :
ونيلوفر أوراقه مستديرة
تفتح فيما بينهن له زهر
كما اعترضت خضر الفراش وبينها
عوامل ارماح أسنتها حمر
ومن مقاصده قوله فيه :

لا تغفلن عن الصبوح وقم بنا
نعم بطيب لداذة للأففس
في بركة تبدى لنا نيلوفرا
خضلا تضحكه عيون النرجس
كأسنة من فضة قد خضبت
بدم ولقت في عصائب سندس

ومن محاسن ابن سجنون خطيب النيرين قوله :
يا حسنه نيلوفرأ في مائه
طاف وفي احشاه نار تسعر
يحكي أنامل عادة مضمومة
جمعت وزينها خضاب أخضر

ومن غراميات عبد الجليل بن دهبول قوله :

وبركة ترهو بنيلوفر نسيمه أشبه ريح الخبيب
حتى اذا الليل دنا وفته ومالت الشمس حين المغيب
اطبق جفنيه على إلفه وغاص في الماء حذار الرقيب

ومن تشايه ابن تميم قوله :

ونيلوفر كالزهر شكلا ومنظرا
محاسنه فيها اللواحظ ترتع
وكل نجوم لكن الفرق انها
تغيب صباحاً وهي في الصبح تطلع
وقال فيه :

وناظر نحو عين الشمس يرقبها
حتى اذا غربت اغضى بتنكيس
كانه ودروع الماء تشمله
تحت الشعاع كالليل الطواويس
ومن بدائع قوله (١) :

نيلوفر النيل قد ابدى تلونه
واحر وارزق من شامينا وشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه
يسمو وانت بليد وهو فيه ذكا
وقال فيه :

ونيلاوفر حاكي النجوم جهالة
ولم يدر أن الزهر يعنو لها الزهر
فلما بدا في الليل نكس رأسه
حيًا واختفى في الماء حتى بدا الفجر

(١) وفي نسخة : ونقلت من خط التقوي بن حجة وأجاد ثم
أفاد بقوله

ومن بدائع قوله :
ونيلاوفر يحكي النجوم وماؤه
يحكي سماء لا يغيرها وصفا
يقيب كما غابت ويبدو كما بدت
ويشبهها شكلا ويفضلها عرفا

ومن مقاصده قوله فيه :
ياحسن نوفرة (١) صفراء حين بدت
ابدت شامينا عن منظر عجب
كانها حية في الماء سابحة
يبدو على رأسها تاج من الذهب
أحمد بن الخلوف رحمه الله تعالى :
ونيلاوفر شبيته في غديره
بقايا سلاف في كتوس زجاج

(١) قال الزبيدي في التاج ان الماء يسمى نيلوفر
« نوفر » كجواهر الماء كدعي

تمثل أذنان الطواويس اذ غيدا
يموه بالياقوت صفحة عاج
بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي قوله :

يا حسنه في بركة قد أصبحت
محشوة مسكا يشاب بنده
وكأنه اذ غاب عند مسائه

في الماء واحتجبت بضارة قاه
صب تهدده الحبيب بهجره
ظاهراً ففرق نفسه من وحده

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم فيه :

لما حكي زهر الكواكب نوفر
واقم وهو على المطال حريض
خاف الحريق وقد رمته بشبهها

فلذاك امسى في المياه يغوص

وقال فيه :

نيلوفر [غض] تلبس ماءه يوماً وتاه على النجوم بدوبه

لحظته أعينها فنكس رأسه خجلاً وغاص من الحيا في ثوبه
ومن محاسن الشام البان . قال ابن البيطار : شجره يسمى
ويطول في استواء ، وخشبه خوار خفيف وقضبانة سمجة
خضر وهده ينبت في القصاب وهو طويل أخضر شديد
الخضرة وثمرته تشبه قرون اللوبيا الا ان خضرتها شديدة وفيها
حب فاذا انتهى انفتق وانتثر حبه ، وهو ابيض أغبر نحو
الفستق ومنه يستخرج دهن ويقال لثمره السوع^(١) وهو مربع
ويكثر على الجذب واذا أرادوا طبخه رض على الصلاية وغر بل
حتى ينغزل قشره ثم يطحن ويعتصر وهو كثير الدهن
ودهنه ينفع من الكلف والبش ومن الجرب والحكة والعلة
التي يتقشر منها الجلد ، ويأطف صلابة الكبد والطحال
وماؤه يستخرج في شهر كانون الثاني ، يشد القلب . وخشبه
يعمل منه الخلالات وهو عطار الرائحة
الشباب الفاريف محمد بن العفيف التماساني رحمه الله :

(١) في مفردات ابن البيطار « السوع » وفي كتب اللغة

« السباع » كسحاب

تبسم زهر البان عن طيب نشره
وأقبل في حسن يحل عن الوصف
هـاموا اليه بين قصف ولذة
فان غصون البان تصلح للقصف
ومن لطائف ابن قريظ قوله :
مذاقبل الصيف وولى الشتاء
أما ترى البان على غصنه قد قلب الفرو الى برا
ومن اغراض ابن تميم قوله :
ياهاجر أروضا لاجل البان اذ ولى به والورد فيه مصان
أرأيت روضا شرب فيه ورده ينسى اذا ماشاخ فيه البان
ومن محاسن الشام « قف وانظر » قال ابن البيطار :
هذا من خواص (دمشق) وما والاها من أرض الشام ،
ويعرف بالآس البري . وهو نبات له ورق شبيه بورق
الآس البستاني الا انه اعرض منه وفي طرفه حد شبيه
بطرف سنان الرمح وله ثمرة مستديرة في وسط الورقة
بعرق اخضر يشبه الشريط واذا انضجت كان لونها احمر

كالمرجان وفي جوفه حب صاب وله قضبان شبيهة بقضبان
النبات الذي يقال له لوقس كثيرة مخرجها من اصل واحد
طولها نحو من ذراع بواحد مملوءة ورقا [وأصله شبيه بأصل
النبات الذي يقال له اعسطس اذا ذيق كان ^(١)] عفصامائلا
الى المرادة وورق هذا النبات وثمره اذا شربا بالشراب ادرا
البول وفتتا الحصى وادرا الطمث وقد يبرىء اليرقان وتقطير
[البول] والصداع وينبت في مواضع خشنة واجراف
قائمة . انتهى

وأما تمر اخنا فانه يطلع خارج البلد في الغور وفي
الارض الحارة من قرى الشام ويعمل منه دهن . وفيه
يقول السراج الوراق :

ودوحة تامر لما تبدت كاذناب الثعالب في المثال
عليه دق كافور سحق تضحك بالمسوك وبالغوالي
ومن تشاييه تاج الدين السكندی فيه :

(١) هذه الزيادة من مفردات ابن البيطار في مادة (آس بري)

ودوح رياض كلما استقطر الندى
اعار بسيط الارض ثوب ظلال
تري تمر الحناء فيه كأنه
اكف عذارى في شباك لآلى
وانشدني فيه الشيخ علاء الدين على البلاطنسي الشافعي :
سابق الى رشف الطلاء بحديقة
فيها خدود قد زهت وتغور
قد خلت فيها تمر حناء غدا
شبه الكفوف الى المدام يشير
ومن محاسن الشام الحيلاني وهو شجر يشبه الصفصاف
غير انه في اوائل الربيع تصبغ جميع أغصانه بالاحمر كقضب
المرجان وله رؤية بديعة
وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك
الصفدي :

لنا حيلانة قد حالفتنا
تسر بها الخواطر والعيون

فقلت لصاحبي لما تبنت
مضى تبنت من الشفق الغصون
ويلحق به شجر الزنخلة وله زهر طيب الرائحة
يخرج في أيام الورد . وفيه يقول مؤلفه البدري :
وزنخلت أبيض مع أحمر في غصن
كالدُر والياقوت أو ثياب خام يمني
وكذلك شجر السرو فان رؤيته حسنة وأكثر ما
يوجد بدمشق

وفيه يقول احمد بن وضاح :
يا سرو لا يجتزئ منابتك الحيا
ولا يز عن أغصانك الورق النضر
وقد كسيت اعطافك اللد مثما
تلف على الخطي رأيت الخضر
وانشدني ذو الوزار تين احمد الخلوف التوماني المالكي :
وسروة شق النسيم رداءها
فابتدت فصوص التبر في الحلال الخضر

كزنجية ماست بغننج وشمرت
عن الساق ذيلوا اكتست حلة الشعر
إذا سقيمت كأس الهنا قضب سوقها
امالت رءوسا لا تمل من السكر

ونقلت من خطه وانشديني :

وسرو كزنج شمرؤا الذيل اذ غدوا
يهزهم خفق الربابة للطرب
إذا مشطت ايدي النسيم فروعها
تري حللا خضرا تررر بالذهب

وفيه من رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر
قوله « والاغصان قد اخضر نبت عارضها ، ودنانير
الازهار ودراهمها تهيأت لتسليم قابضها . والخور قد
حاور السهي بالتباشير ، والسرو قد كشفت عن سوقها
وقالت لها الغدران بهديرها انه صرح بمرد من قوارير »
وانشدني شيخنا العلامة بقية السلف ابراهيم
الملاح :

ولما رأيت السرو في الروض مائسا
وايدى الهوا فيه تزيد وتنقص
حسبت رفاعيا اتى قاعة الهنا
واسبل فيها شعره وهو يرقص

قلت : وجميع هذه المحاسن بالخواكير ، غير ان الماء
لا يصل اليها الا بجهد كبير . لعلوها عن (نهر يزيد) ،
فاصطنعوا لها الدولاب ودورانه بكل بهيم شديد . وفيه
يقول ابن لؤؤ الذهبى :

حا كورة دولابها الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها دار عليه وبكى
ودار في دولابه الصلاح الصفدي حيث قال :

ابدى لنا الدولاب قولاً معجبا
لما رأنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى
قلبي معي وانا ادور عليه

والاصل فيه قول ابن تميم فيه :

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى

ودمعهما بين الرياض غزير

وضاع النسيم الرطب والروض منهما

فاصبح ذا يجري وذاك يدور

ومن معاني ابن دمرdash قوله فيه :

ونرب دولاب سقى دوح الحمى

فاعادها سكرى على الاطلاق

وجدت كوجدي بالهوى فخارها

مثلى وحقق من عيون الساقى

ومنه قول الشهاب الخفاجي :

حالة الدولاب دلت انه في فرط حزن

كان يسقى ويغنى صار يسقى وينني

وتقلت من خط احمد بن صالح قوله :

دولابنا صب طليق دمه

مأسور حب قلبه وضلوعه

يبكي على فقد الاحبة نائراً

من بعدم جهد المقل دموعه

ومن لطائف ابن تميم قوله :

ودولاب روض كان من قبل اغصنا

تميس فلما فرقتهما يد الدهر

تذكر عهداً بالرياض فكاه

عيون على أيام عهد الصبا تجري

ومن معاني الأسعدي قوله :

شاهدت دولاباً له ادمع

تسكفت للروض بالرى

فاعجب له من فلك دائر

ما فيه برج غير ما نرى

ومن محاسن الشام ارض (المرّة واللوان) فان حكاء

اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصاح لزراعة الازهار ورأوا

طبيعة ارض الجانب القبلي اختاروها لغرس الاشجار

فنه الشمس وهو أحد وعشرون صنفاً بدمشق :

حموى ، سندیانی ، اویسی ، عربیلی ، خراسانی ، کافوری ،
 بعلبکی ، لقیس ، لوزی ، دغمشی ، وزیری ، کلابی ،
 سلطانی ، حازمی ، ایدمری ، سینی ، بردی ، ملوح ، فراط
 النجانی ، جلاجل القلوع

قال جالینوس فی السابعة وهي ثمرة باردة أحسن من
 الخوخ وأجود منه لكونه لا یفسد كما یفسد الخوخ فی
 المعدة ولا یحمض . وإذا أكل المشمش بعد الطعام فسد
 وطفا فی رأس المعدة وإن كان فیها فضل رديء استحال
 الى طبیعة ذلك الفضل فلا یؤكل الا قبل الطعام ویشرب
 فوقه السکنجبین

وقال دیسقوردوس : فی الاولى له طعم أحسن من
 طعم الخوخ وأجود للمعدة ویسهل الصفراء ویولد خلطاً
 عظیماً غلیظاً
 وقال الرازی فی (الحاوی) اتانی رجل أبخر فحسنت
 أن المشمش ینذهب بخره ، فاطعمته من رطبه فذهب
 البخر . ثم كان یستعمل تقیعه دائماً فلا أحسب أنه یوجد شیء

أشد للتبرید منه . وقال أيضاً فی كتابه (دفع المضار) انه
 یبرد المعدة جداً ویورث الجشاً الحامض ویقمع الصفراء
 والدم . ولا سیما ان كانت معه ادنی مرارة . وینبغي أن
 یجتنبه من تكثر به الراح ومن یسرع الیه الجشاً الحامض
 وإذا اخذ علیه الشراب الصنف والجوارشن السکونی
 والسکندری نفعه . فاما اصحاب المعدة الحارة والجشاً الدخانی
 والعطش الدائم فکثیراً ما ینتفعون به ولا سیما فی يوم بعد
 يوم ویوم یمسهم فیه حر وعطش ولا ینبغي ان یشرب علیه
 ماء الثلج . ویؤخذ لمن ینکر من أكله الاهللیج ثم یزر
 الرازیانج والسكر لیؤمن بذلك من المائبة التي تقول
 عنه فی الدم فانها تنعفن علی الایام وتهیج الحیات ان لم
 تتدارك بما قلناه الا أن ینکر من التعب حتی یجری منه
 العرق البکثیر وتصیبه هیضة قوية أو ید من شرباً قویاً
 یغزر علیه بوله وعرقه . وأقل ضرراً من جمیع اصناف
 المشمش الحموی لرقه حاشيته وحسن طعمه وحلاوته وعطر
 رائحة نواره

وفيه يقول جحظة :
 ومشمش زهره كالزهر مشرقة
 بحسن ما فيه من نور ومن نور
 كأن مجمره في وسط أبيضه
 حكى عقيقا على جامات بلور
 وقال ابن سينا المشمش له نوار ابيض مسدس مخضب
 بالجرة عطار الرائحة ، ثم يعقد مع اخراج الورق كاللوز
 الاخضر بقاب ابيض ويخشب ويطبخ منه الطعام
 المعروف بالشمشية ثم يصفر ويأخذ في الانضاج حتى
 ينتهي فينشف ويحمل منه الى البلاد
 وفيه يقول محمد بن عطية بن حنان الكاتب القيرواني :
 ومشمش ما بدا يوما لذي بصر
 الا واصبح بين العجب والعجب
 كأن مخبره وصفا ومنظره
 شهد تكتفه قشر من الذهب
 ومن تشاييه ابن وكيع قوله :

بدا مشمش الاشجار فيها كأنه
 يلوح على تلك الغصون الموائل
 قباب بمحمر الذبائح ضرجت
 وقد زينت من عسجد بجلاجل
 وتقلت من خط الشرف القواس الدمشقي :
 خلت في الروض مشمشا جاء في الحمل بالعجب
 كسما من زبرجد بنجوم من الذهب
 ومن محاسن بلدينا العلاني بن ابيك :
 ومشمش جاءني من أعجب العجب
 اشهى إلى من اللذات والطرب
 كأنه في هبوب الريح تنشره
 بنائق خرطت من خالص الذهب
 ومن تشاييه الصلاح الصنفدي قوله :
 بدا مشمش الاشجار يذكي شهابه
 على حسن أغصان من الدوح مبد

حكى وحكت اشجاره في اخضرارها
جلاجل تبر في قباب زبرجد
ومن لطائف ابن تميم قوله وقد اهداه لبعض أصحابه :
امولاي عز الدين يا من جميله

الى قاصديه ما عليه عيار
جسرت وقد اهديت نحوك مشمشا

وذلك شيء ما عليه غبار
وما كان هذا لونه غير أنه

علاه خوف الرد منك صفار

ومن محاسن الشام القراصيا : وهي سبعة اصناف
رشيدية ، بعلبكية ، افرنجية رومية ، طعامية ، بزره ،
وفيجية - نسبة لقريه عين الفيحة ، وهي تحمل منها الى
السلطان بالديار المصرية - وأحسنها البلدية المنسوبة لواد
مكرم وهو بين الربوة الى تحت صحن المزة

قال ضياء الدين بن البيطار : القراصيا أنواع ، فمنها
الحلو والمر والعفص والحامض ، فالخلو منه حار رطب في

الدرجة الثانية ينحدر عن المعدة سريعا ويشير التخم ويرخي
المعدة ويستحيل مع كل طبع واذا اكل اسهل البطن ولين
الطبيعة ولا سيما اذا ابتلع بنواه وهو مع ذلك يزيد في
الانعاظ

وقال اسحاق بن عمران : خلط القراصيا غليظ مزلق
فاسد الغذاء يولد السوداء ، وحامضه الذي لم يطب قاطع
للعطش عاقل للبطن

وقال ديسقوريدوس : في الاندلس حب الملوك وفي
بلاد الروم السكراز ، وهي شجرة معروفة أغصانها سبطة
مشوبة بحمرة ولها ورق أطول من ورق المشمش ولها ثمرة
شبيهة بحبة العنب في التدوير ، تتدلى في شيء شبه الخيوط
الخضر اثنان اثنان في الغالب وازيد من ذلك ، ولونها
أحمر ومنها ما يكون اسود وأشقر ، وفيها ما هو منصبع
ببعض حمرة

وهو في الاولى ، وان استعمل رطبها لين البطن ،
وان استعمل يابساً أمسك البطن ، وصمغها اذا خلط

بشراب ممزوج بماء - يبريء السعال ويحسن اللون ويحد
البصر وينهض الشهوة وينفع من به حصاة
وقال جالينوس: في السابعة وفيه قبض ولكن ليس
هو سواء والحامض أكثر قبضا وينفع المعدة الباغمية
المملوءة فضولا لان الحامض يجفف أكثر من تجفيف
العفص والحلو. وصنع هذه الشجرة فيه من القوة العامة
للموجودة في جميع الادوية الازجة التي لا تلذع معها فهي
كذلك نافعة من الخشونة الكائنة في قصبة الرئة. واذا
شربت بشراب نفعت صاحب الحصاة لان فيها قوة
لطيفة

وطعام القراصية نافع ولذيذ وسهل والله أعلم. اهـ
وفيه يقول مؤلفه رحمه الله:

كانما القراصيا لما بدت للنظر
حبة مرجان ترى في رأس خيط أخضر
وله أيضاً:
تحكي القراصيا وقد لاحت بعرق انضر

كنجمة في شفق بدت بذيل أخضر
وله أيضاً:
ان القراصية التي زهت بلون مورد
كعقبة حمرا بدت بعلاقة تحكي الزبرجد
ومن محاسن الشام الكثيرى. وهو باليونانية الانجاص
وهو أصناف: عثمانى. عيلانى. خلانى. سمرقندى.
صينى. ملكى. صفلى. مغاربى. يبرودى. رجبى.
درسى. قناديلى. خنافسى. معنقى. دهرورى. عربى.
بعلبكى. ماوردى. عقربانى. شتوى. صيفى. سكبرى
قهلى

قال ابن سينا: وفي بلادنا نوع من الكثيرى يقال له
شاه امرود كبير الحجم شديد الاستدارة رقيق القشرة
حسن اللون وكأنه ماء سكر منعقد جامد يميل الى الصفرة
يتكسر للجمود لا لغلظ الجوهر طيب الرائحة جداً اذا
سقط عن شجره اضمحل وهذا مما لا مضرة فيه ولا
يحمل من بلده وهو معتدل رطب

وقال جالينوس : ورق الكمثرى واطرافها قابضة فلما
ثمرتها ففيها مع قبضها حلاوة ومائية . واجزاء هذه الثمرة
ليست متساوية المزاج وان منها ما هو أرضى ومنها ما هو
مائي . وان شئت قلت من وجه آخر بعضها بارد وبعضها
معتدل المزاج . من اجل ذلك متى اكل الكمثرى قوى
المعدة وسكن العطش ، ومتى وضع كالضماد جفف وجلا
جلاء يسيرا ، وبهذا السبب أعلم اني قد ادمت به جراحات
عند ما كنت لا أقدر على دواء آخر
والكمثرى البري اكثر قبضاً وتجهيفاً من سائر
الكمثرى فهو لذلك يدمل ما هو من الجراحات ويمنع المواد
من التحلب

وقال (ديسقوريدوس) : في الاولى الكمثرى وهي
اصناف كثيرة وكلها قابض ، ولذلك يستعمل في الضمادات
المالئة من مصير المواد الى الاعضاء . واذا أخذ أو شرب
طبيخه بعد أن يجفف عقل البطن ، واذا اكل الكمثرى
والمعدة خالية اضر بآكله . وورقه ايضاً قابض ، ورماد

خشبه قوي المنفعة للذين يعرض لهم خنق من اكل الفطر
وهو ما يظهر بارض الشام على ضرب السكاة . وقد قال قوم
انه اذا طبخ الكمثرى البري مع الفطر يمرض آكله

واعترض اسحق بن عمران على قوله في ان الكمثرى
اذا اكلت على الريق تضر بآكلها ولم يخبر بالسبب في
ذلك ولا أى الكمثرى يفعل ذلك . فأقول انه ذم الكمثرى
على الريق اذا اخذ على سبيل اللذة والغذاء لا على سبيل
الحاجة والدواء ، وخاصة اذا كان عفصاً او قابضاً ، وان كان
العفص اخض بذلك لان من خاصيته ان الاكثار منه
يولد النفخ فاذا اخذ على خلاء المعدة تمكن من جرمها وقام
فعله فيها ولم يؤمن على صاحبه مع الادمان عليه أن يورثه
قولنجا يعسر انحلاله . فأما على سبيل الحاجة للدواء فان
استعماله على الريق لا محالة أفضل لان استعماله بعد الطعام
مطابق وزائد في ضعف المعدة لانه بافراط قبضه يجمع
أعلى المعدة وتظهر القوة الممسكة التي في أسفلها . وأما العفص
من الكمثرى فهو أقل غذاء واقطعها للاسهال والتي المراري

وأشدها مثونة للمعدة والامعاء، لانه لا فراط خشونته
وغلظ جسمه وبعد اتقياده مضر بعصب المعدة جداً.
ولذلك وجب أن يتلطف له بما يرخي جسمه ويزيل غلظه
ويلين خشونته مثل سلقه في الماء أو تعليقه على بخار الماء
حتى ينضج أو يلبس عجيناً ويشوى ويربى بسكر الطبرزد
أو عسل على حسب مزاج المستعمل له

وقال البصري: الكمثرى الحلو بارد في الاولى يابس
في الثانية والصيني منه بارد في الدرجة الثانية رطب في
الدرجة الاولى وفيه عطرية وقبض وتقوية القلب والتفاح
خير منه

وقال اسحق بن عمران: الحامض منه دابغ للمعدة
مدر للبول مشه للأكل

وقال بقراط: ما كان من الكمثرى صلباً فهو يبرد
ويجفف ويعقل البطن وما كان ليناً نضيجاً حلواً فهو
يسخن ويرطب ويطلق البطن

قلت وخالف البصري في قوله «والكمثرى ألد من

التفاح وما يتولد منه في البدن احمد مما يتولد من التفاح
وهو أسرع انهضاماً

وقال الرازي في (الحاوي): الخالص من الخلاوة
من الكمثرى لا يبرد، وأكله يعقل البطن إلا أن يؤكل
بعد الطعام فيسرع باحذار الثقل ثم تكون عاقبته عقل
البطن. والصيني أقل ماء وأقوى فعلاً وأشدها عقلاً
وأكثرها في تسكين العطش

وقال في كتابه المسمى بدفع مضار الاغذية: الكمثرى
كثير النفخ بطيء الانهضام. وينبغي أن يحذره من
يعتريه القولنج ولا يشرب عليه ماء بارداً ولا يأكل بعده
طعاماً غليظاً، وإذا أكل منه فليكن على جوع صادق،
وليطل النوم بعده ويشرب عقيبه شرباً باعقياً صرفاً أو يأخذ
عليه زنجبيلاً مربى ثم يجعل ادامه في ذلك اليوم مرققة
اسفيداباجة أو مرق مطبونة ويدع لحما ولا يتعرض للمشوى
وان أكل مع السمين المهري بالطبخ لم يضره ذلك. والكمثرى
مقو للمعدة ضار للمبرودين ومن يعتريه القولنج وشده

أخيه وأقله حلاوة ونوار السكثري أبيض مستدير مشرق.
أكبر من نوار الخوخ وأعظم رائحة. انتهى والله أعلم
وفيه يقول عبد الله بن برغش :

وكثري تراه حين يبدو

على الأغصان مخضر الثياب

كندى خريدة أبدته تيبها

له طعم الذ من الشراب

وما ادرشق قول ابن رشيقي فيه :

نظرت الى البستان احسن منظر

وقد حجب الأغصان شمس المشارق

به زوج رمان يلوح كأنه

قناديل تبر محكمات العليق

ومن تشابهه ضررٌ درّ قوله فيه :

حي بكثرة لونها

لون محب زائد الصفرة

تشبه نهد البكر ان اقعدت

وهي لها ان قلبت سره

ومن محاسن الشام التفاح. وهو بدمشق اصناف

كثيرة فلنذكر بعضها : سكري . مسكي . فتحي . صيني .

شتموي . بلدي . صيفي . قاسمي . فاطمي . تحاني . فضي .

حديثي . جناني . حريستاني . لبناني . حلواني . دهشاوي .

اخلاطي . بريري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول

قال البصري : نواره اشبه شيء بازرار الورد عند

ظهوره ثم يفتح مع اخراج ورقه برائحة طيبة الشذا

وفيه يقول ابن عمار :

وزهر تفاح اضحى الغصن منتظما

كأنه لؤلؤ يبدو وياقوت

وللرياض على ارجائها ارج

كان فيه ذكي المسك مفتوت

قالت الحكماء : جسم التفاح صديق الجسم ، وريحه

صديق الروح

وقال جالينوس : في السابعة ومنه ماهو حلو ومنه مافيه
عفوصة ومنه مافيه قبض ومنه حامض ومنه ما بين الحموضة
والحلاوة مسيخ الطعم وما كان منه على هذه الاوصاف
فالاغلب عليه طبيعة الماء يكون مزاجه ابرد وارطب معاً ،
وأما الذي فيه عفوصة فالاغلب عليه المزاج الارضى البارد
وأما القابض منه ففيه هذا الجوهر المائي البارد كما أن في
الحلو منه جوهرأ مائياً معتدل المزاج . وكذلك يمكنك
أن تستعمل منه ماهو أشد قبضاً واكثر حموضة في ادمال
الجراحات وفي موضع مايتحلب في ابتداء حدوث الاورام
الحارة الى موضع الورم وفي تقوية فم المعدة عند استرخائها
ويستعمل منه ماهو مسيخ الطعم ولا طعم له - كالماء -
في مداواة الاورام التي هي في ابتدائها والتي في زيادها وفي
جميع التفاح رطوبة كثيرة باردة ، ومما يدل على ذلك انه ليس
منه ولا واحد تبقى عصارتها ، بل جميعه اذا عصر فسد عصيره
خلا السفرجل فان عصارتها تبقى . واليونانيون يدخلونه في
عداد التفاح المسمى نيطروما فان هذين النوعين لشدة

قبضهما ليس فيهما من الرطوبة الا اليسير ، وأما تلك الانواع
من التفاح فكما ان طبخت عصارتها مع العسل صار منها
رب يبقى وان تركت وحدها لم يبق

وقال الرازي : التفاح مقولم المعدة موافق للمحرورين
الا انه بطيء الهضم وينفخ ولا سيما الفج الحامض وكذلك
ينبغي ان لا يشرب عليه من يحد منه ثقلاً في معدته ماء
بارداً ولا يأكل عليه طعاماً حامضاً بل يشرب عليه الشراب
ويأكل اوراق المطجنات

وقال الحكماء ان من خاصيته توليد النسيان ويكسل .
واذا اخذ اليسير منه نفح من الوسواس السوداوي . وأكل
التفاح يحدث الخلط في البراز وشمه يقوي الدماغ والنفس .
والله أعلم بالصواب

وفيه يقول الزين الخراط في جارية أهدي اليها تفاحة :
وعذراء أهديت تفاحة اليها فقالت تفكه بشاتي
حديثي تفاحه سكري كفتحي وتفاح خدي جناني
واحسن منه قول صلاح الدين بن شاكر الكتبي :

وغادة تيمنى حبها تقول صف خدي بالاحمر
فقلت فضى غدا مخضبا قالت حديثي قلت ذاك سكري
ومنه قول جلال الدين ابن خطيب داريا :

قالت العذراء لما شئت المنع بمنحى
هاك تفاح حديثي حلولا تطمع بفتحي

ومن محاسن صاعد اللغوي قوله :

تفاحة اذكرني نصفها خد حبيبي يوم عانقته
ونصفه الآخر شبهته بلون وجهي حين فارقته

ومن نفشات ابن حبيب قوله :

وتفاحة فيها احمرار وخضرة

مضمخة بالطيب من كل جانب

تكامل فيها الحسن حتى كأنها

تورد خد فوق خضرة شارب

ومن مقاصد ابن نباتة قوله :

كرات عقيق في غصون زبرجد

بكف نسيم الريح منها صوالج

نقلها طورا وطورا نسما
فهن خدود بيننا ونوافج
وما أرسق قول ابن رشيق القيرواني :

تفاحة شامية من كف ظبي اكحل
ماخلقت مذخلقت تلك لغير القبل
كأنما حمرتها حمرة خد خجل

ومن لطائفه قوله :

وتفاحة من كف ظبي أخذتها

جناها من الغصن الذي شبه قده

لها لمس رذفيه وطيب نسيمه

وطعم لما فيه وحمرة خده

ومن لطائف بشار بن برد :

وتفاحة من خالص التبر نصفها

ومن جنانار نصفها وشقائق

كأن الهوى قد رد بعد تفرق

لها خد معشوق الى خد عاشق

ومن أغراض الصاحب بن عباد قوله :

ولما بدا التفاح أحمر مشرقاً

دعوت بكأس وهي ملاء من الشفق

وقلت لساقها أدرها فلها

خدود عذارى قد جعن على طبق

ونقلت من خط جمال الدين أبي حسن على الخزرجي

قوله :

تفاحة محمرة قد بدت

يميلها الريح على غصن

كأنها خدان قد جمعا

يلوح فيها طابع الحسن

ومن محاسن الشام الدراق وهو أصناف بدمشق

ويسمى في القاهرة الخوخ ولم يكن بها سوى الزهري

والمشعر فنذكر من أصنافه ما يحضرنا الآن بدمشق :

خواجكي ، رصاصي ، حمصي ، نيرباني ، لوزي ، لزيق ،

لقيس ، كلابي ، صالحى ، ختمى ، مظفري ، مسافري ،

صوري ، زهرى ، لحم الجمل . مجهول

قال أبو حنيفة : شجره سريع الأخذ في الأرض ،

قصير المدة ، أنهى مكثه عشر سنين ، ويضمحل ثمره ،

وتنشف شجره ، وله نوار أحمر ينور من أصله الى آخر

فرعه ، زهي المنظر

وفي زهره يقول يحيى الدين بن قرناص الحموى :

مررت بأشجار الدراقن سجرة

وقد رنحت اعطافه نسمة الفجر

فشبهته لما رأيت أحمراره

عيون مخامير أفاقوا من السكر

قال جالينوس : في السابعة وفي نفس شجرة الخوخ

المسمى بالدراقن بدمشق وقضبانها وورقها مرارة ولذلك

مضى سحق وضمد به السرة قتل الديدان التي بالجوف .

وهو مع هذا يخلل . وأما ثمرها فزاجها رطب يبرد

وقال في كتاب اغذيته : ان الرطوبة المستكنة في

هذه الثمرة وجرمها نفسه سريعاً الفساد رديثان في جميع
الخصال ؛ ولذلك لا ينبغي أن يؤكل الخوخ بعد الطعام
كما جرت عادة بعض الناس لأنه إذا طفا في المعدة فسد
وقال ابن ماسويه : يولد بلغماً غليظاً سريع الفساد
والعفونة في المعدة

وقال الرازي في (الخواص) : الخوخ يشهي الطعام
جيد للمعدة الحارة والعطش واللب منها ويزيد في الباه
ويطفي الحرارة
وقال ابن سينا يشبه أن يكون زيادته في الباه للابدان
الحارة اليابسة

وقال ابن الجوزي في (لقاط المنافع) : الخوخ بارد
رطب نضيج ينفع المعدة ويشهي الطعام ، غير أنه رديء
الخلط سريع السلوك في فساد المعدة يصلح للشباب في
البلاد الجنوبية ويؤكل بعده الزنجبيل المرئي
وقال الرازي في (دفع مضار الاغذية) : الخوخ ينفع
المحموم وقت صعود الحمى الحادة اذا كانت غيباً خالصة

ويولد في الدم مائية يكمل استحالتها الى الدم بعفن ويهيج
الحميات بعد شهر أو شهرين كما يفعل المشمش الا ان
الحميات المتولدة من الخوخ اقوى نافضاً واطول مدة والله
سبحانه وتعالى أعلم

وفي الخوخ الزهري يقول القيراطي :

حللنا بيستان به الدوح واقف
وجدول صافي الماء من تحته يجري
كان النجوم الزهر زهري خووخه
ولم أر مثلي شبه الزهر بالزهر
ومن محاسن العلائي الوداعي :

وخوخة قد حكمت لونين خلتها
خدي محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما
فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا
ومن لطائف النصر الحامي قوله :

وخوخة يحكي لنا نصفها
وجنة معشوق رآها الكئيب
ونصفه الآخر شبهته
بلون صب غاب عنه الحبيب
ومن محاسن الشام الآجاص ويسميه أهلها بالخور
وهو أصناف: صيفي، زجاجي، قبرصي، أسود، عين البقر،
خوخ الدب، خوخ الطعام، اغبر، شقير، حاكي،
برقوق، مجهول، بزررة. وله نوار أبيض صغير دون نوار
الكثير

قال ابن ماسويه الآجاص يغذي غذاء يسيراً ويرطب
المعدة بلزوجة ويبردها ويلين الطبيعة ويسهل المرة الصفراء
ويسكن العطش. وهو صنفان أبيض وأسود فالأسود
هو الآجاص على الحقيقة، والأبيض هو المعروف
بالشاهلوج وهو بطيء الانهضام وليس بمسهل كغيره
وكلاهما بالشام

وقال ابن زهر: الآجاص رديء للمعدة ملين للبطن

واحسنه ما كان بدمشق فإنه إذا خف كان جيداً للمعدة
مسكاً للبطن ويختار منه ما كان لحما رقيق البشرة والكبير
الرخو القليل القبوضة وأرداه الصغير الصلب الشديد
العفوصة الأبيض وغالب عليه الزرقة المعروف عند أهل
مصر بشقير

والبرقوق نوع منه صغير لكنه إذا نضج حلا
وقال ابن الجوزي: الآجاص بارد رطب المختار منه
الأسود الحلو الكبير يلين الطبيعة لكن خلطه غليظ
بطيء الانهضام يطلق الصفراء والحامض أشد اطلاقاً
وينفع الصداع والشقيقة وينقص اليرقان وينفع الشياب
في الصيف بالبلاد الحارة. دفع مضرته معجون الورد أو
المسل. انتهى والله أعلم

وفيه يقول مهنقه البدري:

يا حسن آجاص أتى يحكي لعين البصر
أكرأ بدت من فضة قد صنمخت بعنبر
وقال ابن المعتز فيه:

لقد شاقني الآجاص لما رأيته

يميل مع الأغصان مع كل مائل

تطلعن من بين الغصون كأنها

فقاح زنوج تحت خضر الغلائل

وكل هذه الاصناف والالوان بالمرّة وارض اللوان . وبها

الدور الوسيعة الفناء ، المليحة الاساس والبناء . وفيها

أعيان الناس ، وهي الجامعة بين حسن الانواع والاجناس .

مع الهواء الصحيح ، والاعتدال بالترجيح . وبها سويقتان ،

فيهما سائر ما يشتهي من الالوان . ومصلى بخطبة وخطبة

بجامع جديد ، وفيها ضريح الولي المعتقد الشيخ سعيد . أعاد

الله علينا من بركاته ، وأمدنا بصالح دعواته

ويتوصل منها الى قرية (كفر سوسة) وبها معصرة

زيت وأشجار زيتون من زمن عيسى عليه السلام ، مع

الفواكه الكبيرة بطريق الانضمام

قال ابن البيطار : الزيتون في السادسة وورق هذه

الشجرة وعيدانها الطرية فيهما من البرودة بتقدار ما فيهما

من القبض ، واما ثمرتها فما كان منها مدركا نضيجا فهو حار

حرارة معتدلة وما كان منها غير نضيج فهو أشد قبضا

وبردا

وقال اسحق بن عمران : الزيتون الاخضر دابغ

للمعدة مقو للشهوة بطيء الانهضام رديء الغذاء . واذا

ردي في الخل كان أسرع انهضاما وأكثر عقلا للبطن .

واذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة وكان الطف من

المنقع في الماء . والزيتون اذا تمضمض به شد اللثة والاسنان

المتحركة . أما الزيتون الاسود النضيج فانه سريع الفساد

رديء للمعدة غير موافق للعين واذا تضمد به منع القروح

الخبيثة من أن تسعى في البدن والاسود ينقلب الى المرة

الصفراء وهو أسرع انهضاما من الاخضر وورقه قابض

اذا دق وسحق وتضمد به نفع من النار الفارسية ومنع

الحمرة ان تسعى في البدن ومنع التلثة والقروح الخبيثة

وينفع من الداحس والله أعلم . انتهى

وفيه يقول محمد بن دانيال :

كانما الزيتون حول النهر لينة لينة لينة
 بين رياض زخرفت بالزهره
 عقد زمرد هوى من نحر
 أو خرز خرطن من بازهر
 ومنها الى ارض المزاز والشويكة وهي من محاسن
 الشام واليه ينسب الرمان الشويكي
 والرمان أصناف : شويكي ، بردي ، ماوردى ،
 ملبسي ، كوفي ، برجنيقي ، سحائي ، شويخي ، مصري ،
 سلطاني ، محجر ، مطوق ، تدمري ، لقيط ، حصوي ،
 طقاطقي ، قطي ، مشبه ، حامض للطعام ، لفان ، رأس
 البغل ، مجهول
 قال أبو حنيفة الدينوري : شجر الرمان معروف
 وله نوار أحمر كالازرار ثم يكبر ويفتح كقالب السكر
 مشرقة العروس بعضها ما هو مشتمن والبعض مستدس
 وداخل هذا القمع نوار أصفر يعلوها ورق أحمر أرق بشرة
 من الحرير . وعند السامرة وعباد النار وغيرهم يسمى

بالمليح المهجور لسكون الناس لم يفتنوا بزهره ولا
 يحتفلون به كغيره
 وفيه يقول الأمير أبو فرائس :
 وجلنار مشرق على أعالي شجره
 كان في رعوسه أحمره وأصفره
 قراصة من ذهب في خرق معصفره
 وقال ابن وكيع :
 وجلنار بهي ضامه يتوقد
 بدا لنا في غصون خضر من الرى ميد
 يحكي فصوص عقيق في قبة من زبرجد
 اخذه الصفدي :
 وجلنار تبدى في غصنه يتوقد
 كأنهم من عقيق سماؤهم من زبرجد
 ومن محاسن ابن دمر داش قوله :
 بدا جلنار في القضب
 والطل يبدو عليه كالجب

كأنما أكوّس العقيق به قد ملئت من برادة الذهب
قال ابن البيطار: الرمان في الثامنة وكاله قابض الا
اليسير ، لان الرمان منه حامض ومنه حلو ومنه قابض
فيجب ضرورة ان تكون منفعة كل نوع بحسب الطعم
الغالب عليه . وجب الرمان اشد قبضا من عصارته واشد
تجفيفا وقشره اكثر في الامرين جميعا وحينئذ الرمان الذي
تساقط عن الشجر اذا عقد كان اجود

وقال ابن زهر الرمان في الاولى كله جيد الكيموس
جيد للمعدة قليل الغذاء والحلو منه اطيب طعما من غيره
غير أنه يولد حرارة ليست بكثيرة في المعدة ونفخا ، ولذلك
لا ينفع المحمومين ، والحامض انفع للمعدة الملتبیه ، وهو
اكثر ادرارا للبول من غيره

وقال ابن الجوزي الحلو حار رطب وقيل بارد معتدل
جيده الكبار منفعته يلين الصدر والحلق ويصلح للسعال
والباه ويوافق للمعدة ويحدث نفخا . دفع مضرته بالرمان
الحامض يتولد منه غذاء صالح يصلح للامزاج المعتدلة

وللسكرهول في الخريف
والرمان الحامض بارد يابس لطيف قابض جيده
الكثير الماء ينفع للسكبد ويقمع الصفراء ويمنع سيلان
الفضول الى الحشا ، خصوصا شرابه . ويدر البول اكثر
من الحلو لكنه يضر الصدر والصوت والمعدة ودفع مضرته
بالحلو المسلية يصلح للامزاج الملتبیه وللشباب في الصيف
ومن أكل ثلاثة اقلاع من الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة
وفيه فائدتان : الاولى انك اذا اردت معرفة الرمانة هل
حبها فرد ام ازواج تنظر الى تشريح قمعها ان كان فردا
فهى بالفرد وان كان الزوج فهى بالزوج . الثانية انك تطعم
انسانا يبغيض انسانا مائتي حبة واربعاً وثمانين حبة رمان
حلو وتطعم المبعوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين
حبة فانهما يتحابان الى المات . نقلته ممن جربه فصح والله اعلم
ومن لطائف جمال الدين الشواء قوله :

من رام للرمان وصفا يقل مثل الذي قد قلت اعلانا
حق نضار لم يزل مودعا فيه يواقيتا ومرجانا

وما أبدع كلام أمير المؤمنين للأموء في :
 رمانة ما زالت مستخرجاً في الجلام من حقها جوهر
 فالجلام أرض وبناني حيا يطار يا قوتا بها أحمر
 ومن تشابهه أبي الحسن الجوهري فيه :
 وحببات رمان لطاف كأنها
 شواردياقوت لطفن عن الثقب
 أشبهها في لونها وصفائها
 بقطرات دمع وردت من دم القلب
 ومن محاسن كشاجم قوله :
 ومجرة من بنات الغصون ويتمها ثقلها أن تميدا
 منكسة التاج في رأسها تفوق الحدود وتحكي النهود
 تغض فتفتر من مبسم كأن به من عقيق عقودا
 ومن محاسن ابن الرومي قوله :
 ولما فضضت الختم عنهن لاح لي
 فصوص عقيق في بيوت من التبر

فدر ولكن ليس يدينه غائص
 وماء ولكن في مخازن من جمر
 ومن معاني ابن حمديس قوله :
 قد لاح رماننا بروضته بين صحيح وبين مفتوت
 من كل مصفرة مزعفرة تفوق في الحسن كل منعوت
 كأنها حقة فان فتحت فصرة من فصوص ياقوت
 ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :
 ورماني رقيق القشر يحكي نهود الغيد في أثواب لاد
 اذا قشرته طلعت لدينا فصوص من عقيق اونجاد
 ومن مخترعات علي بن سعيد الخيري الانصاري في
 رمان معشوقه :
 وساكنة في ظلال الغصون ن بخدر تروقك افئانه
 تضاحك أترابها عندما غدا الجو تدمع أجفانه
 كما فتح الليث فاه وقد تضرع بالدم أسنانه
 ومن محاسن الشام قرية (داريتا) وهي قبلي (الشويكة)
 وبها السيدان الجليلان (ابو سايمان الداراني) و (ابو مسلم

الخلولاني) اعاد الله تعالى علينا من بركاتهما المتواترة وافاض
علينا من بحار علومهما الزاخرة
واليها يتشوق خطيب محاسنها الشيخ جلال الدين ابو
المعالى محمد بن احمد سليمان المعروف بابن خطيب داريا من
القاهرة المحروسة بقوله :

سقى الله من شرقيّ جامع جلق

منازل لايهوى سواها غريبها

منازل لولا الساكنون بها لما

تذكرتها يوما ولو فاح طيبها

وما قل منها اذ رضيت ببعدها

نصبي ولكن قل مني نصيبها

وما لي الى الاوطان شوق وانما

هوى كل نفس اين حل حبيبها

واليها ينسب البطيخ الداراني

قال (الرازي) البطيخ الهندي وهو الاخضر يقوى

الترطيب مستعد لان يصير بلغما حلوا ولذلك صار نافعا

لاصحاب حميات الغب والمحرقه

وقال (ديسقوريدوس) الخلط المتولد من البطيخ

خلط رديء وكثيراً ما تعرض منه الهيضة ويعين على القيء

وقشر البطيخ اذا استعمل عوضاً عن الاشنان كفا للزهومة

وزهب برائحة الزفر واذا جفف قشره ولقي في القدر مع

اللحم الغليظ أسرع نضجه وهراه

وقال (ابن الجوزي) : البطيخ الهندي بارد رطب

جيده للمائي الخلو ينفع الامراض الحارة ويسكن العطش

ويسبيء الهضم دفع مضرته بالسكر يصالح للامزاج الحارة

الصفراوية والشباب في الصيف واذا اخذن مائه في سكر

اوسكن عجيبين ادر البول وغسل المثانة والكلى وكان اكثر

في التبريد وينفع اصحاب اليرقان الحادث عن حرارة الكبد

اذا شرب مع الطباشير والسكر وهو مصحح للاخلاق يضر

المشايخ والكبد والطحال اذا كانت واردة والاكثر منه

يولد الهيضة وسوء الهضم وينبغي ان يتوقاه اصحاب المزاج

البارد فان تناولوه اتبعوه بالعسل . انتهى والله سبحانه

وتعالى أعلم
وفيه يقول تاج الدين الكندي وأجاد:
انظر الى البطيخ في تشقيقه
يحكى لدى التشبيه كل أنيق
صفائح بلور بدت في زمرد
مركبة فيها فصوص عقيق
ومن أغاز الصلاح الصفدي قوله:
مارباعيَّ حروف وهي خمس في البناء
كله نبت ولكن نصفه طائر ماء
ومن لطائف بلدينا الوأواء دمشقي قوله:
وذات ريق ان ترشفته وجدته احلى من المن
اذا بدت في كف جلابها رأيتها في غاية الحسن
كسلة خضراء مختومه على الفصوص الحمر في القطن
وقال صاحب (مطالع البدور) البطيخ يغسل الطعام
غسلا، ويذهب بالاذى اصلا. وكانت ملوك الفرس تأمر
يرفع الحلو ايام الرطب ويرفع الاشنان ايام البطيخ

والبطيخ الاخضر بدمشق اصناف: وهو داراني.
ومرجي نسبة الى المرج، ودومي نسبة لقرية دوما،
وحبشي، وقبلي، وعوامي وهو المسمى بالتموس. انتهى
ومن محاسن الشام قرية (يلدا) وهي من القبلة الى
شرقي قرية (عربيل) وما بينهما من القرى الجميع برسم
زراعة كروم العنب وعرائشه
وقال صاحب (معاينة العقل في معاناة النقل) التعريش
الرفعة لقوله تعالى «وهو الذي أنشأ جنات معروشات»
والعرش ارفع من السماء. انتهى
والعنب صنوف بدمشق. فمنها البلدي، خناصري،
عاصمي، زيني، ييموني، قناديلي، افرنجي، مكاحلي،
بيض الحما، حلواني، بوارشي، جبلي، قصيف، ابراز
الكابة، قشاميش، كوتاني، عبيدي، شحاني، جوزاني،
دراقي، مخ العصفور، عرايشي، رومي، شبيهي، نيطاني،
عصيري، رناطي، ورق الطير، سماقي، حرصي، مجزع،
شعراوي، دربلي، قاري، علوي، عينوني، موري،

مشعر ، مسقط ، مرصص ، محضر ، مقوس ، حمادي ،
تفاحي ، رهباني ، زردى ، مبرد ، مخصل ، مغاربي ،
شحمة القرط

وقال (ديسقوريدوس) : الكرم في الخامسة وهو الذي
يعتصر منه الشراب وورقه وخيوطه اذا سحقا وتضمدا
بهما سكنا الصداع . والورق اذا كان بارداً قابضاً فانه اذا
تضمدا به وحده او مع سويق الشعير سكن الورم الحار
العارض للمعدة والالتهاب العارض لها . وعصارة الورق
تنفع الذين بهم قرحة الامعاء والذين يتقيأون الدم والذين
يشكون معدتهم والحوامل من النساء . وخيوط الكرم اذا
انتقعت بالماء وشربت فعلت ذلك . ودمعة الكرم وهي
شبيهة بالصمغ تجمد على القضبان اذا شربت مع الشراب
اخرجت الحصى واذا تلطخ بها ابرأت القوابي والجرب
المتقرح والذي ليس بمتقرح . وينبغي اذا احتيج الى
التلطيف بها ان يتقدم بغسل العضو بالنظرون واذا تمسح
بها مع الزيت دائماً حلت الشعر ، وخاصة الدمعة المجموعة

من قضبان الكرم الطرية واذا احترقت ورشحت منها
الدمعة كما يرشح العرق وهي التي اذا لطخت على الثآليل
المسماة مرميقيا^(١) ذهبت بها . ورماد قضبان الكرم
ورماد شجير الغنب اذا تضمدا به مع الخل ابرأ المقعدة التي
قد قلع منها البواسير وابرأ من التواء العصب وقد ينفع من
نهشة الافعى واذا تضمدا به مع دهن ورد وسذاب وخل
خمر نفع من الورم الحار العارض في الطحال

وقال ابن الجوزي في لفظة « الغنب » : حار رطب
والابيض احمد من الاسود والاكثر منه يصدع الرأس
ومنفعته يسهل البطن ويسمن ، وهو قريب من التين في
فضله على سائر الفواكه . مضرة يعطش ويرخي المثانة .
دفع مضرته بالزمان الحامض يتولد منه دم جيد يصلح
للمشاخى والامزاج الباردة في الخريف وفي البلاد الشمالية
والخصرم ينفع المحرورين ويطبخ منه طعام لذيد
وفي اللغة قال الخصرم ثمر الكرم قبل الحلاوة والميم

(١) كذا في الاصل . وفي مفردات ابن البيطار « مرعيا »

فيه زائدة مأخوذ من الحصر وهو العجز عن النطق ، أو
من الحصر الذي هو احتباس الباطن وبه سمي الرجل
البخيل لمنعه ما في يده وتشديده . والحصير الملك سمي بذلك
لامتناعه عن الاعين أو عن الضيم . قل الشاعر :

وقد أقم غلب الرقاب كأنهم

جند لدى باب الحصير قيام
وسميت جهنم « للكافرين حصيرا » لمنعها من فيها
أو لتمنعها هي في نفسها قال تعالى « وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا »
فالحصرم طبعه البرد واليبس ولذلك قبض الاجسام
ومنع المسام من اخراج ما فيها من الفضل . انتهى كلام
(معاينة العقل)

وفيه يقول الطغرائي وابدع :
ترى الثريا من عناقيدها نلوح في أخضر كالغيب
كم درة فيها وكم لؤلؤ^(١) صحيحة التدوير لم تثقب
(١) في ديوان الطغرائي « كم سبج فيه وكم جزعة »

واستعار هذه الثريا لعرشة ابن تميم فقال :

نفى عني الهجير ظلال كرم

وأمتعني وزه ناظرها
ولاحت عرشة فرأيت منها
سماء كل أنجمها ثريا

ومن لطائف الصاحب ابن عباد :

وحبة من عنب قطفتها

تحسدها العقود في الترائب
كأنها من بعد تمييزي لها
لؤلؤة مثقوبة من جانب
ومن تشاييه ابن المعتز قوله :

وحبة من عنب من جنة متخذة
كأنها لؤلؤة في وسطها زمرده
ومن محاسنه قوله في العنب الأبيض :

شربت حميا الكرم تحت ظلاله

على حسن محبوب الشائل أغيد

كَأَنَّ عَنَاقِيدَ الْكُرُومِ وَظَلَمَهَا
 كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ زَبَرْجَدٍ
 وَمِنْ أَغْرَاضِهِ قَوْلُهُ فِي الْعَنْبِ الْأَسْوَدِ :
 حَتَّى إِذَا حَرَمَرَى جَاءَ مَرَحَلَةً ^(١)
 بِفَاتٍرٍ مِنْ هَجِيرِ الْجَوْ مُسْتَعِرٍ
 طَلَّتْ عَنَاقِيدُهَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَرَقٍ
 كَمَا اخْتَفَى الزَّنَجُ فِي خَضَرٍ مِنَ الْأَزَرِ
 وَقَالَ ابْنُ الصَّائِنِ فِي الْعَنْبِ الْعَاصِمِيِّ :
 وَعَاصِمِيٌّ قَدْ غَدَا طَعْمُهُ

أَدْرَى مِنَ الْمَاءِ لَدَى الْحَائِمِ
 أَوْ رَثَ خَلِيٍّ أَكَلَهُ هَيْيُضَةً
 فَاعْجَبَ لَهُ مِنْ مَسْهَلِ عَاصِمِيٍّ
 وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي الْعَنْبِ الرَّازِقِيِّ :

كَأَنَّ الرَّازِقِيَّ وَقَدْ تَنَاهَى
 وَبَاهَتْ بِالْعَنَاقِيدِ الْكُرُومُ
 قَوَارِيرَ بِنَاءِ الْوَرْدِ مَلَأَى
 تَشَفَّ وَلَوْ لَوْ فِيهَا يِعُومُ

وَتَحْسِبُهُ مِنَ الشَّهَادَةِ الْمَصْفَى
 إِذَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْكَ بِهِ الطَّعُومُ
 فَكُلْ بِمَجْمَعٍ مِنْهُ ثَرِيًّا
 وَكُلْ مَفْرَقٍ مِنْهُ نَجُومُ
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ الْكَفَرطَابِيُّ فِي الْأَسْوَدِ :
 جَاءَنَا مِنْكَ تَحْفَةٌ نَحْنُ مِنْهَا
 أَبَدًا فِي تَضَاعُفِ السَّرَاءِ
 عَنْبِ اسْوَدٍ كَأَنَّ عَلَيْهِ
 حُلًّا مِنْ حَنَادِسِ الظَّالِمَاءِ
 خَلَّتْ فِي خِلَالِ أَوْرَاقِهِ الْخُضْ
 مَرُّ وَلَوْنِ اسْوَدَادِهِ لِلصَّفَاءِ
 كَقَمْمُوعٍ عَلَى أَنَا مِلَّ خُودٍ
 لَحْنٍ مِنْ كَمِّ غَادَةِ خَضْرَاءِ
 وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ التَّقْوِيِّ ابْنِ حُجَّةٍ مَلْفُزًا فِي السَّكْرَمَةِ :

عَنَاقِيدُ عَلَى قَضْبٍ تَدَلَّتْ
 حَكِيمِي مَنُظُومَهَا عَقْدُ اللَّالِي
 إِذَا عَصَرْتَ تَرَى فِي الْكَاسِ مِنْهَا
 دَوَاءً قَدْ تَرَكَبَ مِنْ دَوَالِي

الْبَرْهَانَ الْبِهْنَسِيَّ قَوْلُهُ :

اخْبُرُونِي عَنْ فَاضِلٍ بِأَصُولٍ
 وَفُرُوعٍ يَسْمُو عَلَى كُلِّ فَاضِلٍ

اسبغ الله ظله فهو ظل
 سابع وافر مديد وكامل
 وأبو محجن يقول ادفنوني
 تحته ان أتانى الموت عاجل
 كم الينا قد مد كفاً نديا
 صير العيش أخضر آفي المنازل
 نقطة الطل فوقه أوضحته
 عند توقيعها به وهو عاطل
 ما تبدى لنا بعين ولكن
 حرقته وصحفته الافاضل
 فرأينا للترك فيه اسم عين
 بفتور الاجفان جاء يغازل
 ان تذكره حرف الكل يبدى
 كرمما والندى من الكف هاطل
 أو تؤنثه يقبل الهاء في الحاء
 ل ومن بعد ذا يرى هو حامل

ويقل شطره لمن عاب منه
 لك ثم بالعكس عندي حاصل
 فيه حلوفيه مسر ويبدو
 عند تحريف عكسه المتماثل
 وبلا أول يرى فعل أمر
 واقلب الفعل منه فالأمر حاصل
 هو خشب مسندات ولكن
 حال يحلى يبدو رقيق الغلائل
 ومن الغمر جسمه الغض يدي
 وتراه من بعد ذا وهو ذابل
 واذا ما فرطت فيه تراه
 لم يحل عنك وهي نعم الخصال
 ذو بياض وحمرة وكذا لي
 فرحاً من راح سرت في المفاصل
 فتراه يوماً عقود عقيق
 نظمت سلكها بغير أنامل

وتراه يبدو عقود جمان
 ما لها غير ثغر جي مماثل
 وتراه طوراً سلافة راح
 ولدر الحباب فيها حواصل
 وعلى عوده يغني علينا
 اعجمي به تهيج البلابل
 لك منه فواكه وشراب
 كل عصر اليك تلقاه واصل
 وحلاواته بها كل قلب
 كسروه والقلب للكسر حامل
 وصله في مصر قليل ولكن
 هو بالشام لا يزال مواصل
 وتراه بذات عرق مقبلا
 في نعيم وظله غير زائل
 واذا قلت في الخيم بالغو
 ر رأيناك فيه أصدق قائل

ولقد جاءنا بعنب لطيف
 عند تصحيفه لمن هو هازل
 كيف لا والكتاب عن حبيته
 قد أتى مخبراً بتلك الفضائل
 فتفكه من حبه في قطوف
 دانيات لكل آت وراحل
 واقم تحت ظله فهو لغز
 ظله ظاهر على كل قائل
 ثم دم في الإلغاز بالحل والعقد
 غنيا إذا أتى اللغز سائل
 وزيبه حار والحامض منه بارد . قال أبو حنيفة
 الدينوري الزبيب جفيف العنب خاصة ، ثم قيل لما جفف
 من سائر الثمر قد زيب إلا التمر فانه يقال تمر الرطب ولا
 يقال زبيب والزبيب هو العنجر
 وقال جالينوس تنطج وتحلل تحليلاً معتدلاً وهو في
 السادسة . وعجم الزبيب يحفف في الدرجة الثانية ويبرد في

الدرجة الاولى وجوهره جوهر غليظ ارضى كما قد تعلم ذلك من طعمه اذ كان يوجد عيانا وهو يسكن ما يكون في فم المعدة من التلذيع اليسير

وأفضل أنواع الزبيب اكثره لحما وارقه قشراً وبعض الناس يميل الى الزبيب الكبير الحلو فيخرج عنه عجمه قبل أن يأكله والقاعل لذلك حسرت في فعله والكشمش هو الزبيب الصغير الذي لا عجم له وهو اجد وقال صاحب (لقط المنافع) الزبيب صديق المعدة والكبد ينفع السكلى والمثانة ووجع الامعاء ويبرد الدهن وينفع من قد اجتمعت في بدنه اخلاط بلفمية فاسدة الا ان مضرته احراق الدم، ودفعها بالخيار الاخضر، ينفع الامزاج الباردة والقابض منه قليل اللحم يقوى المعدة ومن اراد حبسه اكل الزبيب القابض بعجمه

وبالاسناد الى النبي ﷺ قال « نعم الطعام الزبيب يطيب النكهة ويذهب البلم» وقال امير المؤمنين المنصور « كلوا الزبيب واطرحوا عجمه فان في عجمه داء

وفي شحمه دواء « هكذا حدثني ابي عن ابيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمره بذلك . فتنبه والله أعلم ويعمل من ماء العنب الدبس والملين . قال الرازي في (دفع مضار الاغذية) الملين غليظ مولد للسدد والقولنج بطني الحركة والنزول رديء في أكثر أحواله واجتنابه اصلح ، اللهم الا ان يكون الانسان جائعاً . واصلاحه بالفانيد ، ويسرع نزوله . وينبغي ان يحذره من به غلظ في كبده وطحاله ويعتريه الحصى في كلاله ، وليس بضار للصدر والرئة . انتهى

قلت وبين هذه الكروم المذكورة قطع اراض جميعها أصول (لوز) ليس لها نظير في أيام تنويرها وهي من محاسن الشام

قال ابن زهر : اللوز له نوار ابيض وأحمر يقال ان الاحمر ثمرته مرة . وفيه يقول الامير مجير الدين محمد بن تميم :
خرجنا للتنزه في بقاع
يعود الطرف عنها وهو راض

ولاح الزهر من بعد نخلنا
ضباباً قد تقطع في اراض
ومن محاسنه قوله :

يا حسنها دوحة باللوز حالية
يبدو لعينيك منها منظر عجب
كانها قبة بيضاء قائمة
على عمود ولكن مالها طنب
ومن لطائفه قوله :

بروحى من ابصرته متنزهاً
بروض نصير وشعته الفائم
وقد نثرت من فوقه الدوح زهرها
كما نثرت فوق العروس الدراهم
ومن مقاصده قوله :

روض تحلى بالنبات فاله
ولحسنه الآ السماء نظير
والزهر مثل الزهر تحسب أنها
فيه إذا هب النسيم تنير
ومن بدائعه قوله في الزهر على النهر :

ولما نثرنا الزهر في النهر وانبرت
تجمده أيدي الصبا والجنايب
حسبنا سماء قد تجعد غيمها
ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب
وقال :

أبدت غصون اللوز من زهرها
ما كان في الأكام مستورا
ظلمت يومي كاه مفكراً
في عنبر أعشب كافورا
ومن مخترعاته :

يا حسن منعطف الحديقة اذ بدت
تجلو لزارها سنى نوارها
وكأنما حسد النسيم رياضها
فاذاع ما كتمته من أسرارها
ومن أغراضه البديعة قوله :

لما أتينا اللوز لم يبعث لنا
نشرًا وطال مخافة ان يجتني
فشكوته للريح فاستلمته من
اعلى الغصون وفرفته بيننا
ومن مجونه قوله :

فدينك زهر اللوز جاء مبشرًا
بفضل على شرب المدام معين
فقم نجتلي بنت السكروم ونجتنى
كواكب زهر من سماء غصون

وقال ابن فضل الله فيه مع ورقه :
ويا رب زهر أبيض بين أخضر
تتبه على كل الرياض رياضه
كاثقاب نقش اخضر فوق معصم
صقيل تجلى بينهن بياضه
ومن النكت البديعة قول ابن نباتة :

أهلاً بسائرة الصبا من نحوكم
وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم
حتى تبسم ضاحكا من قولها
ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :

وروض به ثغر الازاهر باسم
وطرف الحيا من ضحك نواره باكي
فلا تحسبوا برق الغمامة باسم
هو الملبسم الحالي ولكنه الحالي
ومن لطائفه قوله :

مررت على دوح ينوح حمامه
ودولابه يبكي على شاطئ النهر
فقلت على ما أنت باك وداثر
فقال على ما ضاع من نشر الزهر
ومن ملحه قوله :

وروضة قال لنا نهرها معانبا إذ رق للشارب

أكون في خدمتكم جاريا ويضحك الزهر على شارب
 وأنشدني شيخ الادب العلائق المليك :
 باكر الى زهر الرياض واستقنى
 كاس الطلا والراح روح الانفس
 أو ما ترى نصب الربيع خيامه
 في الروض فوق مطارف من سندس
 وأنشدني أيضاً :
 بادر الى الزهر في عرس الرياض ضحى
 فالورق غنت على العيدان في الورق
 والريح شبب والاغصان راقصة
 والزهر تنثر اوراقا من الورق
 ويمجيني في الزهر على النهر :
 لم لا أهيم الى الرياض وطيبها
 وأظل منها تحت ظل صافي
 والزهر يلحظني بشعر باسم
 والماء يلقيني بقلب راصي

ومن تحرير القيراطي قوله :
 سقياً لاقطار الشأم فكم من أنجم في روضها نجمت
 وإذا السماء بارضها نزلت طلعت زهور بنجومها وسمت
 وقال محي الدين بن قرناص :
 قد أتينا الرياض لما تجلت وتجلت من الندى بجمان
 ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الاغصان
 وقال أيضاً :
 مال القضيبي بروضة من سكره
 لما سقاه عقاره آذار
 حتى اذا سرق النسيم دراهماً
 من كاه صاحت به الاطيوار
 وقال أيضاً :
 هلم يا صاح الى روضة قد نمت ازهارها السحب
 الزهر فيها شيق مغرم وجدول الماء بها صب
 وقال بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي :
 هلم يا صاح الى روضة يجلو بها العاني صدامه

نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كفه
ومنه قول أحمد بن أبي صالح فيه :
بادر اليها يا نديمي روضة قد وشحتها اتمل الغمام
غنمت على العود مطوقاتها فزهرها يرقص بالاكمام
وما أبدع قول يحيى بن هذيل :
نام طفل الزهر في حجر النعاما لاهتزاز الظل في زهر الخزامى
وسقى الوسمي اغضان النقا فهوت تلثم افواه التمدامى
وقال ابن قرتاص :
لقد عقد الربيع نطاق زهر يضم لغصنه خصرًا نخيلا
ودب مع العشي عذار طل على نهر حكى خدًا اسيلا
وقال ابن مليك الجموي :

كأن زهر الربى والطل بلله
تفر بدا باسمه يفتر عن شنب
أولا فكأس لجين ملؤه ذهب
مكمل من عقود الدر بالحبيب
وقال المعوج الشامي في ازواره قبل تفتيحه :

حقاق من النوار مزدورة العرى
على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض
فتحن على الاغصان اجفان فضة
وبالأس كانت مطبقات على الغمض
وقال الشيخ ادريس وقد طلع باخوانه الى الزهر :
واخوان صدق قد أناخوا بروضة
وليس لهم الا النبات فراش
نخلهم والنور يسقط فوقهم

مصاييح تسرى نحوهن فراش
وقال العلاء بن أسد في غلام يتفرج في الزهرة :

سلطان حسن أفتديه بناظري وأعينه من نزع الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارني قضيت ذلك اليوم بالسلطاني
وقال عفيف الدين بن محبوب المغمري في غلام بات
تحت شجرة :

وليلة بات بدري [تحتها] انجلم خليا

من العشاء فديما الي الى السحر

يحبو بورد وورد طول ليلته
 من خده ولماء العاطر الخضر
 حتى اذا اسكرتني خمر ريقته
 غنى فاغنى عن المزمار والوتر
 ما العيش الا ارتشاف الراح من شذب
 يغني عن الراح من سلسال ذي أثر
 فأنشأت بنجوم الليل ترجمنا
 سماؤها غيرة منها على القمر
 فظلت من وجه من أهوى ودارتها
 وثغره والذي يهوى من الزهر
 ما بين بدرين مكتوم ومشتهر
 وبين درين منظوم وممتثر
 ومن المعاني البديعة قول السلامي :
 نسب الرياض الى الغمام شريف
 ومحلا عند النسيم لطيف

والارض طرس والرياض سطورة
 والزهر شكل بينها وحروف
 وكأنما الدولاب ضل طريقه
 تراه ليس يزول وهو يطوف
 وقل ابن لؤاؤ الذهبي في مشيب الزهر :
 ما نظرت مقاتي عجيبا كاللوز لما بدا نواره
 اشتعل الرأس منه شيبا واخضر من بعد ذاعذاره
 وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف :
 ان شاب زهر اللوز طفلا وقلتم
 بان مشيب الطفل ليس يجوز
 فلا تعجبوا أن شاب في غير وقته
 فكم نفخت يوما عليه عجوز
 واللوز بدمشق أصناف : منه الجبلي ، قسطاني ،
 عرييلي ، عقابي ، بندقي ، شحمي
 قال مسيح [بن الحكم] : اذا أكل اللوز العاقد بقشره
 الاخضر الطارى دبغ اللثة والفم وسكن ما فيهما من الحرارة

بالبرودة والعفاسة والحموضة التي في قشره الخارج قبل أن
يصلب ويشتد. وإذا أكل اللوز القلب الأخضر من غير
قشر وهو طري أصالح المعدة وجلا الاعضاء الباطنة
وتقاها وأعان على قذف الرطوبات

وقال جالينوس: في السادسة والمر في الدرجة الثالثة.
فالحلو قوته قوة ملطفة يفتح السدد الحادثة في الكبد
عن الاخلات الغليظة، ويجلو النمش، ويعين على نفث الدم
والاخلات الغليظة المزجة في الصدر والرئة، ويشفي الاوجاع
الحادثة في الاضلاع وفي الطحال وفي الكليتين والقولنج،
ويؤخذ من أصل شجرة اللوز فيطبخ ويوضع من خارج
على الكلف فيدهنه

وقال ابن الجوزي: اللوز الحلو حار رطب يسمن
ويقوي البصر ويفتح السدد خصوصاً المر. وإذا أكل
بالعسل أو السكر أسرع الانحدار، وخلطه لطيف، وينفع
أصحاب السعال، وسويقه ثقيل. واللوز المر حار يابس
يزيل الكلف والآثار والنمش

وفي اللوز الاخضر يقول ظافر الحداد:
جاء بلوز أخضر أصغره ملء اليد
كأنما زبـبـيره نبت عذار الامرء
جواهر لـسـكنـما الـأصداف من زبرجد
وقال القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك في اللوز

الذي بقلبين:

ومهد الينا لوزة قد تضممت

لناظرها قلبين فيها تلاصقا

كأنهما حبان فازا بخلوة

على غفلة من حاسد فتعانقا

ونقلت من خط الرضى المرتضى محب الدين الزرعي قوله:

قم زوّج الصهباء يا ابن السما ولو لحاك العاذل الفاسد

أما ترى الورد أتى شاهداً واللوز في أغصانه عاقد

ونقلت من خط ابن حبيب الحلبي قوله وهو المقدم:

تزوج بنت السكرم يا بن المزن قد

نظمت قلائده فقم يراقـد

فالطير يخطب والزهور شهوده
واللوز ما بين السكائم عاقده
ومن محاسن الشام (مرج الشيخ رسلان) أعاد الله
علينا وعلى المسلمين من بركاته ، وأجرى علينا من صالح
كراماته . وفيه أقول :
يا من غدا قلبه قاسيا قم لولي صادق البرهان
وقف بذل وانكسار وقل بدمع يا سيدي رسلان
وهو يشتمل على أنهار وأشجار ونواعير لها مع النسيم
رشاش ، وغالب تلك الأراضي تزرع الخشخاش
وفيه يقول الموصلي :
وزهر خشخاش بدا احمرأ كانه في رونق وابتهاج
اقداح بلور وقد اتعت من خمره لم تختلط بالمزاج
ومن تشابهه ابن دمرdash قوله :
ولما بدا الخشخاش في الروض مزهرا
وقد نظرت شرزاً اليه الحدائق
حكى قلعة ابراجها مستديرة

مشرفة دارت عليها الصناحق
وقال منشئه البدري :
خشخاشنا الناشف في قشر له لما حضر
حكى دبايساً أتت حملا بايد للتمر
والخشخاش بارد يابس ايضه اصلح من اسوده يجلب
النوم ويمنع النزلة وينفع السعال الحار والنوازل الى الصدر
ومن نفث الدم ورطوبات المعدة خلطه غليظ وانفع ما اكل
بالسكر أو العسل والاسود رديء مخدر يورث السبات الا
ان اجود الاسود المصري وهو ينقي الصدر . والله سبحانه
وتعالى أعلم
ومن محاسن الشام (الوادي التحتاني) وهو شرقي
(مرج الشيخ) وهو يشتمل على غياض ورياض ، فالرياض
هي رياض السفرجل وفيه يقول القيراطي :
فؤادي الى بانات جلق مائل ودمعى على أنهارها يتحدر
فوافي الى زهر السفرجل شيقاً اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها فتزهو جمالا عند ذاك وتزهو

تري بردي فيها يجول كأنه وحصباؤه سيف صقيل مجوهر

ومن رقيق شعر يحيي الخباز قوله :

زهر السفرجل بالجليل رأيت

قد فاق زهر اللوز في الاوصاف

هذا ينثر للنديم دراهما

ونشار اذا بخفايف الانصاف

وهنا نكته لطيفة وهو ان الشيخ جمال الدين محمد

ابن نباتة قدم الى دمشق في ايام السفرجل فاضافه الشيخ

جمال الدين يوسف بن غانم في (الوادي التحتاني) لاجل

رؤية زهر السفرجل فصادف نهار حر وقيظ شديد فانشد

الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصري :

قد اشبه الحمام منزل لهونا فالماء يسخن والازهار تحلق

فلذلك جسمي منشد ومصحف عرق على عرق ومثلي يعرق

فاجابه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم يقول :

ما اشبه الحمام منزل لهونا الالمعنى راق فيه المنطق

فالدوح مثل قبابه والزهر كما جامات فيه وماؤه يتدفق

ومن الفوائد ان ازهار الفواكه لم يؤكل منها سوى

زهر السفرجل لحلاوته وعطريته . وهو اصناف بدمشق :

برزي . قصبي . سامي . صيني . رقي . عباسي . تفاحي .

ابو فروة . مجهول

قال ابن الجوزي : السفرجل بارد يابس ويقال رطب

جيده البالغ الكبار ، يسر النفس ويدبغ المعدة ويقبض

ويقوى ويمنع سيلان الفضول الى الاحشاء ويدبر البول

غير انه يحرك القوانيج ان اكل قبل الطعام وان اكل بعده

لين . ودفع مضرته بالرطب المعسل . والسفرجل المشوي

اخف وانفع وطريقته ان يقور ويخرج حبه ويجعل فيه

العسل ويطين خرمة ويودع الرماد . يتولد عنه خلط بارد

وتوافقه الامزاج الصفراوية . وأما السفرجل فأشد تقوية

للمعدة وأقل حبسا للطبيعة وكثرة اكله تولد وجع العصب

وحبه ينفع من خشونة الحلق ويلين قسبة الرئة ولعابه

يرطب يابسها

وبالاسناد عن طلحة بن عبيد الله قال : اتيت النبي

عنه عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه ويده سفر جلة يقبلها أو قال يقبلها^(١) فاما جلست اليه وجاء بها نحوي قال «دونكها يا محمد فانه يشد القلب ويطيب النفس ويذهب بطحاء الصدر» وقال ابو عبيد الطخاء أي سحاب وظامة وفي حديث آخر انه قال عليه الصلاة والسلام «اذا وجد احدكم طخاء على قلبه فليأكل السفرجل» وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كلوا السفرجل على الريق» انتهى وفيه يقول ابن تميم وأحسن :

حاز السفرجل أوصاف الوردى فغدا
على الفواكه بالتفضيل مشكورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة
والتبر لونا وشكل البدر تدويرا
ومن أوصاف الطغرائي قوله فيه :

(١) لعله «يقبلها»

وسفرجل غني المصيف بحفظه
فكساه قبل البرد خزا أصفرا
يحكي نهود الغانيات وتحتها
سرر لمن حشين مسكا أذفرا
ومن تشاييه الصنوبري قوله :

لك في السفرجل منظر تحظى به
وتفوز منه بشمه ومذاقه
يحكي لنا الذهب المصفي لونه
وتزيد بهجته على اشراقه

والشكل من أعلاه يحكي سفله
ثدى السكماب الى مدار نطافه
والشكل من سفلاه يحكي سرقة
(من) شادن يزهو على عشاقه

وقال بعضهم :
حكى سفرجل دوح حوى جميع المعاني
كأنه حين يبدو على ذرى الاغصان

ردوس أطفال روم لطنخ بالزغفران
وأما الغياض فهي غياض الحور، وهو في علو السواري
خالص الاعتدال ورقه بوجهين أخضر وأبيض له مع النسيم
حفيف لطيف بساق أبيض صقيل توتاح الانفس اليه
وفيه يقول شهاب الدين المنصوري :

كأن الغصون المائلات عرائس

تثنين عجبا في ملابس اطلس

كأن قدود الحور حور وقد غدت

تشم عن ساق لدى الحوض املس

وبه (غيشة السلطان) وحورها لا يستطيع الانسان
أن يدخل فيما بينه لانضمامه ولثلا يضل عن الطريق كأنه
سكب بقوالب من الشمع

وبهذا الوادي متنزه يقال له (ست الشام) وهو
مرجة خضراء ما بين هذه الغياض وبها عين تجري بماء
بارد عذب

ابن حجة :

نقول (ست الشام) لما غازات بعينها فألعت حياتي
وانشقت بمرجها وأبرزت نثراً حلاً لانه نباتي
خذني بغير ضرة فاني بديمة في الحسن والصفات
واستجلاني عروسة يتيمة شامية وعش بلا حمة
ومن محاسن الشام ٠٠٠ وأوله منتهى (الوادي
التحتاني) وآخره (البحرة) يقال انه يشتمل على ثلاثمائة
وستين قرية تزرع الغلة والحبوبات وفي الغالب الشعير
وفيه يقول ابن ظافر الحداد :

كأن سنابل حب الحصيد وقد شارفت حين إبانها
كننايس مظفورة ربعت وارخي فاضل خيطانها

ومن محاسن السلاي قوله :

يا حبيذا سنبله تبدو لعين المبصر

كانها سلسلة مظفورة من عنبر

(البحرة) اليها ينصب ما يفضل من مياه أنهار دمشق
ومنها صيدها من السماء والماء من الطيور والاسماك صيفا
وشتاء

ومن محاسن الشام (ضمير) وهي من القرى القديمة
 اتخذها اليونان
 واليهما ينسب البطيخ الضميري الاصفر ومن اصنافه
 السمرقندي، والسلطاني، والشام
 والبطيخ مشتق من التبطن واسترخاء الجلد ولين
 الجسم تحت يد الغامز. ويقال فيه طبيع وهي لغة فصيحة لانه
 من الطبخ وهو النضج الذي لا يتيمأ له التماسك وقد يكون
 لافراط الرطوبة المفسدة لجوهر الجسم، قاله صاحب
 (معاينة العقل في معاناة النقل) انتهى
 وقال (جالينوس) البطيخ الاصفر في الثانية النضيج
 وجوهره جوهر لطيف وغير النضيج جوهره جوهر
 غليظ وفيهما جميعا قوة تقطع وتجلو ويدران البول ويصفيان
 ظاهر البدن وخاصة ان عمدا الانسان الى بزرها فجففه ودقه
 ونخله واستعمله في الحمام ومعك به بدنه
 وقال (ديسقوريدوس) قشره اذا وضع على العين
 سكن ورمها وان وضع على نوافيخ الصبيان نفعمهم من

الورم العارض في ادمغتهم. وبزر البطيخ اجلى من لحمه حتى
 انه ينفع الكلى التي يتولد فيها الحصى. واخلط المتولد من
 البطيخ خلط رديء
 وقال (ابن الجوزي) في لفظة «رطب» يفتت الحصى
 وهل هو حار ام بارد فيه قولان، جيده السمرقندي،
 منفعته يجلو البشرة ويقطع الكلف والبهق الرفيق عن
 الجلد. وبزره اقوى جلاء من جلده. مضرته يرخي الجسد
 ويولد الرخ، رفعها بالسكنجبين الصرف. يصلح للامزاج
 المعتدلة والسكحول في الخريف. وأضر ما اكل على الجوع
 لاسيما اذا نام الانسان عقبه على الجنب الايمن والمشي بعده
 صالح، واذا اكثر منه ولد هيضة لانه سريع الفساد في
 المعدة سريع الاستحالة الى ما يصادفها
 وقال (أرسطو): اذا فسد في المعدة البطيخ كان
 شبيه السم فليتناياه، وبزره الشربة منه ثلاثة دراهم، فانه
 يزيد في الباه
 وبالاسناد عن امية بن زيد العبسي ان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} كان

يحب من الفواكه العنب والبطيخ
(فائدة) عن أبي مسهر قال: كان أبي إذا بعثني أشتري
البطيخ قال يابني اعدد الخطوط التي فيها فان تك فردا تخليق
بها أن تكون حلوة
وفيه يقول المشد:

ياحسن اصفر بطيخ مذاقته كالشهد ضيف بما ورد وكافور
مثل الدنانير في لون وفي زنة وفي خشونة حبات وتدوير
ومن بديع الايبوردي قوله فيه:

من رأى اشباح تبر مائت من ريق نخله
فاجتليناها بدورا وقطعناها اهله
ومن تفنن ابي طالب بن عبد السلام بن أكبر
المأموني:

مخططة مثل الاكف كأنها
من الجزع كبرى لم تروض بنظام
لها حلة من جنانر وسوسن
مغمدة بالآس غب غمام

تمازج فيها لون حب وعاشق
كسائه الهوى والبين ثوب سقام
وابدى لها التحزير تخضيب كاعب
غلامية ذات اعتدال قوام

رياضية مسكية عسلية
لها لون ديباج وعرف مدام
إذا فصلت للاكل كانت أهلة

وان لم تفصل فهي بدر تمام

والبطيخ المخطط الاصفر وهو المسمى في الشام
بالشمام وفي مصر يسمونه اللفاح وهو نوع صغير مستدير
مخطط بحمرة وصفرة على شكل الثياب العتاني وهو في
طبعه ومزاجه متوسط بين البطيخين الا أنه أقل رطوبة
من البطيخ الهندي وأغلظ من البطيخ الخفيقي ورائحته
باردة طيبة مسكنة للحرارة جالبة للنوم، ولأجل ذلك
ظنت عامة المصريين انه نوع من اللفاح الذي هو ثم
اليربوج. والله تعالى أعلم

وفيه يقول كشاجم : *شبح زاهيا لينة جادة*
 للأنف والعينين في ربوحه لون الحب وعطرة المعشوق
 صفراء طيبة النسيم كأنها بلورة محشوة بمخلوق
 ولأني طالب فيه : *يا فيه كاذ*
 ومصفرة فيها طرائق خضرة *تنبه*
 كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن
 كحقة عاج زينت بزبرجد *تألف*
 حكمت قطع الياقوت في غلف القطن
 وقال ابن المعتز في اللقاح : *يا لعل*
 انظر الى اللقاح في شكله وحسنه المبدع النقش
 مثل عروس خضبت كفها لم تعلق الخناء بالغش
 وقال فيه ظافر الحداد : *يا لعل*
 اهدي الى الطي لفاحة قد ضمخت بالمسك والعنبر
 كأنها اللقاح في كفه سبيكة من ذهب أحمر
 ومن محاسن الشام (برزة) وهي من متزهات
 دمشق التي يرحل اليها وهي شمال ضمير وبها مقام نبي الله

ابراهيم الخليل عليه السلام وقد تقدم سبب تسميتها برزة ^(١)
 وما أحسن قول الشيخ محمد بن نباتة : *يا لعل*
 طاب مقام المرء مع شادن برزت العيش به برزه
 وساعدني الراح لما انثى ولان بعد المنع والعزه
 فيالها من ربوة خلفه قد أظلمتني فوقها الزه
 واليه ينسب التين البرزي والتين أصناف : وهو
 مزي ، برزي ، ماسوفي ، رومي ، بعلبيكي ، كعب الغزال ،
 غريب ، طيفور ، شتوي ، جبلي ، حفيراني ، ملكي ،
 عسيلي ، مكتب ، مجهول . ورق الطير . *تنبه*
 قال (ديسقوريدوس) : التين يجلب العرق ويقطع
 العطش ويسكن الحرارة . واليابس منه مغذ مسخن
 ومعطش ملين للبطن ، ليس بموافق لسيلان المواد الى
 المعدة والامعاء وموافق للحلق وقصبة الرئة والمثانة والكلى
 ومن به ربو والذين تغيرت ألوانهم من أمراض مزمنة
 والذين يصرعون والمجانين
 (١) انظر ص ٣٢

وقال (جالينوس) في الثامنة وأما التين اليابس فقوته حارة في الدرجة الاولى عند انقضائها وفي الثانية عند مبدائها وله لطافة وبها تين الخصلتين صار يفي بانضاج الاورام الصلبة ويحلها وقد ينبغي اذا قصدت في استعمالك اياه أن تخلط معه الخلطة في الانضاج ودقيق الشعير للتخفيف . والتين اللين أكثر انضاجاً والماء الذي يطبخ فيه التين طبخاً كثيراً فانه يصير شبيهاً بالعسل في قوامه وقوته معاً والتين الطري قوته ضعيفة بسبب ما يخالطه من الرطوبات والنوعان جميعاً من اليابس والطري يطلقان البطن . وأما التين البري فقوته حارة محلاة ، وكذلك التين البستاني اذا لم ينضج ، ومزاج شجرة التين حار كما يدل عليه عصارة ورقه فان كل واحد من هذين يسخن اسخانا شديداً وكل واحد منهما يلذع ويجلو جلاء قوياً ويحدث في البدن قروحاً ويفتح أفواه العروق التي في المقعدة ويقلع التآليل وينثرها نثراً وهو مع هذا يسهل البطن . وقضيب شجر التين له حراقة ولطافة مزاج بحيث انك اذا وضعته على

اللحم اليابس في القدر بهريه وقال صاحب (اللقط) : التين حار رطب منفعة انه يجلو دمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم وهو أغذى من جميع الفواكه . ومضرته أن يحدث نفخاً وغلاً . دفع مضرته بشراب السكنجبين واستعماله على الريق . منفعة عجيبة في تفتيحه مجارى الغذاء خصوصاً مع الجوز واللوز . والتين اليابس ينفع الصدر ويجلو . وشراب التين يدر البول وينفع السعال المزمن وأوجاع الصدر وأورام القصبة والزئة ويفتح السدد والكبد والطحال . وورق التين الاسود بماء المطر يسود الشعر وبالإسناد الى النبي ﷺ انه اهدي اليه طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه : كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس . انتهى وما أحسن قول ابن خفاجة :
وسود الوجوه كلون الصدود تبسم تحت عبوس الغبش

إذا ما تجلى بياض الضحى تطلعن في وجهه كالشمس
 كأنني أقطف منها ضحى ثدى صغار بنات الحبش
 ومن تشاييه ابن المعتز قوله فيه : لا أرى ما
 أهلا ببيتين جاءنا مبتسما على طبق
 يحكي الصباح بعضه وبعضه يحكي الشفق
 كسفرة مضمومة قد جمعت بلا حلق
 وقال مؤلفه البدرى رحمه الله تعالى : بيتا
 نوافج المسك حكي تيناً ترام في الغلس
 أو فم ظبي سال منه الريق لما ان انفس
 ومن الغاز الصلاح الصفدى قوله : بيتا
 أي شيء طاب أكلنا ناعم في الخلق بالين
 كيف يخفى عنك يوما وهو في التصحيف بين
 ومن محاسن الشام (القابون) وهي حسنة الماء والهواء
 وهما قابونان فوقاني وتحتاني وبهما ارض (مصطبة السلطان)
 وهي مصطبة في قدر فدان يصعد اليها في نيف وعشرين
 درجة من جهاتها الاربع وفيها قصر حسن البناء ينزل به

الملوك والسلاطين عند توجههم الى الاسفار
 والى هذا القابون ينسب الخيار
 قال اسحق بن سليمان : الخيار ابرد وأثقل واغلظ
 من القثاء لانه في آخر الدرجة الثانية وبرودة القثاء في
 وسطها ولذلك صار الخيار أشد تبريداً وتطفئة ومن قبل
 ذلك صار فعله في توليد البلغم الغليظ والاضرار بعصب
 المعدة ويفججها أكثر من فعل القثاء لانه أثقل وأبعد
 انضماما وأكثر اتعابا للمعدة ، فإذا عسر انضمامه ،
 وبعدت استحالاته ، تولد عنه الخلط البارد الغليظ ، لان سائر
 القواكه اذا عسر انضمامها وبعدت استحالاتها تعفنت
 وولدت خلطاً رديئاً مذموماً شبيهاً بكيفية الادوية
 المسمومة ، واسبقها الى ذلك وأخصها به الخيار لانه عسر
 انضماما بالطبع . والمختار منه ما كان جسمه صغيراً وحبه
 رقيقاً غزيراً متكاثفاً . وأفضل ما يؤكل منه ليه فقط لانه
 أسرع انضماما وأسهل انحذاراً
 وقال الغافقي : يوافق الكبد والمعدة الملتهبتين ، وله

ألطف من لب القثاء وإذا أكل اليسير منه طيب النفس
وقال أمين الدولة بزر الخيار بارد في الثالثة نافع من
احتراق الصفراء ومن الورم الحار في الكبد والطحال ومن
أوجاع الرئة الحارة وقروحها

وقال ابن الجوزي: أبرد مزاجا من القثاء وهو رديء
للمعدة يهيج القيء ويحدث وجع الخاصرة وينبغي ألا يكله أن
يتبعه بالعسل

وقال الرازي: الخيار الخلل مبرد مطف جداً بمقدار
حموضته وعتقه إلا أنه طويل الوقوف في المعدة وينبغي أن
لا يؤكل مع الألوان الغليظة ويؤكل مع الاسفيد باجات
وان سقيت امرأة من قشر الخيار اليابس وزن أربعة
دراهم نفع من عسر الولادة . والله أعلم

وما أحسن قول عسى العاليه^(١) فيه :
خياره أهديت ليها من كف من يجلب السرورا
كأنها اذ قطعت منها كافورة ألبست حزيها

(١) كذا الاصل

القثاء بارد رطب ينفع الحميات المحرقة ويسكن الحرارة
والصفراء والعطش ويدبر البول ويحدث وجع الخواصر
رديء الكيموس يهيج لمن داوم عليه الحميات
وقال الرازي في كتابه (دفع مضار الاغذية) : القثاء
اخف من الخيار واسرع نزولا وهو أيضا يبرد ويرطب
وليس يسخن البدن بل كثيرا ما يبرد اصحاب الامزجة
الحارة ولا يحتاج المحرورون الى اصلاحه الا ان يكثر
منه . وقد يصلح ماتولد منه في البطن من الثقل والنفخ
الجوارش السكوني والسفرجلي ونحوهما . والقثاء والخيار
والقرع من طعام المحرورين ويضر المبرودين وينبغي ان
لا يكثر منه ويتلاحقوا ضرره بالشراب القوي
وفيه يقول ابن المعتز بالله :

انظر اليه انا ييبا منضدة من الزبرجد خضر أمله اوراق
اذا قلبت اسمه بانت محاسنه وصار مقلوبه اني بكم أثق
ومن لطائف السلامي قوله :
وقثاءة مثل هلال السماء ولكنها البست سندسا

عراقية لم يذب جسمها هزالاً ولم تحس فيمن حسا
 زبرجدة حسنت منظراً وكافورة بردت ملمساً
 على رأسها زهرة غضة كنجم الظلام اذا عسعس
 جاء بها مغرس طيب من الارض اكرم به مغرسا
 لها اخوات لطاف القدود اذا مات برجن خضر السكس
 محجية عن شمس النهار بأردية كنسيم المس
 تقوس في حنين ميلادها ولم ار ذا صغر قوسا
 يطول اللسان باطرائها ويصبح من ذمها اخرسا
 ومن محاسن ابن خطيب داريا قوله في الفقوس :
 شبهت حين بدا الفقوس مبتهجاً
 على الرياض وحب فيه ماسور
 مخازن من جين لف ظاهرها
 بسندس حشوها حبات كافور
 ومن محاسن الشام (بيت لهيا والعنابة) ومن الناس
 من يقول (بيت الآلهة) وهو مكان مبارك يزاد ويقال
 ان حواء عليها السلام كانت مقيمة بهذا المكان . ونقل بعض

المؤرخين قال : كانت حواء عليها السلام في (بيت لهيا)
 وادم عليه السلام في (بيت آيات) وهابيل في (سطورا)
 وقاييل في (قينية)
 فائدة عن عبد الرحمن بن يحيى بن سماعيل بن عبد الله بن
 ابي المهاجر قال كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها
 القربان فما تقبل منه جاءت نار فاحرقته ومالم يتقبل بقي على
 حاله وكان هابيل صاحب غنم وكان منزله في (سطورا)
 وكان قاييل صاحب زرع وكان منزله في (قينية) وكان
 آدم في (بيت آيات) وكانت حواء في (بيت لهيا) فجاء
 هابيل بكبش سمين من غنمه فجعله على الصخرة فاخذته النار
 وجاء قاييل بقمح غلته فوضعه على الصخرة فبقي على حاله
 ففسد قاييل وتبعه في هذا الجبل يريد قتله حتى صار من
 أمره ما صار
 قال بعض المؤرخين وهذه الصخرة هي الآن في
 الجامع عند باب جيرون بالقرب من (حاصل الزيت) وهي

صخرة سوداء ^(١) مقرورة انتهى
واما (العنابة) فهي حلة الآن تشتمل على دور وقصور
والسبب في سميتها ان كاهنا في زمن الروم كان يتعبد في
صومعة بتلك الارض فحصل له علة اشرف منها على الهلاك
فنزله عنده تاجر من تجار الروم ومن جملة متجره خمسة
احمال عناب ، خلمها ونشرها ، وكانت دمشق ممحلة من
العناب وليس يوجد بها حبة عناب ، فصار هذا الكاهن
يتناول منه وقد طاب له . فلما أصبح جاء اليه الطبيب
فوجده قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في
نفسه نشاطا فقال له ما الذي استعملت البارحة قال الشيء
الفلافي ونسي ان يذكر له العناب فقال الطبيب ولعلك
استعملت عنابا قال نعم ومن اخبرك بذلك قال لعلمي ان
علتك هذه لا يبرئها سواه وهو معدوم واختشيت ان

(١) لا تزال هذه الصخرة موجودة في مسجد دمشق على
هذه الصفة الى اليوم ، والناس يذكرون انها صخرة القربان —
المطبعة السلفية

اعلق خاطرك به . فزرع الكاهن الارض التي حول صومعته
جميعها عنابا وتقرب بها في كل من احتاج منها الى شي
ياخذه حتى يقال ان في الاسلام وجد من ذلك العناب فرد
شجرة وبني ماحولها فسميت تلك المحلة بها والله تعالى أعلم
العناب حار رطب في وسط الدرجة الاولى والحرارة
فيه اغلب من الرطوبة ويولد خاطا محمودا اذا اكل او شرب
ماؤه ويسكن حدة الدم وحرارته وهو نافع من السعال
ومن الربو ووجع الكليتين والمثانة ووجع الصدر . والمختار
منه ما عظم حبه وان اكل قبل الطعام فهو اجود
وقال الاسرائيلي رطبه يتولد عنه دم بلغمي وهو افضل من
يابسه واذا كان نضيجا لين الطبيعة ولا سيما اليابس منه واذا
كان غصا عفصا حبس الطبيعة وسكن هيجان الدم وحدته
وليس يتمسكن للدم الغالب عليه الرطوبة
وقال الشريف : العناب اذا جفف ورقه وسحق ونثر
على الاكالة نفع من ذلك نفع لا يبلغه غيره من الدواء .
وثرابه بارد رطب يصالح مزاج الدم ويلطفه من احتراق

وينفع من احتراق الكبد وخشونة الصدر ووجعه والسعال
اليابس والحصبة والجدرى . وصفته يؤخذ مائة حبة يترك
عليها خمسة ارطال ماء يغلى حتى ينضج العناب ويصفى من
الماء ثلاثة ارطال ويضاف اليه ثلاثة اسنان سكر ويياض
بيضتين مضروبة بالماء ويرفع على النار ويحرك حتى ينحل
السكر فاذا صار له قوام حط . انتهى

وفيه الغز الامير سيف الدين المشد :

وأحمر اللون قان يعزى اليه الخضاب
ما فيه عين وناب وفيه عين وناب

ومن معاني ديك الجن قوله بقافيتين :

كأنما العناب في دوحه لما تناهى حسنه وابتسم
اقراط ياقوت تبدت لنا أو أنل قد قرطت بالغنم

ابن سهل الاشبيلي قبل اسلامه في العناب الاخضر :

هات اسقنى القهوة في سبتنا

فان يوم السبت يوم السرور

أما ترى العناب في دوحه كأنه رطب قلوب الطيور^(١)
ومن محاسن الشام ارض (سطر ومقرى) وهما من
الاراضى الطيبة الفيحاء . وفيها يقول جلال الدين ابن
خطيب داريا :

خليلى ان وافيتما الشام بكرة

وعايتما الشقراء والغوطة الخضرا

قفا وأقرأ عني كتاباً كتبته

بدعوى لكم مقرى ولا تنسيا سطر

وفيها يقول ابن عنين :

الا ليت شعري هل ابيت ليلة

وظلك يا (مقرى) على ظليل

(دمشق) فلي شوق اليها مبرح

وان ليج واش أو الح عذول

(١) يشير الى البيت المشهور :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

بلاد بها الحصباء در وترها

عير وأنفاس الشمال شمول

تسلسل فيها مأوها وهو مطلق

وصح نسيم الروض وهو عليل

وتلطف شيخ الشيوخ بقوله :

قالوا اما في جلق نزهة تنسيك من أنت به مغرى

يا عاذلي دونك من لحظه سهمها ومن عارضه سطرأ

وبينهما متنزه يسمى باليلكي ، يجتمع فيه الناس ايام

زهر السفرجل ويسيبون الماء تحت اشجاره ويوقدون في

ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويملقون

قشور النارنج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في

بستان الحالج ويقطعون فيه أوقتا من المدة والانشراح

يعجز الوصف عنها

وفيها يقول الشيخ علاء الدين بن المشرف الماردني :

انظر الى يلك زهت ازهاره وزره فالزورة قد تعميت

اشرفت الارض بنور ربها وأخذت زخرفها وازينت

وأنشدني بدر الدين محمد الازهري الناسخ المعروف

بفيلف فيه :

لله من يلك بديع حسنه قد ضم شملي بالذي اهواه

ما زال يفرش لي بساطاً أخضرا فرعى الاله رياضه وكلاه

وفيه يقول ابن قرناص :

ويلك قد بدت فيه معان تطيب بها الندامى والمدام

يسامرك النسيم اذا تغنت حمامه ويسقيك الغمام

ومنه قوله فيه :

قد أتينا نبغى زيارة يلك قد حباننا بالجود والاكرام

ناولتنا ايدي الغصون ثمارا أخرجتها لنا من الاكلام

ومن محاسن الشام أراضى المزارع وهي خضرة مع

الفلاة وكثرة المياه . ومن خصوصياتها الهليون

قال ابن البيطار في مفرداته الهليون ورقه كورق

الشبث ولا شوك له البتة وله برزمدور اخضر ثم يسود

ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ،

منه برى كثير الشوك وهو الذي يسمى بعجمية الاندلس

أسر عين

وقال جالينوس في السادسة وقوته قوة تجلو وليس لها
اسخان ولا تبريد ظاهر، ولذلك صار يفتح السدد من
الكبد والكليتين

قال [ديسقوريدس] : واذا سلق سلقة خفيفة
واكل لبن البطن وادر البول . واذا طبخت اصوله
وشرب طبيخها نفع من به عسر البول [أو يرقان] ومن به
عرق النساء ووجع الامعاء

[قال ابن ماسويه] : ويزيد في الباه ويفتح السدد
التي تعرض في الكبد والكلى ، وينفع من به وجع الظهر
العارض من الريح والبلغم وينفع من وجع القولنج

[قال الرازي] : وربما غي ولا سيما اذا لم يسلق .
وليس يحتاج المبرودون الى اصلاحه وأما المحرورون
فليأكلوه بعد سلقه وتصفيته بالخل والمرى

وقال ابن الجوزي في (لقط المناقم) : الهليون حار
رطب معتدل يولد المني ويحرك شهوة الجماع ويدبر البول

وفيه الجلاء وكذلك يفتح السدد ويؤكل مطبوخا باللحم
ومصلوقا بالزيات والمرى والتوابل وغذاؤه متوسط
ونقلت من (عجائب الخلوقات) لابن الاثير قال :

الهليون قضبان برية ينبت بنفسه في المواضع الندية التي
تجمع فيها مياه الامطار ، وقد نقل الى البساتين فافلح .
وأجوده الغض البستاني المنعطف وهو حار رطب يفتح
سدد الاحشاء وينفع عرق النساء مطبوخا وينفع من
القولنج البلغمي والريحي وينفع من عسر البول ومن عسر
الحبل وينفع لوجع الظهر ويزيد في الباه وبزره جيد لوجع
الضرس

وذكر القزويني قال : حكى لي صديق أربلي قال :
يجبال اربل هليون كثير ، وكان عامل الناحية يتخذ منه
شرابا في كل سنة يبعث به الى صاحب اربل فعمله سنة
وبعث به فوهمت الا كراد الحرامية على القفل فنهبوه
ورأوا ذلك الشراب في البراني فحسبوه عسلا فأمعنوا في
أكله فغلب عليهم الاسهال حتى ضعفوا عن الحركة فر

المسافرون فرفعوا أمرهم لصاحب اربل فارس ليلهم
فقبضوا عليهم وأدخلوهم محملين على الدواب ، والناس
يضحكون منهم ويقولون هؤلاء سكارى الهليون . فتبصر
في تأثيره ومنافعه . انتهى

وفيه يقول كشاجم :

وباقه هليون أنت وهي غضة

فشدتها تشبيه ذي اللب والفضل

برشق نبال جمعت من زبرجد

مشنفة الاعلى مفضضة الاصل

ومن خصوصياتها الطرخون . قال ابن البيطار :

مفرداته هو نبات طويل الورق دقيق الساق يعالو على
وجه الارض نحواً من شبر الى ذارع ونصف وهو من
بقول المائدة ينهض الشهوة ويطيب النكهة واذا شرب
الماء عليه طيبه

وقال صاحب (الفلاحة) : الطرخون صنفان بابلي

طويل الورق ورومي مدور الورق وهو من بقول الصيف

وطعمه حريف لذاع في وسط الدرجة الثانية بطيء في
المعدة عسر الانهضام يخفف الرطوبات وينبغي أن لا يكثر
منه المبرودون وهو يطفي حدة الدم ويقطع شهوة الباه
وعسر انهضامه لكثرة دهنيته فلذا صار بطيء الغذاء
ويختار منه ما كان طرياً غصاً قريباً من ابتداء النبات لأن
ذلك اقل لدهنيته ويؤكل معه السكر فس لأنه يمنع ضرره
ويجيد انحداره وانهضامه

وقال التميمي الطرخون يخدر اللهاة واللسان بما في طبعه
من الخرافة الكافورية اللطيفة وفي طعمه شيء من طعم
العاقر قرحاً وقد ينفع مضغه من يكره شرب الادوية
المطبوخة فلا يلبث في معدته ويدخل ماؤه مع ماء الرازيانج
الاخضر في الشراب الهندي المسمى شراب السكر النافع
من فساد الهواء المانع لكون الجدرى والحصبية وهو من
أنفس اشربة الملوك الهندية وملوك خراسان ، وهذا من
خاصة ماء الطرخون ويمنع من حدوث الوباء فافهم ذلك

وقال ابن الاثير : الطرخون متى جعل في اصوله

الملح جوّده وألقعه
وعافر قرحاهي أصل الطرخون الجبلي، وهو حار
يابس وفيه قوة مخدرة مجفف الرطوبات اذا مضغ نفع من
القلع ويطيّب البوارد اذا ألقى فيها ويقوي المعدة غير أنه
يعطش ويحدث وجع الحلق

ومن خصوصياتها الكرنب، وليس يوجد بالبلاد
المصرية، وهو صنفان النبطي وهو المشهور وخوزي وهو
غليظ الورق جداً شديد الخشونة. والكرنب النبطي
الاندلسي وهو شبيه بالسلق صغير القلوب وأشد رطوبة
من القنبيط

وقال جالينوس: الكرنب في السابعة، وقوته قوة
تجفيف اذا أكل واذا وضع من خارج، ولكنه ليس
بظاهر الحدة والحرافة بل قوته قوة تبلغ به الى ادمال
الجراحات واشفاء القروح الخبيثة والاورام التي قد
صلّبت وصارت في حد ما يسر انحلاله. وبزر الكرنب
يقتل [الدود] اذا شرب وقضبان الكرنب اذا احترق

يصير منها رماد يخفف تجفيفاً شديداً حتى أن قوته تكون
قوة محرقة، ومن أجل ذلك صاروا يخلطون معه شحما
عتيقا ويستعملونه في مداواة وجع الجنبين اذا عتق وفي
سائر العمل الشبيهة بهذا النوع من الوجع لانه يحلل تحليل
قويا

وقل ديسقوريدوس: في الثانية ان سلق سلقة خفيفة
وانحل سهل البطن وان سلق سلقا جيداً أو سلق مرتين
بماء بعد ماء امسك البطن ولقد زرع بمصر فما اكل لمرارته
ولا نبت بعد جهد. واذا أكل الكرنب نفع من ضعف
البصر والارتعاش، واذا اكله المخمور سكن حماره.
وعصارة الكرنب اذا خلط بالشراب وشرب نفع من اسعة
الافعى واذا خلط بدقيق الحلبة والخل وتضمّد به نفع من
النقرس ووجع القروح الوسخة العميقة واذا احتملته المرأة
مع دقيق الشيلم ادر الطمث. وورق الكرنب اذا دق
ناعما وتضمّد به وحده أو مع سويق نفع من كل ورم من
اورام البدن ومن الاورام الباغمية ومن الحمرة ويبريء

الشرى والجرب المتقرح . واذا خلط بالملح قلع النار الفارسية
ويمسك الشعر المتساقط . واذا أكل الورق نيكامع الخل نفع
المطحولين واذا مضغ ومص ماؤه اصلح الصوت المتقطع
وزهره اذا عمل منه فرزجة واحتملته المرأة بعد الحمل
قتل ما في بطنها

وقال ارجنجانس : الكرنب ينفع السعال القديم
والنقرس اذا صب طبيخه على المفاصل وان أطمع الصبيان
نشأوا نشوؤاً سريعاً وعصيره ان شرب بالنبيذ أياما ذهب
بوجع الطحال . ورماده يهري حرق النار ويهري عصيره
الحسكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلي به على الجرب
والبرص نفع وأكله يجلب النوم ويصفي الصوت وينفع
من عضه الكلب

وقال الرازي : مرق الكرنب ينفع من السعال ومن
وجع الظهر العتيق ووجع الركبة
وقال مسناوس : أكل الكرنب يحسن اللون وان
سلق مرتين ثم طيب بكمون وزيت وملح وقلقل وغلي

عليه نفع اصحاب العقر في الامعاء . والماء الذي يغسل
الكرنب به او يطبخ فيه ينقي البدن ويخفف الصداع وينقي
العينين اللتين يجد فيهما صاحبهما ظلمة من رطوبة أو بخار
غليظ ، وينفع الاحشاء ولا سيما الطحال الغليظة ، والذين
غلبت عليهم السوداء الا انه ينقي العروق

وقال ابن ماسويه الكرنب مولد للمرة السوداء والدم
العكر وان طبخ باللحم السمين قلت غائلته . وفي الكرنب
الشامي صنف آخر سمي الموصل وله ورق اخضر جعل مثل
ورق الكرنب الاندلسي غير انه منبسطة على وجه الارض
وينبت بمقامات العجوز . وبدمشق كرنب آخر بري ثمره
مدور ابيض اللون على هيئة الفلفل الابيض وهو ينفع من
نهمش الافاعي ، وعروقه اذا جففت وسحقت وسقي منها
وزن درهمين بشراب ينفع من نهمش الافاعي

وأما القنبيط الذي يدعى عند المصريين بالكرنب
فهو اغلظ واقل في المعدة من الكرنب ، وورقه
الناشئ حو اليه أقل ضرراً وأصلح من جمارته الصفراء الناشئة

في وسطه المائية الغالبة عليه . واجتنبه كاه احمد لتوليد
الدم المكر ، والاكثر منه يضف البصر ، وهو مطاق
للبطن ، كثير البخار يورث احلاماً رديئة وسدداً ومرة
سوداء ، واصلاح ما يؤكل مطبوخاً باللحم السمين ، ويبيضه
الاصفر الذي يسمى حجارة يهيج القراقر والتفخ ويزيد
في المني

وقال الطبري القنبيط بارد يابس غليظ عسر الانهضام
ردىء الغذاء واذا طبخ يبيضه الذي هو ثمره وضرب ماؤه
ثم اكل بالخل والزيت والمري زاد في المني
وقل الرازي : لمائه خاصية في منع السكر . وخاصية
بذر القنبيط افساد المني اذا احتملته المرأة بعد الطهر من
الطمث

وقال الاسرائيلي واذا شربه الخمر حلل خماره .
واذا شرب قبل الشراب منع السكر . انتهى والله اعلم
وفيه يقول مؤلفه :

بغضي في قنبيط قد حكى والفكر صارم

لرؤوس من يهود قطعت تحت المائم
ومن خصوصياتها الباذنجان الاحمر الرفيع والايض
القليل البذر الرقيق القشر
قال ابن البيطار : اسمه فارسي معرب ويسمى بالعربية
الارنب

قال الرازي : جيد للمعدة التي تقىء الطعام وردىء
للرأس والعين يولد ماء اسود يسير المقدار ويتولد عنه كثير
القوابي والبواسير والرمم والامراض السوداوية ويفتح
سدد الكبد والطحال واذا سلق ثم قلي بدهن اللوز ذهب
عنه أكثر حدة وحرافته ، والمشوى منه أصلاح للمعدة
التي تقىء الطعام ، والمطبوخ بالخل أوفق للمحرورين واصحاب
الاكباد الحارة والاطحلة الغليظة

وقال ابن ماسويه : والاحمد في اتخاذه ان يقشر ويشق
ويحشى ملحاً ويترك وقتاً طويلاً في الماء البارد ثم يصب
ذلك الماء عنه ويعاد عليه ماء آخر ثم يسلق ويطبخ بالجلان
والجدايا والدجاج وان اكل مقولاً بسيرج وخل ومري يتقص

بعد اكله ماء الزمان . وكثرة اكله تولد السرطانات
والصلامات والجذام والسهر وتكثر البلغم والبواسير الا ان
اقامه اذا جففت في الظل وسحقت نفعت البواسير بعد ان
تطلى بدهن مسخن

وقال بعضهم في وصف الباذنجان يشبه انوف الزنج
واذناب المحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم . فقيل له
انه يحشى باللحم المقل بالزعفران فقال لو حشي بالتقوى ما
افلح ابدا

وقال الشاعر :

واذا صنعت غذاءنا فاصنعه غير مبندجي
اياك هامة اسود عريان اصلع كوسجني
وقال مؤلفه البدرى فيه وهو مقلي :

بذنجة شبهتها لما قلاها واخترم
بسقط زنج راقد وزند من بعض الخدم
وقال فيه أيضاً :

بذنجم كزنوج كواسج في التمام

خضر الطرا طير هاموا بالرقص تحت الخيام
ومن خصائصها الكراث . قال الغافقي الشامي صنفان
منه صنف أعناقه طويلة ورءوسه صغار، وصنف منه أعناقه
قصيرة ورءوسه مدورة كبار اطيب طعاماً من الاول هو
المسمى بالقفاوط وهو مما يؤكل أصله دون فروعه . وهو
في الثانية نافخ رديء الكيموس تعرض منه احلام رديئة
ويدر البول ويلين البطن ويلطف ويحدث غشاوة في العين
ويدر الطمث ويضر بالثانة المتقرحة والكلى واذا طبخ بماء
الشعير اخرج الفضول التي في الصدر وورقه اذا طبخ بماء
البحر واخل وجلس النساء فيه نفعتهم من انضمام فم الرحم
والصلابة العارضة له وقد يسلق سلقين بماء بعد ماء ثم
ينقع بماء بارد حتى يخلو طعمه ويقل نفخه

وقال الرازي : يهيج الباه والانعاظ ، وهو أسكن
وأقل في الحدة والاعطاش من البصل ، وأغلظ جرماً
وأبطأ نزولاً وانضماماً

وقال ابن ماسويه ^(١) ينفع من القولنج ، واذا أكل الكراث أو طبخ نفع من البواسير الباردة وورق الكراث الشامي من خاصيته النفع للرحم التي فيها رطوبة تزلق الولد وكراث المائدة المسمى عند أهل العراق بالفراط وفي الشام بالبقل وفي الحجاز بالكراث

وقال ابن اسحق ^(٢) : هو الكراث النبطي ويخرج من تحت الأرض أوراقاً ثلاثاً دون اعناق في لون ورق الكراث الاندلسي وشكله إلا أنه دقيق جداً وما تحت الأرض من أصله قدر عقدتين أو ثلاث ، أبيض مستطيل غير مستدير

[ديسقوريدوس : والكراث النبطي هو اشد حراقة من الكراث الشامي] ، وفيه شيء من قبض ، ولذلك ماؤه اذا خلط بالخل ودقق الكندر قطع الدم

(١) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن ماسه »

(٢) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن سمحون قال علي ابن

محمد ... الخ »

وخاصة الرعاف ، ويحرك شهوة الجماع ، واذا خلط بالمسل ولحق كان صالحاً لكل وجع يعرض في الصدر وقرحة الرئة ، واذا أكل نقي قصبة الرئة ، واذا أدمن أكله أظلم البصر ، وهو رديء للمعدة ، واذا تضمد به مع السماق قطع الثآليل ويبري الشرى ، واذا تضمد به مع الملح قلع خبيث القروح واذا شرب من نوره وزن درهمين مع مثله من حب الاس قطع نفث الدم من الصدر

وقال ابن ماسويه : حار في الدرجة الثالثة يابس في الدرجة الثانية ، مصدع ، يولد بخاراً رديئاً ويرى أحلاماً مرعبة ، ينفع من السدد العارضة في السكبد المتولدة من البلغم وان سلق وطحن وأكل وضمد به البواسير العارضة من الرطوبة نفع منها

وقال الرازي : مفتق لشهوة الطعام منعظ معين على الاستكثار من الباه ، ولا يصلح لأصحاب الامزجة الحارة ومن يسرع اليه الرمد والامتلاء الى راسه وقال اليهودي : خاصيته افساد الاسنان واللثة

قال مونس ^(١) اذا ضمده على موضع لسعة الافعى
نفع منها

[ماسرجويه] وبزره اذا دهنت به المقعدة اذهب
البواسير وأكاه يخرب الاضراس ويثيرها غير انه اذا
وجد في الامعاء بلغما أساله ، واذا شرب من بزره ملعة
أحدث انتشارا صحيحا . انتهى

وأما الجزر قال ابن الجوزي : حار رطب ، يحرك
الباه ، ويدر البول ، يطيب الهضم دفع مضرته انضاجه وفيه
نفخ . اصلاحه بالخل والمرى والخردل
ومن تشبيه ابن المعتز قوله :

أنظر الى الجزر الذي يحكي لنا لهب الحريق
كمدية من سندس وبها انصاب من عقيق
وبها الزعتر . قال ابن الاثير : الزعتر نوعان يستاني
وبرى . وهو حار يابس محلل ملطف ، يسكن وجع
الضرس اذا مضغ ، وينفع من أوجاع الوركين ، وينفع
(١) في [مفردات ابن البيطار] : « اسحاق بن عمران »

الكبد والمعدة ، ويخرج الديدان ، ويدر البول ، ويمري
ويشهي الطعام ، ويحلل الرياح ، وقدر ما يوجد منه مثقال
واكاه ينفع من غشاوة البصر الحادث من رطوبة ، ودهنه
ينفع الصدر والرئة ، وينفع من لسع الحيات لاسيما الندي
منه . وذكروا أن القنفذ وابن عرس اذا تناهشا الافاعي
والحيات تعالجا باكل الزعر البري . والله اعلم
وفيه يقول ابن وكيع :

زعتر بل ادق من أرجل النمل وازكى من نفحة الزعفران
كسطور كسين تقطا وشكلا من يدي كاتب لطيف المعاني
وبها الفجل حار يابس محرك الباه رديء الكيموس
يهضم ولا ينهضم لانه يهضم بجوهره اللطيف فاذا انحل
ذلك الجوهر بقى جوهره الكثيف الذي فيه عاصيا على
القوى الهاضمة لزجا سريعا الى التعفن رديئا للمعدة يدر
البول ويجلو المثانة فاذا أكل على الريق ازال البلغم وقوى
المعدة لكنه يضر الرأس والاسنان والعين ، لكن ماءه
يجلو العين واذا طلى بمائه البهق زال ومن طبخ الفجل

باللبن الحليب وشربه تنظفت مثانته من الرمل والحصى .
 والمطبوخ من الفجل يصلح للسعال المزمن العتيق
 والكي موس المتولد في الصدر ، واذا اكل الفجل قبل
 الطعام لين البطن وانفذ الغذاء ، واذا اكل بعده صار
 الطعام صافيا ولا يدعه يستقر . وماء ورقه يفتح سدد
 الكبد ويزيل اليرقان وينفع من نهش الافاعي . وان
 وضعت شذخة منه على العقرب ماتت ، وماؤه اقوى من
 ذلك ، واين لذغت العقرب من اكل فجلا لم تضره . ونور
 الفجل يحلل الرياح وينفع من النمش الكائن في الاعضاء
 وآثار الضرب والكلف . ومن اكل بذر الفجل مع العسل
 ذهب بعض فؤاده . انتهى

وبها السذاب . حار يابس ينفع وجع الصدر ويقاوم
 السموم ويشرب من يحذر السم من بزره وزن درهم مع
 ورقة شراب يحفف ويقطعه ومن اغلى السذاب في سيرج
 وطلى به جسده لم يكن في ثيابه قلة ومن آله ضرسه فأخذ
 ورق السذاب مع زبينة سوداء فوضعه سكن

وبها النعناع حار يابس وفيه رطوبة تحرك به شهوة
 الجماع ويقوي المعدة ويسخنها ويجود الهضم ويسكن
 الفواق الحادث عن امتلاء وينفع اليرقان وخصوصا بشربه
 واذا تركت منه طاقات في اللبن لم يتعجن
 وبها الرشاد حار يابس ملطف يقتل الدود ويحلل
 الرياح ويقطع البلغم والرطوبة الا انه يضر المعدة والمثانة
 وبها البقلة الحقاء باردة رطبة تنفع الضرس والصداع
 الحار تضر المني وتقطع شهوة الجماع ، دفع ضررها بالجر جير
 تصالح للامزاج الحارة والشباب في الصيف ، واذا شرب
 بذر البقلة مع السكر نفع السعال الحار ، والاقباط تسميها
 رجلة

وفيها يقول السراج الوراق :

وأحق أضافنا ببقلة

لنسبة بينهما ووصله

فمن أقل أدبا من سفلة

قد مد ما بين الضيوف رجله

وبها الاسفاناخ حار معتدل رطب وقيل بارد ينفع
من السعال وخشونة الحلق والصدر ويقمع الصفراء والمرار
مضرته أنه يسيء الهضم دفعها بمعجون الورد
وبها الكرفس حار يابس يحلل الرياح ويسكن
الاجاع وينفع من عسر البول ويخرج المشيمة ويهيج
الباه وينفع المعدة وبردها والسعال والطحال وينقي الكلى
والمثانة ويفتت ويصدع الدماغ الا أن يضاف اليه الخس
يصالح للامزاج الباردة والكهول في الشتاء وأكله في
الشتاء يذهب البلغم

وبها السلق الاحمر والايض حار رطب وقيل بارد
ملين للطبيعة وبه تلطيف يفتح به سد السكبد والطحال
ينبغي لمن يأكله أن يطيبه بالخل والخردل وأصل السلق
مولد البلغم لا يوافق المعدة وماؤه يذهب الحرارة من
الرأس ويقلع الثآليل . مضرته يحرق الدم . دفعها . . والمرى
ينفع من الكلف اذا استعمل ورقه ضمادا بعد غسل الموضع
بنظرون ومن طلائرأسه بالسلق زالت الصيبان منه واسود

شعره وتجمد وطال
بها الهندباء باردة رطبة وقيل يابسة جيدها الرطب
يقوي المعدة ويفتح سد السكبد والطحال والاحشاء
والعروق ويقطع حرارة الدم ويبرد السكبد الحارة وانفعها
للسكبد أمرها وماؤها المعتصر ينفع اليرقان الذي من السدد
مضرتها تبطيء بالهضم ، دفع مضرتها بالرشاد ، تصالح
للامزجة الحارة والشباب في الصيف

وبها البصل . حار يابس وقيل رطب ينفع من تغير
المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد في المنى ويحسن
اللون ويقطع البلغم وينظف المعدة إلا أنه يثير الشقيقة
ويصدع الرأس ويولد رياحا ويظلم البصر ، وكثرة أكل
البصل تورث النسيان وتفسد العقل ، دفع مضرته اخل
واللبن ، يصالح الامزاج الباردة ، واذا دق وعجن بالعسل
ووضع على الكلف الغليظ والقوابي والبهق الاسود قلع
ذلك ، واذا دق ناعماً وطلي به موضع الشعر نفع داء
الثعلب ، وان أحرق كان أنفع ، وينفع من نهش الحيات

والسكّاب السكّيب

وبها الثوم حار يابس سخن مجفف جيد له القليل
الحدّة، ويقوي المعدة، ويسخن المعدة مع البدن، ويقطع
البلغم ويحل النفخ، ويعصق الحلق، ويحفظ صحة البدن
وينفع من تغيرت عليه المياه، والسعال المزمن، وأوجاع
الصدر من البرد، ويخرج العلق من الحلق، وينفع من
السموم ويفتح السدد، إلا أنه يهيج الصفراء ويضر الدماغ
ويصدع ويضعف البصر والباه، ولا يصلح بأن يأكله
معتقل ولا مصدع وخطاه غليظ، والنبيء منه يقتل الدود،
والمطبوخ ينظف المثانة. ومن أخذ شيئاً مطبوخاً منه
أو مقلوفاً بسيرج وتحمل به أزال الحسك عنه ونفعه من
عرق النساء، ومن أكل الثوم ولذغته العقرب لم تضره
وان طلي مكان اللدغة بالثوم خرج السم من اللسع، وإذا
مضغ على سن سكن ألمه، ومطبوخه ومشويه يسكن
وجع الاسنان، ورماد الثوم إذا طلي بالعسل على البهق
والقوابي نفع، ومن أراد أن يذهب ريح الثوم من فيه

قليه مضغ دقيق الباقلاء

وبها الكسفرة^(١) اليابسة حارة مع قبض وقيل
باردة^(٢) تقوي المعدة المحرورة لكنها تولد ظلمة البصر،
ولا ينبغي الاستكثار منها لأنها تحرق الدم وتعفنه وتقطع
الشهوة وتفسد الدهن والرطوبة وربما قتلت

وبها الكراويا حارة يابسة تحلل الرياح وتقتل الدود
العارض في الأمعاء وتسمن وتنفع الخفقان والمغص وترخي
الرئة، دفع ضررها بالشعير. انتهى

وبها السكون كالكرأويا وأقوى في تحليل الريح،
حار في الثانية يابس في الثالثة إذا غسل الوجه بمائه صفاه فان
(١) وردت في كتب النبات والعقاقير بلفظ كسفرة وكسبرة
وكزبرة

(٢) هذا قول (ديسقوريدوس) وقد تكلم على ذلك ابن
البيطار في لفظ «كزبرة» من مفرداته بمقالة تدل على فضل
وعلم

استكثر منه صفر اللون واذا سخن بالخل وشم قطع
الرعاف

وبها القرع . قال جالينوس في السابعة مزاجه بارد
رطب ، وهو منهما في الدرجة الثالثة ، ولذلك صار عصير
جراذته نافعا من وجع الاذن الحادث عن ورم حار متى
استعمله الانسان مع دهن ورد ، وكذلك جملة جرم القرع
وما دام نيئا فطعمه كريح ومضرته للسعدة عظيمة . وقد
رأيت انسانا أقدم على أكله نيئا فاحس في معدته بثقل
وبرد وأصابه عليه غشيان وقيء . فاذا سلق فانه يغذو غذاء
رطبيا وانحداره عن المعدة سريع لرطوبته ولما فيه من
الملاسة والتزليق ، واذا انهضم فليس خلطه برديء متى لم
يسبق اليه الفساد قبل انهضامه والفساد يعرض له من قبل
ابطائه في المعدة وعدم انحداره ، ومهما اكل معه انقلب
خلطه وتشبه به

وقال ديسقوريدوس : يسكن الاورام البلغمية ،
واذا طبخ كما هو وعصر وشرب ماؤه بعسل وشيء يسير

من نظرون اسهل البطن اسهالا خفيفا
وقال الرازي : بارد مولد للبلغم وهو طعام المحرورين
يطفي ويبرد ويسكن الالهب والعطش وينفع من الحميات ،
واذا طبخ بالخل نقص من غلظه وبطؤ هضمه وكان اشد
تطفية للصفراء والدم ، الا أنه في هذه الحالة لا يصلح
لاصحاب خشونة الصدر والسعال وأما من به سعال وحى
فليطبخه مع كشك الشعير ومع الماش المقشر ودهن اللوز
الحلو وليجتنبه المبرودون والبالغمون لانه يولد فيهم القولنج
الغليظ ، وان اكلوه فليأكلوه مطبوخا بالزيت مطبيا
بالفلفل وليشربوا عليه الشراب الصرف ، فاذا وضع مع اللبن
يصلح منه الخردل ، واذا وقع في الخل فانه يصلح غلظه
اسكن لا يصلح برودته

وقل اسحق بن سليمان : اذا لطخ بالمعجين وشوي
في الفرن أو التنور واستخرج ماؤه وشرب ببعض
الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحى الملتبهة وقطع العطش
وقال حبيش [بن الحسن] : اذا شرب من مائه

المستخرج بالشيّ فيكون مع عشرين درهماً من الجلاب
ا وزن عشرة دراهم من السكر الأبيض ، ومقدار ما يشرب
منه أربعة آواق الى نصف رطل ولحميته تسقط الشهوة
ودهنه في نحو دهن البنفسج جيد للحر والسهل

وقال اسحق بن عمران : ماؤه يسكن الصداع اذا
شرب أو غسل به الرأس ، وقد ينوم من يابس دماغه اذا
قطر منه في الانف وهو يلين البطن كيف استعمل ولم
يداو المبرسمون والمحرورون بمثله ولا أعجل نفعاً منه

وقال الشريف : ماؤه المشوي بالعجين اذا اكتحل به
يذهب صفرة العين الكائنة من اليرقان ، واذا اكتحل بماء
زهرة اذهب الرمذ الحار ، وقشر القرع اليابس اذا أحرق
وذر على الدم المنبعث قطعه ، واذا أحرق وسحق وعجن
بخل وطلّى به البرص نفع منه ، واذا قشر حبه ودق
واستخرج دهنه انتفع به من وجع الاذان ووجع الامعاء
الحارة ومزقة الفروج المطبوخة بالقرع منعشة المغشي
عليهم من حدة الاخلاط الصفراوية في الحميات وحرقاة

قشره اليابس تنقع من قروح الاعضاء اليابسة وهي جيدة
لتطهير الصبيان ومن قروح الذكر وتجففها

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله
عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « اذا طبختم قدرأ فاكثروا
فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين » انتهى

وانشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصور :

يا عين أعيان الزمان ويا شيخ الشيوخ ومحيي الشرع
ما قرع الباب عليك امرء الا وذاق حلاوة القرع
وبها الكأّة وهي من خواصها . قال ابن البيطار في

الثانية وهو أصل مستدير لا ورق له ولا ساق ، لونه الى
الجرّة يؤخذ في الربيع ويؤكل نيئاً ومطبوخاً

وقال جالينوس : في الثامنة قوام جرم الكأّة من
جوهر أرضي وهي غليظة السكيموس قليلا الا أنه ليس
برديء تورث عسر البول والقولنج واجودها ما كان من
موضع فيه رمل قليل والكأّة الحمراء قاتلة واجود الكأّة
الشديدة التلرز والاملاس والميل الى البياض وأما المتخلخل

الرخوفردية جدا في المعدة الحارة يولد الاوجاع في أسفل
الظهر والصدر ويولد السدد ، وماؤها يجلي البصر وادمان
اكلها يورث السكته والفالج وهي بطيئة الانهضام وينبغي
لا آكلها ان يقشرها وينقيها تنقية كبيرة ليصل اليها الماء
ويخرج غلطها وربما تدفن في الطين الحار يوما ليلة ثم تغسل
ثم تسلقها بالماء والمالح والفودنج والسذاب سلقا بليغا ثم
تؤكل بالزيت الركابي والمرى والسعتر والفلفل . واليابسة
من السمكة ابطأ في المعدة وأكثر ضرراً وينبغي ان يشرب
عليها النبيذ المعسل الصنف ويؤخذ الترياق والزنجبيل

وقال ابن الجوزي : السمكة نبات يتولد من عفونة
الارض الكثيرة الاطوار يولد البلغم الشديد والاسود
اشد غلظا يولد السوداء ويفسد النكهة وهي من الاغذية
الرديئة لكن ماءها يجلو العين لقول النبي ﷺ « السمكة
من المن وماؤها شفاء للعين » اخرجاه في الصحيحين .
انتهى

وقال الغافقي في مفردات ابن البيطار : ان من آكلها

ولسعه شيء من الهوام ذوات السموم مات ولم يخلصه
الدواء البتة . انتهى

وبها اللوبيا . قال ابن الجوزي : منه أبيض ومزاجه
بارد يابس ، ومنه أحمر وفيه حرارة ونفخ ، جيدده الأحمر
يدر البول ويولد خلطاً ويغشى ويولد احلاما رديئة رفعها
بالزيت والمرى والخردل ومنه غليظ وقليل صاف ينفع
الامزاج الباردة اليابسة يصلح للكهول نفخه اقل من
الباقلاء

وبها الارز . حار قليل بارد منفعته من لذغ المعدة
مضرته القولنج لانه يحبس البطن دفعها أن يطبخ بالدهن
والابن . واذا طبخ الارز بعد أن يغسل بدهن اللوز أو
السيرج أو السمّن أو الالية لم يحبس البطن بل يسكن الوجع
العارض في المعدة والامعاء وغداؤه محمود معتدل يصلح
للأمراض الحارة الرطبة ، واذا طبخ بالابن الحليب ولد
السوداء لتوليد خلطاً غليظاً لكنه ينفع الباه

الباقلاء . بارد رطب وقيل يابس ، أجوده الأبيض

السمين وارداه الطري ، يحدث الحكة ويولد البلغم ودفع
مضرته بالسعتر والملح ويؤكل بمبده الزنجبيل ، والباقلاء
تنفع من السعال . مضرته يبلد الحواس دفعها باطالة نفعه
واجادة نضجه وأكله بالفلفل والملح والسعتر مع الادهان
لما فيه من النفخ والترهل والنوم والكسل والسدد يولد
الاخلاق الغليظة ويرى أحلاما رديئة واذا طبخ بقشره
كان أردأ وأكثر توليداً للرياح والباقلاء وتجلو البهق من
الوجه

وفيها يقول القاضي جمال الدين ابو الحسن علي بن
منصور الخزر جي صاحب (غرائب التنبيهات على عجائب
التشبيهات) وقد صلق قدامه الباقلاء :

وقدر بها تعلق الباقلا قبيل الصباح لمن قد خمر
أتينا بها وسط زبدية فكان كأحسن شيء حضر
فصوص من العاج مطبوقه لها غلف من أديم البشر
ومن مجون ابن العطار الدينسري قوله :

شافني حارس فول زهره حاكي عيونك

وابتغى التعريض قلنا لعن الله قرونك
ومن بديع ابن وكيع قوله :
ان للباقلاء نوراً ظريفاً

جلّ في الحسن عن بديع مثال
قد حكى ضحوة لنا اذ تبدى

سرر الروم ضمخت بغوال
ومن بديع المذكور ومقاصده قوله فيه :

فصل الربيع بدا لنا بنسيمه يدعو فتسرع نحوه اخلق
زهر الباقلاء به فكأنه^(١) بين الرياض حمام بلق

ومن تشايمه الفائقة قوله :

كأن ورد الباقلاء اذ بدا

لناظريه اعين فيها حور

كمثل الحافظ اليعاقير اذا

روّعها من قانص فرط الخذر

كانها مداهن من فضة

اوساطها فيها من المسك اثر

كأنه سوائف من خرّ

قد نبتت سوداً لها بيض الطرر
ومن لطائفه قوله فيه :

لى نحو ورد الباقلا لحظ سباني بالدعج
كأنما يياضه يلوح في ذاك البالج
خواتم من فضة بها فصوص من سبج
وله رحمه الله تعالى :

كلفت بنور باقلا سبتني

كأئمه فسري فيه فاش
إذا نزل الفراش عليه يوما

حسبت النور افراخ الفراش
وبها الذرة . باردة يابسة مجففة

وبها الدخن يابس يعقل

وبها الماش بارد رطب جيده الاخضر الكبار يسهل
الاخلاط المؤذية ويلين الصدر وينفع من السعال مع الحصى
ويضعف الاسنان ويولد الرياح بطيء الانهضام وهو

غذاء جيد له جموم اذا طبخ بدهن اللوز

وبها القرطم . حار رطب يسهل البلغم ويحلل الاورام
الصلبة وينقى الصدر والصوت ويزيد في الباه ، لكنه
رديء للمعدة ، مقدار الشربة منه خمسة دراهم

وبها العس . بارد يابس ، جيده الايض الناضج ،
يسكن حدة الدم ، ويقوي المعدة ، مضرته بالماليخوليا
والاعصاب والبصر دمه غليظ وهو عسر الانهضام ، يصلح
الامزاج الدموية والشباب في الصيف ويكره لاصحاب
السوداء ، لانه يتولد منه خلط سوداوي فيحدث فيهم
الوسواس والجذام وحمى الربع ويضر بالعين التي مزاجها
يابس وينفع العين التي مزاجها رطب ، ومما يدفع ضرره
الاسفاناخ والسلق مع كثير من الادهان . وينبغي أن يلقى
على رطل من العس سبعة أرطال من الماء حتى ينضج جيداً
ولا ينبغي أن يخالط به حلو فانه يولد سداداً في
الكبد ، ومن أكثر من أكله اظلم بصره لشدة تجفيفه
ويقلل البول والطمث فلا يقربه من يقطر في بوله

وبها السمسم . حار رطب دسم مغث معطش مسقط
للشهوة مرخ للحشاعسر الانهضام ، الا أنه يسمن ويحلل
الاورام الحارة وهو جيد لضيق النفس والربو . رديء
للمعدة . دفع مضرته أن يؤكل بالعسل . ودهن السمسم
هو السيرج محلل الاورام البلغمية والقولنج وينفع السعال
وخشونة الحلق الا أنه رديء لفم المعدة

وبها بزر قطونا . بارد رطب يحلو ويفسل وينقي ويطفي
العطش اذا قلى فان ضرب في الماء حتى يرخي لعابه وشرب
اطلق الطبيعة

وبها الترمس . حار يابس . نفعه يقتل الدود وينفخ سدود
الطحال عسر الانهضام يولد خلطاً بارداً دفعها أن يؤكل
بالخل يصلح للامزاج البلغمية والشيوخ في الشتاء
وفيه يقول مهبيار :

وترمس طاف به	مهف هف كالقمر
من اسود وأصفر	واحمر وأخضر
نخلته لما أتى	به فصوص جوهر

وبها الحمص . حار رطب وقيل يابس والاسود أقوى
جيده الكبار ويجلو ويزيد في المني جداً ويفتت الحمص
ويحسن اللون طلاء وأكلا ويصفي الصوت ويفتح السدد
من الكبد والطحال ، وينبغي أن يؤكل في الطعام . وطبيخ
الاسود بدهن اللوز ويفتت الحمص في المثانة والحلى .
وهو رديء لقروح المثانة ورطبه اكثر توليداً للفضول من
يابسه . وماؤه يحذر الدود وينقي المثانة والامعاء الدقيقة
وينفع من وجع الظهر ويخرج الجنين ويدر الطمث . دفع
مضرته بالخشخاش والكمون والاسود أنفع . واذا تقع في
اخلل على الريق وصبر عليه نصف يوم قتل الدود . انتهى
وفيه يقول الشهابي ابن الاطرش ويعرض بذكر
الامير طشتمر حمص أخضر لما عاد من النفي :

لما رجعت الينا من شقة البعد والبين
خلناك تحنو علينا يا حمص اخضر بقلبين
وبها الحلبة . حارة يابسة ملينة للطبيعة اذا اكلت
مطبوخة بعد الطعام . ومتى طبخت مع التين اليابس طبخا

جيداً ثم صفيت والقي مأوها في العسل وطبخ ثانية حتى
يصير كالعرق نفع أصحاب السعال العتيق ونقى الصدر
والرئة من الخلط الغليظ اللزج

وبها الخس قال ابن الجوزي : بارد رطب ينفع السهر
ويولد ماء كثيراً ويجلب النوم وينفع من الهذيان واحراق
الشمس للرأس ويقطع سيلان المني . وهو أفضل البقول
وأقلها رداءة واكثرها غذاء سريع الهضم ينفع الامزاج
الحادة والاورام الحارة واليرقان وينفع من اختلاف المياه
وهو يسكن شهوة الجماع وينفع من كثرة الاحتلام وبزره
أشد في ذلك الا أن ضرره يخفف المني ويضر الباه والبصر
ويحدث ظامة ، دفع مضرته بالكرفس . والله أعلم

وفيه يقول مؤلفه البدرى على لسان بعض الظرفاء :

صحبت في الزيه ^(١) يوماً خلين والجوع مساً

بفولة جاد لي ذا وذا ببقل وخساً ^(١)

ومن محاسن الشام أرض الميطور والسيلوق وهما

من متمزهاها ويقال أن أول من غرس بها غراساً بيده
سليمان بن عبد الملك وكان يروي عن النبي ﷺ حديثاً
يقول : قال النبي ﷺ « من غرس غرساً كتب الله له
من الاجر بقدر ما يخرج من ثمار ذلك الغرس » وقال
النبي ﷺ « نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات
في المحل » وقال ﷺ « ابتغوا الرزق في خبايا الارض »
يعنى الزراعة . وقيل لعثمان رضي الله عنه « اتغرس بعدد
الكبر ؟ » فقال : « لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين
خير من توافيني وأنا من المفسدين » . وقيل لابي الدرداء
رضي الله عنه وهو يغرس جوزة « اتغرس وأنت شيخ
وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة » فقال « لا على بعد
أن يكون الاجر لي . ومر كسرى بشيخ وهو يغرس فقال
« ارجو أن تأكل من ثمرتها » فقال « غرسوا وأكلنا
ونغرس فيأكلون » فقال كسرى « زه » وأعطاه اربعة آلاف
درهم فقال الشيخ « ان الشجر تدرك وتطعم في سبع سنين
وقد أطعمت شجرتي في يوم واحد » فقال كسرى اعطوه

أربعة آلاف أخرى

رجع . ويقال أن سليمان بن عبد الملك كان نهما في الاكل
فجاءه بستاني ليضمن بستانه هذا فقال اركب اليه اولا
انظر فاكتبته ثم نضمنك اياه ثم ركب ودخل البستان فلم
يدع به من الثمار الا اليسير حتى ماخلى فيه من البندق
الاخضر والفسقق اما عزب عنه ثم نادى الضامن سليمان
وقال للشهود اكتبوا على هذا ضمان هذا البستان فقال
البستاني كنت أضمنه قبل دخول امير المؤمنين اليه
فضحك منه . ويقال ان قشر البندق والفسقق تجمع فجاء
قدر مكوك طائفي وفضل عنه ^(١)

قال ابن الجوزي : البندق حار يابس اغلظ من الجوز
وابطأ انهضاماً ويولد رياحا في البطن الاسفل الا أنه
يقوى المعدة والامعاء وخلطه غليظ في الدماغ ويؤكل

(١) كان القصاصون يبالغون أولاً بذكر القصص في هذا
الباب تقرباً للعباسيين ، ثم خلف من بعدهم خلف تجاوزوا حدود
المنطق والعقل في هذا الاغراق واسرفوا فيه

مع قليل فلفل فينفع من الزكام وينفع من النهوش
خصوصا في التين والسذاب وكذلك الجوز

قال ابن البيطار : في السابعة وفيه من الجوهر الارضي
البارد اكثر مما في الجوز وكذلك هو أشد عفوصة منه
عند المذاق ، وذلك موجود في شجرته وثمرته وقشره

قال جالينوس : اذا سحق وشرب بالعسل ابرأ من
السعال المزمن واذا قلي واكل مع شيء يسير من الفلفل
انضج النزلة واذا حرق وسحق وخلط بالشحم العتيق من
شحم الخنزير أو شحم الدب ولطخ به داء الثعلب نبت فيه
الشعر . والبندق المحروق اذا سحق مع الزيت وسقيت به
يافوخات الصبيان الزرق سوّد أحداقهم وشعورهم ومن
اكل البندق قبل الطعام نفع من السموم وهو مقطع
للخلط النازج نافع من النفث الحادث من الرئة

وفيه يقول بعضهم وابدع :

ولقد شربت مع الغزال مدامة حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظي الغرير ببندق شبهته ببندق من ساج

فكسرتة فوجدت صوفاً أحمرّاً قد لف فيه بنادق من عاج
الفستق حار يابس وقيل رطب وقيل معتدل منفعة
للمعدة يقوى فيها ويقوى الكبد ويفتح سدها وينقي
الكليتين والمثانة يفتح منافذ الغذاء ويزيد في الباه وينفع
من لدغ العقرب وسائر الهوام خصوصاً الشامي لكنه
يصير الشرى دفع مضرته بمشمش يابس والله أعلم . انتهى
وفيه يقول مذهب الدين الدهان :

وفستقة شبهتها اذ رايتها

وقد عاينتها مقاتي بنعيم

زبرجدة خضراء وسط حريرة

بحقة عاج في غلاف اديم

وهو ماخوذ من قوا الصابي :

زمرد صانه حرير في حق عاج له غلاف

واحسن منه قول ابن المعتز بالله :

زبرجدة ملفوفة في حريرة مضمنة دراً مغشى بياقوت

وقل فضل السكاتب وابدع :

وفستق مستلذ من بعد شرب الرحيق
حق من العاج يحوى زمرداً في عقيق
ومن لطائف ابن سكرة قوله :

كانما الفستق المملوح حين بدا

مقشراً في لطيفات الطياير

والقلب من بين قشريه يلوح لنا

كألسن الطير من بين المناقير

عود وانعطاف الى ذكر سليمان بن عبد الملك . نقل
الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عبد الله بن
الحارث قال اخبرنا ان سليمان بن عبد الملك أمر قيم بستانه ان
يجلس على الفواكه لا يجني منها شيئاً وأمرني بالركوب معه
عند طلوع القمر من آخر الليل ومن حضر من أصحابه ، فلما
دخلنا الى البستان انفرد كل منا يأكل حتى ارتفع النهار ثم
صرنا اليه وقد أكلنا قدر الطاقة ونحن نقول هذا القطف
العنب استوى فيخرطه في فيه وهذه التفاحة نضجت
وهذه الانجاسة ناعمة وكلما رأينا شيئاً نضيجاً نشير اليه

فيتناولوه ويأكله حتى أن الضحى ، فأقبل على قيم البستان
وقال ويحك يا شمر دلني قد جعت فهل عندك شيء
تطعمني به . قال نعم عناق حولية حمراء قل اثنتي بها بلا تأخير
فجاء بها مشوية على خوان وهو قائم بين أشجار الفاكة
فصار يتناول منها قطعة بعد قطعة ويتناول عليها الفاكة
إلى أن فرغت . فقال له يا شمر دل هل عندك غيرها فقال نعم
دجاجتان معلوفتان قد عميتا شحماً قل اثنتي بهما ففعل كما
فعل بالعناق واتي بهما وهو قائم بين أشجار الفاكة حتى
فرغا وقال له إن كان عندك سويق بسمن سلاو بعض سكر
فأثنتي به فاني جائع فجاء بذلك فأكله واستدعى بماء بارد
وجعل شمر دل يصب عليه الماء وأمير المؤمنين يحركه حتى
كفاه فارغاً ثم أعاد الأكل في الفاكة فأكل ملياً وإذا
بالسماط حضر فجلس يأكل كأنه لم يأكل شيئاً
قال الحارث فمجبنا منه

ويقال أنه عرضت له حمى عقيب هذا اشرف منه
على الموت وقيل بل سبب موته أنه أكل اربعمائة بيضة

وسلتي تين وسبعمائة رمانة وخروف وست دجاجات
ومكوك زبيب طائفي . انتهى
وانما ذكر ذلك على سبيل الاستطراد وذكر بستانه
والله أعلم

ومن محاسن الشام (السهم) وهو متصل بارض
الصالحية . وهو درب ما بين دور وقصور ، وفاكة
وزهور ، ومياه تجري بهدير كالبحور . وفيه يقول
القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر
بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره
وليس له فيها نصيب ولا سهم
ومن لطائفه قوله فيها وفي السهم :

بقاع دمشق للأمير بشار
فقف بمغاني جنكها مترنما

بقاع اذا قوس الرباب بسهمه
رماها غدت بالوشى بردا مسهما
وما أحسن قول القيراطي :

دمشق سما سهما على قوس الكواكب ، وأقبلت
من كتائب زهورها في مواكب . وتحرك عودها حين
غنت عليه من الورق الفينان ، وطفح يزيدا فقلت وهذا
مما يعجب اباسفيان

ومن المحاسن ارض بشار وبهران ، وهما معدن
التوت ، واصل حسنه المنعوت

وهو أصناف : محسني . بندقي . عجمي . مخضب .
قرشي . حراديني . شامي وهو الاسود

قال جالينوس في السابعة التوت المحسني الابيض
اذا كان نضيجا فهو يطلق البطن وما لم ينضج وقد صار
دواء يحبس البطن حبسا شديدا حتى انه يصلح لقروح
الامعاء والاستطلاق ولجميع العلل التي هي من جنس
التحلب ، ويخلط بعد أن يسحق مع الاطعمة كما يخلط السماق

فان أحب انسان أن يشربه شربة مع الماء أو مع الشراب أو
مع عصارة التوت المدرك فهي نافعة لادواء الفم

وقال ابن الجوزي : اذا أكل التوت الابيض على
الريق أسهل وولد خلطا جيدا فان أكل على الطعام ولد
كيموسا وأضر بالمعدة وهو رديء الغذاء فاسد الدم
خلطه غليظ يكره منه غير النضيج والوقوف أن يغسل
قبل أكله ليؤمن اضراره بالمعدة والرأس ويشرب بعده
السكنجبين والتوت النضيج المبرد بالثلج ينفع المعدة التي
غلب الحر عليها واليبس . انتهى

وفيه يقول المهلب :

كلوا من التوت وانشطوا فانه على الارى مسلط^(١)
كأنما التوت على اطباقه لآلئ بعندم منقط
ومن مجون لسان الدين ابن الخطيب قوله فيه :

أقول له اذ ابتعنا عصيرا

وجاوزنا المنازل والبيوتا

(١) كذا

لعلك يا حبيب القلب تأتي

وتأكل عندنا عنباً وتوتا

ونقلت من خط المرحوم شمس الدين محمد النواجي

قوله :

بالله يا صاح قم وباكر بستان لهو حوى نموتا

تشبع نخلاً به وكرماً مرتباً يا نعا وتوتا

والتوت الاسود الشامي قال ابن الجوزي في (لقط

المنافع) الحلو حار رطب والحامض بارد جيد الكبار

السود . ومنفعته لاورام الحلق وادرار البول ، ومضرته

يحدث مغصاً وسوء استحالة وهو رديء للمعدة الا أنه

لا يضر معدة صفراوية ودفع مضرته الاطريفل الصغير

يصلح للامزاج الدموية والشباب في الربيع في البلد الحار

والله يعلم

ومن محاسن الشام (الصالحية) مشحونة بالزوايا

والترب والمدارس حتى ان بها قصبة دون ميل تمشي فيها

بين ترب ومدارس بيناء جميل استولى عليها المباشرون

والنظار ، فازالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار . فكم

من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح ، وأمست

في ظلمة بعد تلك المصاييح . وهي تقول أصبحتُ حاصلاً ،

بعد ما كان ابواني بالقراء عامراً أهلاً ، وهذه تقول

أضحيت مربطاً للبهائم ، بعد ما كنت معبداً للقائم

والصائم . وهذه تقول اتخذوني مسكناً ، وهذه تقول

جعلوني متبناً . وهذه تقول هدوني ، واخذوا سقفي

وكشفوني . وهذه تقول اخربوا جداري . وباعوا الباب ،

وجعلوني مأوى للكلاب . والاقواق تستغيث الى المولى

المغيث . فيقال لهم اسمعوا كلام الرحمن في محكم القرآن « ان

الينا يا ايهاهم ، ثم ان علينا حسابهم »

فياشوقاه لحسن (الجر كسية) وحلاوة (الركنية)

ويالهفاه على (جامع الافرم) و (الناصرية) . تغيرت تلك

المعاهد ، وغلقت أبواب تلك المساجد والمعابد . انا لله وانا

اليه راجعون . ان هذا لهو البلاء الجسيم ، فلا حول ولا قوة

الا بالله العلي العظيم

وبالصالحية نهران ، فيها يجريان . (ثورا) و (يزيد) ،
وكم عليهما من غرفة وقصر مشيد

يحكى عن ابن الصائغ الحنفى انه لما قدم من القاهرة
الى دمشق المحروسة نزل في (الجسر الابيض) عند الامير
مجير الدين ابن تميم ونهر ثورا يمر بداره المانوسة فجلسه على
جانب النهر لاجل برد الهواء ، فرأى شمس الدين ابن
الصائغ ما يمر من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول
ويأكل ما استطاب ويضع قدمه منه ما اعجبه ثم التفت
لابن تميم وقال له أنت يغنيك هذا النهر عن شراء الفاكهة
بفيض فضله العميم وانشده في الحال اتجلاً :

يقول وقد رأى ثورا خليلي يفيض بسائر الثمرات فيضاً
أيكفيكم فلا تشرون شيئاً فقلت له نعم ونبيع أيضاً
فقال ابن الصائغ : وهذه الفاكهة اليس يرميها في
النهر أرباب الغيطان . قال له ابن تميم انما هذه من اشتباك
الاشجار وانحنائها عليه فيلقيها النسيم عند ما تشتمل
الاغصان واما البساتنة فانهم يضعون فواكه مجموعة على

ابواب البساتين كالزكاة لمن يمر بها ويحتاج الى شيء فيأخذه
من الفقراء والمساكين

وأخبرت في القديم ان بعض الفقراء يضع مكتبته على
رأسه ويسرح في طرق البساتين فيعود وقد امتلأ مكتبته
مما يسقط من الاثمار من غير ان يتناول بيده شيئاً

وفي البساتين من يزرع اشجاراً للفقراء يعرفونها
بالتكرار ، وغالب ما يزرع من ذلك على الطرقات ليقرب
تناولها . انتهى

وغالب أهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبلح
والاترج والسكباد ، لنمو حسنه عندهم ونضارته التي هي
في ازدياد

قال ابن الجوزي البالح حار يابس وقيل بارد ينشف
الرطوبة ويدبغ المعده ويحبس ، جيده غير القابض يضر
بالاسنان والفم . دفع مضرته بالسكنجبين واذا اكل أول
ما يحلو أحدث قراقر . والبسر والبلح يحدث السدد في
الاحشاء والسكبد ويولد الاكثار منهما اخلاطاً غليظة

وهما رديئان للصدر والثثة والجمار الذي هو طلع بارد يابس يقوي الحشا ويعقل البطن والطبع ويضر الصدر والحلق دفع مضرته بالتمر والشهد خلطه غليظ بطيء الهضم ينفع الامزاج الحارة الرطبة ومن اكثر من أكل الطلع مرضت معدته واورثه القوانج

وباسناد عن عائشة رضي الله قالت قال رسول الله ﷺ «كلوا البلح بالتمر فان الشيطان اذا نظر الى ابن آدم يا كل البلح بالتمر يقول يقى ابن آدم جنى الحديث بالعتيق» انتهى الرطب حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباه لكنه سريع التعفن ودمه رديء وهو مصدع ويولد السدد ويؤذي الاسنان وينبغي ان يشرب بعده السكنجبين

وعن انس قال «رأيت رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب» ورواه ابو داود. وعن عبد الله بن جعفر قال «رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب» اخرجاه في الصحيحين. وعن ابي داود من حديث عائشة رضي الله

عنها أن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول «يكسر حر هذا برد هذا». وقال ابو سليمان الخطابي وفي هذا بيان الرطب والعلاج ومقابلة الشيء بالمضاد له وفيه اباحة التوسع بالطعمة ونيل الملاذ المباحة

والرطب المعسل حار رطب ينفع المعدة الباردة ويضر الحنجرة والصوت. دفع مضرته بالسويق الخشخاشي. فاذا عتق كان أقل حرارة واكثر رطوبة وازيد في توليد النى فاذا ربي بالعسل والزعفران تضاعفت حرارته لكن يكسرها اللوز في موضع النوى ويؤكل بعده الخس بالخل والتمر جيده البرني الحديث الكبار وهو حار رطب في الاولى يقوي السكبد والاعصاب ويلين الطبع ويزيد في النى ولكنه يصدع لحرارته ويولد السدد ويؤذي الاسنان سريع التعفن

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كلوا التمر على الرقيق فانه يقتل الدود» وعن انس بن مالك ان وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على النبي

عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال « خير ثمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داء فيه »
وفي مدينة النبي ﷺ تمر يقال له العجوة . وفي
الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ
انه قال « من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم
سم ولا سحر » وعن أبي سعيد وجابر قالا قال رسول الله
ﷺ « العجوة من الجنة وهي شفاء من السم » . واعلم انما
خصت عجوة المدينة بدعاء النبي ﷺ لان التمر لا يفعل ذلك
والقصب معتدل في الحرارة يابس يحبس الطبع وهو
احمد من التمر . وما اللطف قول صدر الدين بن الادمي في
التمر :

لم أرد التمر الذي اهدىتموه لسوى
خوفي من نواكم لان في التمر النوى
وقال ظافر الحداد في وصف النخيل :
وعشية بهرت لعينك منظرًا
قدم السرور بها لقلبك وافدا
روض كما أخضر العذار وجدول

نقشت عليه يد النسيم مباردا
والنخل كالهيف الحسان تزيئت
فلبسن من اثمارهن قلائدا
وقال بعضهم :

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظار
مخازنا من عقيق قد قمت بنضار
كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشف مثل كئوس مملوءة بعقار
ومما ينسب الى نبطويه قوله :

كأنما النخل وقد نكست رءوسها الريح باذيلها
احبة فارقتها إلفها فأطرفت تنظر في حالها
ومن محاسن ابن سارة قوله في الجمار :
جمارة كالماء لكنها ما بين أطمار من الليف
كأنها جسم رطيب وقد لفف في ثوب من الصوف
والنصير الحامي في من أهدى له جمارة :
أهدى لنا جمارة من لست أخلو من عذابه

فكأنما هي جسمه لما تجرد من ثيابه
ابن المعتز يصف الطلع بقوله :

ومريضة الاجفان تفن كل ذي عقل وناسك
اهدت الينا طلعة والشوك للأحشاء ناهك
فكأنها لما بدت في كفها مكوك حائك
حتى اذا فضت رأيت من اللجين بها سبائك
ومن محاسنه قوله فيه :

كأنما الطلع يحكي لناظري حين يقبل
سلاسلًا من لجين يضمها تحت صندل
وأخذه بلا قافية ابن عبد ربه :

أفدي الذي أهدى الينا طلعة

اهدى الى القذب المشوق بلا بلا

فكأنما هي زورق من فضة

قد أودعته من اللجين سلاسلًا

وأخذه ابن وكيع فقال وهو من لطائفه :

طلع هتكنا عنه أثوابه من بعد ما قد كان مستورا

كأنه لما بدا ضاحكاً في العين تشبيها وتقديرا
درج من الصندل قد أودعت فيه يد العطار كافورا
ومن معانيه البديعة قوله :

وطلع هتكنا عنه جيب قيصه

فيا حسنه من منظر حين هتكنا

حكى صدر خود من بني الروم هزها

سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا

ومن مقاصده قوله في البسر الاحمر :

انظر الى البسر اذ تبدى ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا

ومن بدائع ابن القطاع قوله فيه :

انظر البسر ان صورته أحسن ما صورده الرائي

كأنما شكاه لمبصره أنامل قمت بحناء

ابن حمديس العقيلي قوله في البلح :

أما ترى النخل أطلعت بلحا جاء بشيرا بدولة الرطب

مكاحل من زمرد خرطت مقمعات الرؤوس بالذهب

ابن النقيب اللباني قوله في البسر الابيض :

انظر الى البسر الذي قد جاءنا بالعجب
كيف غدا في لونه كعاشق مكتئب
كأنه من فضة قد غمست في ذهب

ومن لطائف ابن وكيع قوله في الرطب :

أما ترى الرطب المجنى لا كاه

حلولى أعدت لنا من صنعة الباري

ما باشرتها يد العقاد في عمل

في الدست يوماً ولا حطت على النار

الأترج * قال ابن البيطار كثير بأرض العرب وهو
مما يغرس غرساً ولا يكون برياً وورقه مثل ورق الجوز
وهو طيب الرائحة ونواره شبيه بنوار النرجس الا أنه
الطف وله بزر شبه الكثرى

وقال جالينوس في السابعة وجوف الأترج الذي فيه
البزر حامض الطعم وقوته قوة تجفف تجفيفاً كثيراً حتى

يقال انه في الدرجة الثالثة من درجات الاشياء التي تبرد
وتجفف

[اسحق بن سليمان] وما كان منه حامضاً كان بارداً
يابساً في الدرجة [الثالثة] يقوي المعدة ويزيد في شهوة
الطعام ويقمع حدة [المرّة] الصفراء ويزيد الغم العارض
منها ويسكن العطش ويقطع الاسهال وينفع من القوباء
والكلف اذا طلي عليها ، ويستدل على ذلك من فعله في
الخبر اذا وقع في الثياب فانه اذا طلي عليه قلعه وذهب به
[جالينوس] وشحم الأترج الذي بين قشره وحماضه
يولد اخلاطاً غليظة باردة

[ابن سينا] ينفخ بطيء الانهضام يورث القولنج ،
ويجب أن يؤكل مفرداً ولا يخلط بطعام قبله ولا بعده
والمرابي بالعسل اسلم واقبل للهضم
وقال ابن الجوزي الأترج جيده السوسي الكبير وهو
بارد رطب ولحمه بارد وقشره حار يابس وحماضه بارد يابس
ودهنه ينفع البواسير وحبه ينفع الدماغ الذي ناله البرد

ويحلل الرياح المارضة فيه . والله أعلم
وفيه يقول عبد الله بن المعتز بالله :

يا حبذا يومنا ونحن على رؤوسنا نعقد الاكاليلا
في روضة ذلت لقاطفها غصونها الدانيات تذليلا
كأن أترجها تيمس به أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفى قناديلا
وما أرقى قول ابن رشيقي :

أترجة سبطة الاطراف ناعمة

تلقى النفوس بحظ غير منحوس

كأنما بسطت كفًا خالقها

تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن تشاييه ابن بوبن ^(١) من مزدوجته :

كأنما أترجه المصبغ أيدي زناة من زنود تقطع

ومن بديع ابن المعتز قوله :

وكان الأترج كف كعاب جمعته لضمها بسوار

(١) كذا

ومن التشاييه البديعة قول ابن حمديس :

انظر الى الأترج وهو مصبغ

ان كنت في التشبية اى محقق

مثل الاكف غدت تضم اناملا

يدخلنهن في اناء ضيق

ومن محاسن يحيى الدين الدهان :

حياك من تهوى بأترجة ناعمة مقدودة غضة

جلدها من ذهب أصفر وجسمها الناعم من فضة

وقال الامير أبو فراس بن حمدان في الكباد :

أما ترى الكباد في حسنه اذا بدا في وسط بستانه

كعاشق أبصر محبوبه فاصفر من خيفة هجرانه

وقال ابن زيدون في الحمض :

يا حبذا حمضة تحدث للنفس الطرب

كانها كافورة لها غشاء من ذهب

الليمون . قال صاحب الفلاحة ستة أنواع منها المركب

وهو نوعان أحمر وأصفر ومنها التفاحي وهو نوعان والختم

والجلسي ، وغالب ما يستعمل الاصفر والتفاحي
وأخبرني بعض الغياطة أن بمصر الليمون أربعة
عشر نوعا ولم يعد منهم ولا واحداً
وقال ابن البيطار والليمون مركب من ثلاثة اجزاء
مختلفة المنافع والقوى وهي القشر والحامض والبزر . في طعم
قشره بمض مرورة وقبض خفي وله عطرية ظاهرة وفيه
تسخين وتجفيف مزاجه حار في أول الدرجة الثانية يابس
في آخرها

ومن لطائف النصير الجمي قوله فيه :

أهدى الي الظبي ليمونة

لا زلت ذا شكر لاحسانه

صفرتها تحكي اصفراري به

وطعمها من طعم هجرانه

وله فيه :

ليموننا هذا الذي قد بدا يأخذ من اشراقه بالعيان

كأنه بيض دجاج وقد لطحه العايب بالزعفران

النارنج قل ابن الجوزي حماضه بارد يابس يقوى المعدة
ويقطع البلغم ويسكن الصفراء الا انه يرخي الاعصاب
دفع مضرته أكله بالسكر يشهي الطعام وحبه يحلل الرياح
الباردة من الدماغ وهو ألطف من الاترج ومختاره ماقلت
حموضته وقشره حار يابس وخاصية النارنج ان من ادمن
شبه يأخذه الرعاف الى ان يموت والله سبحانه وتعالى أعلم
وزهره يسمى بالقдах

ومن محاسن ابن قرناص قوله في نواره :

نديمي هبّا قد قضى النجم نجمه

وهبّ نسيم ناعم يوقظ الفجرا

وقد أزهّر النارنج أزرار فضة

تزرع على الاشجار أوراقها الخضرا

ومن أغراض شهاب الدين محمد بن دمر داش قوله :

ان أينع النارنج حاكى لونه

في صبغه القاني خد حبيبي

واذا تبدى مزهراً فكأنما
جمع الوصال عذاره ومشبي
وقال مؤلفه البدرى :

نارنجة قد أشبهت حسناء في
عرس النسيم تيس مع نشر طوى
يا حسننها تجلى لنا في حلة
من سندس أزراها من لؤلؤ

وقال أيضاً :

في الكيمياء صحت لنا نارنجة من حطب
لجين زهرها يعد سبائكاً من ذهب
ومن لطائف الارجاني قوله فيه :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقمامة اغيد
اذا ميلتها الريح كانت ككرة بدت ذهباً في صولجان زبرجد
ومن محاسن الصاحب ابن عباد :
بعثنا من النارنج ما طاب عرفه

ونمت على الاغصان منه نوافج
كرات من العقيان احكم خرطها
وايدي النداي حولهن صوالج
ومن بدائع ابن وكيع قوله :

ألا اسقني الراح في جنة طرائف أثمارها تزه
كان تمايل نارنجها مقابض كيمختها أخضر
ومن الغاز ابن خليكان قوله فيه :

ما اسم اذا صحفته الفيته من بعد ذاك ولفظه تاريخ
في ضمنه نار اذا حقتها لاجرها وار ولا منفوخ
حيران ان صحفته وعكسته لا العذل يسمعه ولا التويخ
يارنج بلغ من احب تحيتي ان الحبيب لما تقول مصيخ

ونقلت من خط بلدينا الشرف القواس الدمشقي :

نظرت الى نارنجة في يمينه
كجمره نار وهي باردة للمس
فقربها من خده فتالقت

فشبهتها المريح في دارة الشمس

ومن بدائع ابن قرناص الحموي قوله :
 نارنجة برزت في منظر عجب زبرجد ونضار صاغه المطر
 كأن موسى كلم الله اقبسها نارا وجر عليها ذيله الخضر
 ومن اغزال ابن دمرdash قوله :
 تأمل ترى النارنج في الدوح باسمها
 نضيرا يروق العين من جلناره
 وقد لاح تحت الغصن غضنا كأنه
 خدود الذي أهواه تحت عذاره
 ومن المعاني التي سبكها ظفر الحداد قوله :
 تأمل فدتك النفس يا صاح منظرأ
 يسر به قلب اللبيب على الفكر
 حيا وابل يجري على شجر بدا
 به ثمر النارنج كالأكر التبر
 دموع حداها الشوق فأنهملت على
 خدود تراب تحت انقبة خضر
 ونقل ابن خلدكان في ترجمة السلامي انه كان شاعرا

مجيداً فرحل في صباه من مدينة السلام الى الموصل وبها
 جماعة من كبراء الشعراء كالسري والبيضاء والخلالدين
 فارادوا اختباره في النظم فقال أبو الفرج البيضاء أنا اكيفكم
 ذلك وصنع وليمة ودعاه الى عنده وقال له في غضون المحاضرة
 ما تقول في هذا النارنج الذي بمنزلنا فأنشده ارتجالا وقال :
 ونارنج تميل به غصون ومنها ما يرى كالصولجان
 اشبهه ثديا ناهدات غلائها صبغن بزعفران
 فرك كل منهم رأسه وقال هذا التشبيه هجس
 بفكري الآن . وأنشد :
 تطالعنا بين الغصون كأنها نهود عذارى في ملاحفها الصفر
 السري :
 اذا ما تبدى في الغصون حسبته نهود عذارى مسهن خلق
 ومن محاسن الشام (جبل قاسيون) فان الصالحية في
 سفحه وتحت ذراه . وهو جبل مبارك به آثار الانبياء
 والصحابة والاولياء وبه (الكهف) ويقال انه كهف اصحاب
 القصة وبه مغارة الدم يقال ان كل ليلة جمعة يرى بها فطرة

دم وبه محاريب الاربعين محل تعبدكم . وقال بعضهم :
تحن الى وادي دمشق جوانحي وان كان مما قل فيه نصيبي
وانى لاهوى قاسميون لانني رأيت اسمه شبيها لاسم حبيبي
وبه ينبت من عند الله تعالى من الازهار والاشجار
مالا ينبت في غيره وسقيه بالامطار

فمن ازهاره القرنفل وهو شديد العطرية
والخزام وهو مشهور بالعطرية

والشيخ . قال ابن الجوزي حار يابس في الثالثة أفضله
ما كان الى البياض وهو بدمشق يخرج الدود . واذا احرق
وسحق ووضع في زيت أو في دهن اللوز وطلى به من لم
ينبت له لحية اسرع نباتها لانه يوسع مسامها بلطافته وينزع
من داء الثعلب . وعن عبد الله بن ابي جعفر القرشي ان
رسول الله ﷺ قال « بخروا بيوتكم باللبان والشيخ »

وبه السماق . قال ابن البيطار في الاولى يستعمل في
الطعام وهو ثمر نبات يقال له اروس برسوديسقونس^(١)

(١) في مفردات ابن البيطار « رؤس برسوديسقونس »

وهو بالعربية سماق الدباغين وانما سمي هكذا لان الدباغين
يستعملونه في دباغة الجلود . وهي شجرة تنبت في الجبال
والصخور طولها نحو من ذراعين وفيها ورق طويل لونه
الى حمرة الدم وهو مشرف الاطراف على هيئة المنشار وله
ثمر شبيه بالعناقيد كثيف وفي عظم الحبة الخضراء الى
العرض

وقال جالينوس في الثامنة يقبض ويحفف وانفع ما فيها
الثمرة وعصارتها

[ديسقوريدوس] ويعمل منه حقنة لقرحة الامعاء
ويقطر في الاذن التي يسيل منها القيح واذا تضمد بالورق
[مع الخل] والعسل اضمر الداحس ومنع الورم [الخبيث
الذي يقال له غنغران]

[الرازي] وزعم قوم انه اذا شد في صوف مصبوغ
بحمرة وشد على صاحب النزف من أى عضو كان قطع الدم
[ابن ماسويه] وينفع الاسهال المزمن الذي يكون
من الصفراء واذا نقع في ماء ورد واكتحل به نفع من

ابتداء [الرمذ] الحار مع مادة وقوى الحدة
 [اسحق بن عمران] وان نقع في ماء نقع من السلاق
 والاحترق وقطع الحكمة العارضة للعين ، وان اخذه من به
 قىء دائم ودقه مع الكمون دقا جريشاً وشرب منها بماء
 بارد قطع القيء عنه
 وقال ابن الجوزي السماق بارد في الثانية يابس في الثالثة
 قابض مقو للمعدة يشدها ويجلو خشونة اللسان ويسكن
 العطش والغثيان الصفراوي واجوده الاحمر انتهى
 وبه الزعرور . قال صاحب كتاب الفلاحة هي شجرة
 تنبت بنفسها في الجبال والصحاري وتقرس في البساتين
 وفلاحتها كفلاحة الخوخ والمشمش واذا حولت ضعفت
 ومن اراد قوتها فليحمل اليها من التراب الذي كانت به
 ويظمره حوالها فانها تقوى واجوده الاحمر البستاني البالغ
 وهو بارد يابس رديء للمعدة والكلى يولد بلغمًا والجبلي
 يجمع الصفراء ويحبس السيالات ويقوى المعدة ويقمع
 القيء الا انه يصمدع

وقال صاحب المفردات هي شجرة مشوكة ولها ثمر
 صغار شبيهة بالتفاح في شكله لذيق في كل واحدة منها ثلاث
 حبات ولذلك سماه قوم طريفان ^(١) وهو ذو الثلاث حبات
 وهو قابض واذا اكل كان جيداً للمعدة ممسكاً للبطن
 مسكناً للصفراء والدم ولا يحبس البول ويشهي الاكل
 ويولد القولنج

وقال صاحب (اللقط) الزعرور الجبلي بارد يابس
 مطفيء للحرارة يجمع الصفراء والبستاني الاحمر بارد رطب
 مولد للبلغم رديء للمعدة والله اعلم
 وهذا الاحمر لا حاجة به لجناه وانما يرمي سياجا لشدة
 شوكة وكذا في السياج توت اسود لا يجنيه زراعه كورد
 السياج السالف لنا ذكره

ومن السياج شجرة يقال لها (الزيفون) ^(٢) لها زهر
 (١) كانت في الاصل (طريفان) وفي مفردات ابن البيطار
 (طريفان) وفي اللغة الفرنسية لفظ *Triphylle* بمعنى ثلاثي
 الورقات (٢) قال ابن البيطار هو اسم دمشق للنوع الذي
 لا يثمر من شجر الغبيراء

اصفر برائحة عطرية وفيه تهيج للنساء اذا شمته وهذه
الاربعة الاشياء انما يزرعونها الشدة شوكتها . انتهى
وفيه يقول ابن حني وأبدع :

كأنما الزعرور لمسا بدا

في حسن تقدير وأمر أنيق

جلال مخضوبة عندما

أوخزات خرطن من عقيق

يضع من رياه لما هفا

به نسيم الريح مسك نشيق

ونقلت من خط الشهابي أحمد بن المطار الديسري :

باكر الدوحة واغنم واجتلي

غصن زعرور تسمى وافتخر

حقه من ذهب داخلها

قطنة فيها ثلاث من درر

وبه الخروب قال ابن الجوزي بارد يابس وقيل حار ،

جيده الحلو الطري ينفع القيام ما دام طرياً فاذا يابس عقل
البطن والرطب ردىء للمعدة واليابس أبطأ انهضاماً يدفع
ضرره الفانيد ، والمضمضة بطبيخه جيدة لوجع الاسنان ،
انتهى والله أعلم

ومن محاسن الشام قرية (منين) . خضرة نضرة ،
وهي شمالي جبل قاسيون ، وبها السيدان الجليلان (الشيخ
جندل) و (الشيخ أبو الرجال) أعاد الله علينا من بركاتهما
ويقال أن الشيخ جندل لا يقبل من ينام عنده ، فاذا نام
الانسان حول الضريح يفتح عينه يجد نفسه ملقى خارج
المزار وقد اشتهر ذلك عنه

والى منين ينسب الجوز المنيني لرقه قشره وبياض
قلبه ، وهو صنوف : مغاربي ، وفرك ، ومنيني ، وجبلي ،
وبستاني

قال جالينوس في السابعة : وهذه الشجرة في ورقها
وأطرافها شيء من القبض وهو في القشر الخارج اذا كان
طرياً ابيض . وكذلك الصبّاغون يستعملون هذا القشر ،

وأما قلبه الذي يؤكل ففيه دهنية ، وبهذا السبب تسرع اليه الاستحالات
قال ابن الجوزي : الجوز حار رطب وقيل يابس
عسر الانهضام رديء للمعدة مضرة تن الفم ويؤلم الخلق
ويصدع ولا يصلح أكل العتيق منه . ودفع مضرته
بالخشخاش والمتولد عنه دم حار يصلح الامزاج اليابسة
وللمشاخ إذا أكل مع التين نفع من السموم لاسيما الجوز
الاخضر

وقال ديسقوريدوس : الجوز عسر الانهضام مولد
للحمة الصفراء حار لمن به سعال ، وإذا أكل على الريق
هون القيء وإذا أحرقت قشره وسحق مع شراب وزيت
ولطخ به رؤوس الصبيان حسن شعورهم وأثبت الشعر في
داء الثعلب ، وداخله إذا أحرقت وخلط به شراب واحتملته
المرأة منع الطمث
[اسحق بن سليمان] والجوزة الخضراء إذا أخذت
عند ما تبقى قدر الحمصة ودقت وخلطت بالعسل واكتحل

بها نفع من غشاوة البصر
[الشريف] وإذا دق قشره الأخضر وألقى معه
خبث الحديد مكسوراً وترك اسبوعاً معه يحرك في كل يوم
ثم خضب به بعد ذلك الشيب سوده وكان منه صبغ
عجيب وإذا دلكت به القوابي والحزازات نفعها
[البصري] والجوز المر بنى جيد لبرد الكبد نشاف
لرطوبة المعدة والله أعلم

وفيه لابي الفرج ابن هندو :
تأمل الجوز في طباقه ترى رواق حسن عليه غير محطوط
كأنه أكر من صندل خرطت فيها بدائع من نقش وتخطيط
وبها الثلج الذي يقيم من العام الى القابل . ويحمل تلج
السلطان الى القاهرة مدة العام وما يستعمل بدمشق الجميع
منها يخزنونه في حواصل معدة له
وقال ابن الجوزي الثلج بارد بالطبع يابس بالعرض
وفيه خلط يولد سوداء في الكبد جيده ما كان من ماء
عذب يجمد بجود الهضم لكنه يهيج السعال ويلين المفاصل

وبشنج ويضر المصعب لانه يحقن البخارات الحارة فيها
ويمنعها من التحلل ويضر المعدة خصوصاً التي يتولد فيها
اخلاط باردة دفع مضرته شربه قليلاً قليلاً وهو صالح
للامزجة الحارة وهو يطلق البطن أولاً ثم يعقل واذا كانت
المياه الثلجية والجليدة في آجام كانت رديئة ثقيلة وهي تولد
البلغم في الشتاء والمرارة في الصيف وتورث شاربها الطحلة
وحشو الاحشاء وربما وقعوا في الاستسقاء وتضعف
اكبادهم وتولد فيهم الجنون والبواسير ويعسر على نسائهم
الحبل والولادة ويلدن اجنة متورمين. والثليج رديء
للمشايع وماء الثليج يسكن وجع الاسنان الحار والله اعلم
ومن لطائف ابن عباد قوله :

اقبل الثلج فانبسط للسرور وبشرب الصغير بعد الكبير
فكان السماء صاهرت الارض وصار النثار من كافور

واخذه بلاقافية احمد بن علي العلوي فقال :

هواك من الدنيا نصيبي وانني

اليك لمشتاق كجفني الى الغمض

فزرنى وبادر يوم ثليج كأنه
شمائم كافور نثرن على الارض
ومن محاسن قول أبي الفتح البستي :

قد نظمنا السرور في عقدانس وجعلنا الزمان للهو ساسكا
وشربنا المدام في يوم ثليج عزل النوى فيه رشداً ونسكا
فكان السماء تنخل كافوراً علينا ونحن نقمق مسكا
اخذه ظافر الحداد فقال :

ويوم ضاحك يسكي ضعيف معاقد السلك
اذوب يبرده برداً كمبسم من حوى ملكي
كان الريح تنثره على الارضين في وشك
تغربل من خلال الند كافورا على مسك

وينبت في الثليج الرياس قال ابن الجوزي بارد يابس
مسكن للحرارة وقامع للصفراء نافع للاسهال يقوى المعدة
والكبد الحارنين وهو شبيه باضلاع السلق وفيه خشونة
وطعمه حلو يعطي حموضة بعفوضة ولا يطلع الا في الثلج
والله اعلم

وفيه يقول أبو علي العثماني النيسابوري :
انظر الى الرياس تنظر منه أعجب منظر
كسواعد يبيض بدت من كم شعر أحمر
وينبت في جبال الثلج أيضا اميرباريس . قال ابن
البيطار هو البرباريس وبالفارسية الزرشك . ومنه اندلسي
ورومي وشامي ، وأحسنه الشامي [يجلب من جبل يروت
وجبل بعلبك وهو أجود من الرومي عند باعة العطر بمصر
والشام]

[الفلاحة] وهو شجرة خشنة النبات خضراء تضرب
الى السواد تحمل حباً صفاراً بنفسجية

قال ابن ماسة بارد يابس في الثانية يقوى الكبد
والامعاء وفيه قوة قابضة مانعة

[ماسرجويه] يمنع من الاورام الحارة اذا وضع عليها
[الرازي] هو قاطع للعطش جيد للمعدة والكبد
الملتهبين ويقمع الصفراء جداً

قال الرازي ^(١) حبه يجفف قروح الامعاء ويقطع نزف
الدم الاسفل ، ولا سيما الذي يجلب من جبلي يروت
وبعلبك . انتهى

وينبت بهذا الجبل السنوبر : قال ابن الجوزي حار
في الثانية يابس في الثالثة حبه ينفع من الصداع البالغى ،
افراط استعماله مضدع دفع مضرته بالشاه صيني أو الصندل ،
والغرغرة بطبيخ قشره يجلب بلغمًا كثيرًا . انتهى
وفيه يقول الشريف الرضي :

حب السنوبر اذ أتا لك غنيت من كل البشر
نقل لعمرى مشتهى ما انت يدوم له خبر
يحكي لنا صدفاً أتت في باطن منها الدرر
ومن اغراض ابن المعتز قوله :

سنوبر ظلت به مولعاً لانه أطيب موجود
كانه الكافور في لونه يحويه اذ لاح من العود

(١) نقله ابن البيطار عن كتاب (التجربتين) ولم يذكر جملة
« ولا سيما ... الخ »

وَمَّ أشياء لا تنبت الا في الاراضي الحارة كالفلقاس
فانه يطلع بارض قرية الغور من اعمال دمشق ولا ينبت في
غيرها من أرض الشام

قال ابن البيطار ينبت على المياه في الاراضي الحارة
وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز الا أنه ليس بطوله
وهو مجفف يشبه ورق القرع ولكل ورقة من ورقه
قضيبي منفرد غليظ الاصبع ونبات القضيب من الاصل
الذي من الارض وليس لهذا النبات ساق ولا ثمر واصله
شبيه بالاترج إلا أن ظاهره مائل الى الحمرة وداخله أبيض
كثيف مكتنز مشاكل للموز وطعمه فيه قبض مع حرافة
قوية تدل على حرارته ويابس وهو يابس في الاولى اذا سلق
بالماء زالت حرافته جملة واكتسب مع ما فيه من القبض
اليسير لزوجة مغرية كانت بالقوة الا ان حرافته كانت
تحفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الانهضام
ثقيلا في المعدة لكثافة جسمه ولزوجته الا انه لما فيه من
القبض والعفوصة صارت فيه قوة مقوية للمعدة معينة على

حبس البطن اذا أخذ مقدار منه لا يثقل على المعدة فيحمله
ضرورة لثقله وبعد انهضامه ولما فيه من اللزوجة والتغرية
صار نافعا [من سحوج الامعاء] ويزيد في الباه ويسمن
وادمانه يولد السوداء والله أعلم

ومنها الموز . قال ابن الاثير في عجائب الموز يسمى قاتل
ابيه لان شجرته لا تثمر الا مرة في السنة ثم تموت ولا
يحمل الا أصل الواحد الا قنواً واحداً ثم يموت ، وتختلفها
اخرى من اصلها ويكون في القنو من خمسين موزة الى
خمسائة ومن حين نشوئها الى حين إثمارها شهران . ويقال
ان فيه برىا وبستانيا والبرى يسمى الطلح ، واكثر ما يوجد
في الجزائر . وورقها طوله ثلاث أذرع وعرضه ذراعان .
وأجود الموز السكبار البالغ وثمرته حارة رطبة تنفع حرقة
الصدر والحلق وتنفع المثانة وتدر البول وتلين الطبع لكنه
ثقيل على المعدة والاكثر منه يولد السدد ويزيد في الصفراء
والبلغم وأكله بعد الطعام يمنع بخار المعدة الى ان يرتقي
الى الرأس

وقال ابن الجوزي جيده السكبار الحلو ينفع من خشونة الصدر والرئة وقروح السكيتين ويضر المعدة . دفع مضرته بالسكر ويتولد عنه دم بلغمي والله أعلم وفيه يقول الخوارزمي :

يامن أتى البستان يقصد نزهة انظر لصنع الله فيما يخلق
الموز شبه عساكر مصفوفة من فوقها رايات خضر تخفق
وفيه يقول مؤلفه البدري :

انظر الى الموز الذي حالا وصفا اذ مر بي
سبائكاً من فضة قد موهت بالذهب

ومنها القصب . قال ابو حنيفة : القصب أنواع فمنه أبيض وأصفر وأسود والأسود لا يعصر وهو يغلف حتى لا يحيط به السكبان وإنما يعتصر الأبيض والأصفر ويقال لعصارتها غسل القصب واجوده ما يجاء به من أرض الزنج فهو أصفر مثل الأترج . والقند ما يجمد من عصير قصب السكر ثم يتخذ منه السكر ويقال لما جعل فيه القند من السويق وغيره مقنود ومقند كما يقال معسول ومعسل

وقال أبو العبر^(١) قصب السكر لطيف ملائم للبدن نافع من الخشونة التي تعرض في الصدر والرئة والحلق ويحلو الرطوبة اللطيفة المتولدة فيها ويدبر البول ويولد نفخاً ولا سيما اذا أخذ بعد الطعام

وقصب السكر مابن للطبيعة واستعماله تهيج القيء صالح اذا شرب على أثره ماء فاتر وتهوع بريشة طويلة قد غمست في السيرج

وقال المنصوري حار باعتدال يدر البول ويذهب بالحرق الكائنة عند خروجه وينفع من السعال

[اسحق بن عمران] يقطع الالتهاب العارض في المعدة برطوبته ولطافته وينقي المثانة

وقال ابن الجوزي : القصب أشد تلييناً من السكر لكنه يولد رياحاً دفعها ان يقشر ويغسل بماء حار

وقال عفان بن مسلم المحدث : من مص القصب السكر بعد طعامه لم يزل يومه اجمع في سرور والله تعالى

(١) في مفردات ابن البيطار : (الدمشقي)

أعلم . انتهى

وفيه يقول خليل ^(١) بن الفرس رحمه الله :

سبحان من أنبت في أرضه ما بين شوك وجلا فيها
انبوبة مملوءة سكرًا قد كان ماء وحلا فيها
وكتب مؤلفه البدرى يستدعي بعض الاخوان

في شهر رمضان الى غيط قصب :

في قصب السكر لي ذوق سريع ما اقتضب
شبهته بأهيف قد رق عشقا وانتصب
واصفر جسمه لذا أرخى له خضر العذب
فقم لوصل قطعه واسع له اخا الأرب
في الصوم قبل العصران ذا لأعجب العجب
قلت : واما محاسن الشام فانها لا تحصى ، وغوطتها
الجامعة للمحاسن لا تستقصى . وقد جاء في الاخبار عن
كعب الاحبار رضي الله عنه « غوطة دمشق بستان الله في
أرضه »

(١) في نسخة دار الكتب المصرية (احمد)

وعن ابي امامة رضي الله عنه ان النبي ﷺ تلا هذه
الآية « وأوينها الى ربوة ذات قرار ومعين » قال « هل
تدرون اين هي » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال « هي في
الشام بارض يقال لها الغوطة مدينه يقال لها دمشق هي
خير مدائن الشام »

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
بلفظ « قال هي دمشق »

قال الذهبي : وأجمع سواح الارض والاقطار على ان
متنزهات الدنيا أربعة وهي (صغد سمرقند) و (شعب
بوان) و (نهر الأبله) و (غوطة دمشق)

قال أبو بكر الخوارزمي في رحلته : رأيتها كلها فكان
فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربعة على
غيرهن ، كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه
الارض

وما أحسن قول الشيخ علاء الدين علي بن المشرف
المارداني وقد أنشدني شقيقه ركن الدين محمد عند قدوم

اخيه الى دمشق المحروسة في سنة احدى وعشرين وثمانمائة :
ليس في الحسن للشام نظير لا يغرنك بالبلاد الغرور
كل ما تشتهي نفسك فيها وبها البشر والهناء والسرور
قلت للركب مذاً نحنا عليها وتراءت ولدانها والخور
هذه الجنة ادخلوا بسلام بلد طيب ورب غفور
وقال الشيخ عبد الله الارموي رحمه الله « دمشق من
أي جهة أقبلت عليها تجد لها حلة بيضاء طرازها أخضر »
وقال الشهاب محمود من رسالة « وأما دمشق فكانها
وجه الحبيب ، وقد دار به العذار الاخضر الرطيب »
وقال الشيخ (عبد الولي الحضرمي) رحمه الله :
« سحت البلاد ورأيت ما بها من الاعاجيب ، فلم انظر
كصفد سمرقند ، وهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى
مشتبكة العمار مقدار اثني عشر فرسخا في مثلها ، وهي في
وسط مملكة ما وراء النهر . ورايت شعب بوان وهي
بقعة مذكورة بنيسابور ^(١) طولها فرسخان وقد التحفتها

الاشجار ، وجاست خلالها الانهار . وهذا الشعب لبوان بن
ايوح ابن افريدون ، وفيه يقول أبو الطيب المتنبّي من قصيدة
تشمّل على وصفه :
يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم سنّ المعاصي وعامكم مفارقة الجنان
ومردت بنهر الأبلّة وهي من أعمال البصرة طوله
أربعة فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد
مد على خط الاستواء نخله كأنه غرس في يوم واحد .
ودخلت الى دمشق وتنزهت في غوطتها أجدها أحسن من
الثلاث وأكثرها خيراً طولها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة
عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع
على أرضها لغزارة أشجارها واكتناف أغصانها »
وقال الميديمي في كتابه (لطائف الاعاجيب) كان
بغوطة دمشق اشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه
كالمشمش ، والخواخ ، والتفاح ، والكثيرى . وبها ما يحمل
الثلاث واقلمن اللونان من الفاكهة . قلت وهذا موجود

الى يومنا هذا فاني رأيت بها الكرم الواحدة تطرح
العنب الابيض والاسود والاحمر ورأيت بوادي النيريين
شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود

وهذا من صنعة الفلاحة يسمى التطعيم وهو ان
يأخذ قطعة خشب من التفاح ويشق ساق شجرة كمثرى
تكون بساقين وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين
المشقوقه وتشدها بخرقه وتسقيها وتعاهدها الى أن تلحم
بها ويخرج الورق الجديد ثم تثمر

رجع الى بقية كلام الميدومي . قال : وكان غرس
الاشجار في بعض البساتين كالسطور التي تقرأ . انتهى
والله اعلم

ونقلت من شرح الشريشي ما نقله عن شيخه ابن
جبير قال : دمشق هي خير المشرق ، ومطلع حسنه المؤنق
وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في
حلل سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن
مكان مكين ، وتجلت في منصتها بأجمل تزئين . وتشرفت

بان ادنى الله المسيح وامه الى ربوة ذات قرار ومعين .
ظل ظليل ، وماء سلسبيل ، ورياض تحي النفوس بنسيمها
العليل ، وتبرج لناظرها بجنتي صقيل ، وتناديهم هاموا
الى مغرس للحسن ومقيل . قد سمئت ارضها من كثرة الماء ،
حتى اشتاقت الى الظماء . فتكاد تناديك بها الصم الصلاب :
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . قد أهدقت
البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، واكتنفها اكتناف
الكمامة للزهر . وامتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد
البصر . ولقد صدق القائلون « ان كانت الجنة في الارض
فدمشق لاشك فيها ، وان كانت في [السماء] فهي بحيث
تسامتها وتساميتها »

وقال البحري فيها :

إذا أردت ملأت الطرف من بلد

مستحسن وزمان يشبه البلدا

يمشي السحاب على أجيالها فرقا

ويصبح النبات في صحرائها بددا

فلست تبصر الا واكفا خضلا
 ويانعا خضرا أو طائرا غردا
 كأنما القيظ ولّى بعد جيئته
 أو الربيع دنا من بعد ما بعدا
 وقال ابن سعيد الموصلي :
 سقى دمشق واياها مضت فيها
 مواطر السحب ساريها وغاديا
 ولا يزال جنين النبت ترضعه
 حوامل المزن في احشا اراضيها
 ومن محاسن الشام ما يصنع فيها من القماش والنسيج
 على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه . ومنها عمل القماش
 الاطلس بكل اجناسه وانواعه . ومنها عمل القماش الهرمزي
 على اختلاف اشكاله وتباين اوصاله . ومنها عمل القماش
 الابيض القطني المصقول لحياء القصور ، واموات القبور .
 وبها أيضا عمل القماش السابوري بجميع الوانه وحسن لمعانه

وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب
 والمجروح والمرفوع ، والممدود والمرصوع . وفيها تعمل
 صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقي اوصاله . وفيها تعمل
 صناعة القرصية ودباغاتها المرضية . وفيها تعمل صناعة الزموط
 والاقباغ وتحمل لسائر البلاد والضياع . وفيها صناعة الحرير
 بالقتل والدواليب والسرير . وفيها تعمل صناعة السلاح ،
 بما فيها من الاعاجيب والاقتراح . وفيها تعمل صناعة الموشى
 والمدهون بما تختار فيه النواظر والعيون . وفيها تعمل صناعة
 النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر
 الناس . وفيها صناعة الواح الصقال ودهن الواح صغار
 الكتاب ، وجفان القصع وتفصيل القبقاب
 واذكرني هنا قول ابن هاني الاندلسي على لسان
 القبقاب واجاد ثم أفاد :

كنت غصنا بين الانام رطيبا
 مأس العطف من غناء الحمام

صرت أحكى رءوس اعدائك في الذل

برغم اداس بالاقدام

رجع . وغالب ما ذكرناه من هذه الصنائع تتبدل عليه أيادي الصنائع من الواحد بعد الواحد الى أن ينيف على عشرة صنائع حتى تتم

واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتهما ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثه من الحكماء والعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة للصنائع هكذا نقله ابن جماعة في شرحه على نقول العيد ، انتهى

ومن محاسن الشام ما يحمل منها الى الديار المصرية عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها : قصب ذهب ، قبع ، قرصية ، قرطاس ، قوس ، قبقاب ، قراضيا ، قر الدين من المشمش ، قريشة ، قنب

وكننت في هذا المحل اكتب واذا بشخص خليع يغلب عليه الخبال والدخل يتردد الي من أهل مصر

العتيقة يقال له تعاير جاء الي وقال عبر لي هذا المنام رأيت الليلة في النوم رجلا جليلاً من أهل الشام أعطاني قصعة بها آثار قطن فيه بعض قضاة مربوطة بخيط قنب . فأردت ان ادخل عليه سروراً قلت له : يا تعاير من مناسبة الخبال القضاة وهي ذهب وفضة في وعاء مشدود معقود تناله من بعض رؤساء الشاميين . فسر بذلك وفارقني فأخذت أتعجب من الاتفاق وذكر هذه الاربعة قافات المجلوبة من الشام الى القاهرة وفيما انا في مثل هذا السياق اذا أنا به في اليوم الثاني جاءني وهو يضحك فقلت ما بالك وما خبرك . قال : فارقتك فأخذت لي قطعة قنب ورطب وجلست آكلهم برغيف في عقبة قدام المقياس واذا برئيس شامي في خدمته عبيد وغلمان نزل الى تلك العقبة وقال للنوتي اطلع بنا المقياس لنزوره وزورنا الآثار وقال لغلمانه لا قونا بالخیل الى الآثار فنهروني بعض العبيد وقال ما تخرج . فقال له سميده دعه يؤانسنا . وسألني عن اسمي فقلت له الناس يسموني تعاير وانما اسمي ابو الخير . فتهلل وجهه وقال :

هذا المكان ما اسمه فاقول له كيت وكيت وهذا يعرف
بكذا الى ان توجهنا الى درج الآثار وأراد الطلوع واذا
بمنديل سقط منه في المركب فبادرت لمناولته اياه فقال لي
اعط منه للنوتي ديناراً وخذه لك بما فيه فقبلت يده وقال
لي ما تروح معنا قلت له مرسومك هذا النوتي ابن حارقي
وارجع معه فقال ادع لنا. وتركته وأنا لا اصدق من الفرح
فقلت لبعض غامانه ايش يقال لهذا الرئيس بين الشاميين
قال هذا القاضي بدر الدين بن المزلق فدعوت له وانصرفت
أجد بالمنديل خمسة دنانير ذهباً وسبعين نصفاً فدفعت
لنوتي ديناراً وجئت لا تشكر منك على تعبير المنام واخبرك
بتفسيره فقلت له هذا أعجب من الاول. انتهى

وغالب ما عددها واوردها من محاسن الشام انفردت به
دون غيرها ويحمل منها لغالب البلاد لكثرة خيرها ومن
اعاجيبها ان خيرها في الغالب لغير بنيتها حتى انه ينسى الاهل
والاوطان ولو فارقها لعاد اليها على طول الزمان
وقال القاضي الفاضل :

يقولون لي ماذا رأيت بشامهم
فقلت لهم كل المكارم والفضل
فبلدتهم خير البلاد واهلها
باحسانهم تغني الغريب عن الاهل
وقال ابن سعيد :

في جلق نزلوا حيث النعيم غدا
مطولا وهو في الآفاق مختصر
فالقضب راقصة والطير صادحة
والنسر مرتفع والماء منحدر
لكل واد به موسى يفجره
وكل روض على حافته الخضر

وقال ابراهيم بن عبد الله الانصاري متشوقاً اليها :
رعى الله اياما تمضت بخلق
لقلي عليها أنة وتوجع
رحلت وابراد الشباب قشيبة
وعدت واسمال المشيب ترقع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي
يتشوق اليها :

ادمشق لا بعدت ديارك عن فتى
ابدا اليك بكله يتشوق
اشتاق منك منازل لم انسها
انى وقلبي في ربوعك موثق
انى اتجهت رأيت دوحا ماؤه
متسلسل يعاو عليه جوسق
والريح تكتب والجدول اسطر
خط له نسخ الغمام محقق
ومعاطف الاغصان هزتها الربا
طربا فذاك نما وهذا موق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى

فيكاد ساكت كل شيء ينطق
ومن محاسن الشام ان كل نزهة ذكرناها لها أو ان
يتفرج أهل البلد فيه وزمان يتعاهدونها به ويرجعون اليه

ويعجبني قول ابن فائد البحراني :
برزت دمشق لزارى أوطانها
من كل ناحية بوجه ازهر
لو أن انسانا تمم أن يرى
مغنى خلا من نزهة لم يقدر
ومن لطائفه قوله في الذهبيات وقد عاد اليها في
الخريف :

صبغت بلون ثمارها أوراقها
فتكاد تحسب انهن ثمار
لو كان مكتوبا عليها يوسف
شهد الصيارف أنها دينار
ومن محاسن ابن ديار قوله في الذهبيات :

انظر الى ذهبيات الغصون وقم
الى المدام وواصلها الى العنق
أما ترى النهر بالتصفيق أطربها
فنقطته دنائراً من الورق

ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :
 اتانا الخريف نديى فقم نجدد بالراح عيشاً ذهب
 اذا ما جلونا عروس الطلا على الغصن نقطها بالذهب
 ومن المعاني التي افتضها الرغادى :

يا ورقاً بالخريف يحكي على النحور المسلسلات
 شبه الدنانير صفقوها على سيوف مسلسلات

ونقلت من خط بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي :

لاتخش يا محبوب من فاقتي

فعن قريب ذهبي يأتي

فاذهب لفضيات ذا بالطلا

واستجلبها في الذهبيات

ونقلت من خط المرحوم شيخ الاسلام شهاب الدين

ابن حجر :

قد قال زهر الروض من ذا الذي

فضل فضل الذهبيات

ما ذهبي يذهب من حجلة
 مودعا بل ذهبي يأتي
 ويعجبني قول المعوج الشامي وتلطف بقوله :
 تأمل ترأ أرض الخريف علية
 من البرد حتى عادها وابل القطر

وعالجها فصل الربيع فعوفيت
 فنقطها الازهار بالبيض والصففر

ومن محاسن الشام صيفيتها وانها معلنة بحياة الازهار
 ونحو الاثمار . ولهذا قال الحافظ اليعموري :

واستنشقوا لهو الربيع فانه

نعم الصديق وعنده الطاف

يغذى الجسوم نسيمه فكانه

روح حواها جوهر شفاف

ويعجبني قول ابن قرناص فيه :

بعث الربيع رسالة بقدومه

للروض فهو بقربه فرحان

ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه
مضمونها مالت به الاغصان
وشتويتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار، وتغسيلها
بعد التجريد بالامطار. ولهذا قال الحافظ اليعموري:
خذ في التدفي بالخريف فانه
مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجساد جري حياتها
كصديقها ومن الصديق يخاف
ومن الدر النظيم قول ابن تيمم:
يا شهر كانون من حب الغصون امتاً
الارض وجداً وأبكيت السما حزناً
والمزن غسلها من فيض أدمعه
والتلج حاك لها من نسجه كفنا
لكن يعتدون للشتاء بالاسمان والادهان ويمنون البيوت
بالحبوبات، ولحم القديد والمعسولات. والفاكهة المعلقة،
والحلاوات المؤنقة. ويكنون في الاماكن المبخرات

ولا يخرجون منها. فانها بلدة كثيرة المحاسن، وماؤها غير
أسن. وهي مباركة وفيها البركة وعيشها رغد في السكون
والحركة. ولكن استقرى من كان مولده فيها لم يزل في
قبض، ما دام بها الا أن ينزل الى تحت الارض. ويقال
أنه لا يوجد بها اثنان من أهلها على قلب واحد متصافيان
ويقال ان من قصدها بسوء ونواه اكبه الله تعالى
فيه وأعثره. ولما قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهم دمشق وحاصر أهلها فلما دخلها وهدم
سورها وقع منه حجر كان عليه مكتوب باليونانية فارسل
خاف بعض الرهبان فطبعه وقرأه فاذا عليه مكتوب:
ويك ام الجبارة من رماك بسوء قصمه الله. ويك من
الخمس الاعين، نقض سورك على يديه بعد الف سنة.
فوجدوا الخمس الاعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن
عباس بن عبد المطلب
فهي بلدة كثيرة البركات غزيرة الخيرات، نعم بلدة
الانبياء، وموطن الاصفياء والاولياء. وبها صحابة من

الاجلاء ومقابرها حوت امثال الفضلاء

ومنها جبانة باب الصغير بها بلال الحبشي رضي الله عنه وبها السيدة سكيمة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وبها السيدة زينب بنت الامام علي رضي الله عنهما وبها معاوية رضي الله عنه ، وبها اويس القرني رضي الله عنه ، وبها أبو عبيدة بن الجراح على ما قيل خارج الجامع المعروف به (١)

(١) زاد ابن الحوراني في كتابه (الاشارات الى اماكن الزيارات) أن من الصحابة المدفونين في (الباب الصغير) : اوس ابن اوس الثقفي الصحابي من أهل الصفة ، ذكره النووي في (تهذيب الاسماء)

وأبا الدرداء وعمر الخزرجي الصحابي ، ولي قضاء دمشق لعمر . وزوجته أم الدرداء الصغرى مدفونة بقربه

ووائلته بن الاسقع من أهل الصفة ، خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين

وفضالة بن عبيد ، ولي قضاء دمشق لمعاوية ودفن عند ابي الدرداء . وحمل معاوية نعشه وقال لابنه « اغني فاني لا أحمل بعده مثله »

ويليها مقبرة محلة القروانة وبها جماعة من الاجلاء والفضلاء

وسهل بن الربيع الاوسي الصحابي ويسرة بن فاتك الاسدي أخا خزيم بن فاتك ، وهو الذي قسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها

وشمعون بن ختانة ابا ريجان الاسدي الانصاري

ومكحولاً مولى سعيد بن العاص ، سمع من انس ووائلته

وتقل ابن الحوراني عن الهروي في (الزيارات) أن في (مسجد النارنج) بباب الصغير ثلاثاً من أزواج النبي صلى الله

عليه وسلم ، وفضة جارية فاطمة ، وقبر سهل بن الحنظلية ، وقبر

أم الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق ، وقبر علي بن عبد الله

ابن العباس ، وقبر ابنه سليمان ، وقبر زوجته أم الحسن بنت جعفر

ابن الحسن بن الحسين . وبمقبرة باب الصغير أيضاً قبر خديجة

بنت زين العابدين ، هؤلاء في تربة واحدة . وقبر سكيمة بنت

الحسين . وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وبها قبور كثير من الاولياء والصالحين لم يعلموا ، لما قيل

من أن مقبرة باب الصغير حرثت وزرعت بعد مائة سنة ، فلذلك

لا تعرف القبور

ومنها جبانة باب شرقي بها أبي بن كعب رضي الله عنه ، وبها جبل بن معاذ رضي الله عنه ، وبها ضرار بن الازور رضي الله عنه في حارة السادة القدماء عفا الله تعالى عنهم

ونقل عن الحافظ ابن طولون في (بهجة الانام) أن قبر معاوية الكبير في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة (الخضراء) ، وهو الذي تسميه العامة (قبر هود) . أما الذي في الباب الصغير فهو قبر أبي ليلى معاوية الثاني ابن يزيد وذكر صاحب (مثير الغرام) أن (الوليد بن عبد الملك) - الذي بنى مسجد دمشق ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة الصخرة المقدسة في بيت المقدس - دفن سنة ٩٦ بمقبرة باب الصغير شمالي قبر معاوية بنحو عشرين ذراعا وقبره ظاهر معروف يزار

وفي الباب الصغير من العلماء الشيخ حماد وهو من القدماء . ومنصور بن عماد بن كثير السلمي . وعمر بن الحسن الخرقني من تابعي أصحاب أحمد بن حنبل وهو مؤلف «المقنع» . وأبو الفتح نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسي النابلسي شيخ الشافعية بالشام وقد

وتليها مقبرة الشيخ رسلان أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وعنده جماعة من الامائل والاجلاء الافاضل^(١)

اجتمع به الغزالي واستفاد منه . وأبو البيان محمد بن محفوظ القرشي شيخ الطائفة البيانية ويعرف بابن الحوراني . قال ابن كثير له تاليف كثيرة وكان هو والشيخ رسلان أولاً مجاورين في المسجد الذي في رأس درب الحجر في اواخر السوق الكبير قريبا من الباب الشرقي . والحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) دفن شرقي مدفن معاوية . وتاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري المعروف بابن الفركاح تلميذ ابن الصلاح والسخاوي وابن عبد السلام . وبدر الدين ابن مالك . وأبو الربيع سليمان ابن بلال الجعفري الهاشمي تلميذ الفزاري والنووي . وابن هشام وابن رجب . وابن قيم الجوزية . وابراهيم الناجي . وأبو العباس أحمد الميني

(١) قال (ابن الحوراني) الشيخ ارسلان الدمشقي ابن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري . مدفون مع شيخه ابي عامر المؤدب ، توفي بعد الاربعين والخمسةائة

وخارج باب توما شرحبيل كاتب وحي رسول الله
والسيدة خولة [بنت الازور] رضي الله عنها

وجبانة بيت لها بها سادة وأعيان وصالحون لهم قدر
وشان

وليها مقابر باب الفراديس بها أبو الدحدح [الصحابي]
رضي الله عنه ، وبها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما ^(١)

ومقبرة سويقة صاروجا بها صالحون من أجل
المسلمين

ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء أئمة الدين

(١) قال (ابن الحوراني) : وفي مقبرة باب الفراديس مشهد
الخصر ، وعنده قبر محمد بن عبد الله بن الحسن المقدسي ثم الدمشقي
المعروف بأبي شامة وكان له شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر
توفي سنة ٦٦٥

وفي مسجد الاقصاب سوق حجر بن عدي الصحابي
وأصحابه

وصالحى المسلمين كابن الصلاح وابن تيمية وابن المبارك
وغيرهم ^(١)

وليها مقبرة القنوات وباب السريجة وبها علماء الامة

(١) مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى
دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربي دمشق . قال
ابن الحوراني : ومن دفن فيها (قطب الدين أبو المعالي مسعود
ابن محمد بن مسعود) انفرد في دمشق برئاسة الشافعية توفي في
رمضان سنة ٥٧٨

ومنهم (الفخر ابن عساكر) توفي سنة ٦٢٠ ودفن مقابل
قبر (ابن الصلاح) المتوفى سنة ٦٤٣

ومنهم (عبد الرحمن بن نوح) من أشياخ النووي وكان
مفتي دمشق في وقته توفي سنة ٦٥٤

ومنهم (عماد الدين بن كثير البصري القرشي) توفي سنة
٧٧٤ ودفن عند شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة
٧٢٨

ومنهم (ابراهيم بن سليمان الحموي) له شرح الجامع الكبير
في ست مجلدات وشرح المنظومة في مجلدين

ومنهم (ابراهيم بن عبد الرزاق الحنفي) شارح القدوري
توفي سنة ٨٠٧

واهل الرحمة. آخر من دفن بها شيخنا المرحوم العلامة
 محب الدين البصروي الشافعي رحمه الله
 ومنها جبانة الحجرية^(١) وبها المرحومون من الاولياء
 والصالحين

ومنها مقابر محلة السيدة عائشة رضي الله عنها ويقال
 ان في ظاهرها ضريح المسالك لركاب النبي ﷺ رضي الله عنه
 ومنها جبانة محلة القبيبات وبها العلماء العاملون
 والمجاذيب والصالحون كالسيد الشريف الشيخ الزاهد العالم
 تقى الدين أبي بكر الحصني الشافعي امدنا الله بمدده. وهذه
 جملة المقابر التي في المدينة الخارجة عن مقابر الصالحية
 والقابونين وغير ذلك

وتم صحابة في قرى الضواحي رضي الله عنهم كسعد

(١) قال ابن الحوراني هي بمحلة الشويكة وممن دفن فيها
 أحمد بن بدر الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٣٤، ومحمد بن الحر
 الحنفي توفي ٧٨٩

ابن عبادة رضي الله عنه بارض المنيحة^(١) وتيمم الداري رضي
 الله عنه بقرية تيمم التي سميت به وابو الدرداء رضي الله عنه
 فانه داخل قلعة دمشق والسيدة زينب الكبرى بنت
 الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهي اخت
 أم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه وكانتا مع
 اخيهما الحسين لما قتل وقدمتا الشام وهاتان والحسن
 والحسين ومحسن الذي مات صغيراً أولاد الامام علي من
 فاطمة رضي الله عنهما ثم تزوج بعد موت فاطمة وتسرى
 فجاء بنون وبنات ومن جملة البنات زينب الصغرى وأم

(١) نقل ابن الحوراني عن النووي في (تهذيب الاسماء)
 قال: سعد بن عبادة الصاحب الانصاري الخزرجي الساعدي
 كان نقيب بني ساعدة وصاحب الانصار في المشاهد كلها، قال
 فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «انه من بيت جود» شهد
 العقبة وبدرًا والمشاهد، توفي سنة ١٦ واتفقوا على أنه كان
 بحوران ومات بها، قال الحافظ ابن عساكر وغيره: هذا القبر
 المشهور في المنيحة يقال انه قبر سعد بن عبادة فيحتمل أنه نقل
 من حوران اليها

كاشوم الصغرى، هكذا ذكره شيخنا الحافظ برهان الدين الناجي رحمه الله تعالى ورضي عنه. وقال الشيخ العارف أبو بكر الموصلي رحمه الله تعالى في كتابه (فتوح الرحمن) توفيت السيدة زينب الكبرى بنت علي رضي الله عنهما بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها ودفنت في قرية من ضواحي دمشق اسمها راوية ثم سميت البلدة بها فالآن يقال للبلدة الست ولا تعرف إلا بقبر الست رضي الله عنهما قال: وكنت ازورها في أول أحد من العام، ومعى جماعة من أصحابي الفقراء، ولاندخل إلى قبرها بل نستقبله ونغض ابصارنا، لما قرره علماءنا في أن الزائر للميت يعامله بما لو كان حيا من الاحترام، فبينما أنا في البكاء والخشوع والحضور وكأني بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لا يقدر الانسان ان يملأ نظره منها احتراما فاطرقت فقالت: يا بني زادك الله ادبا لم تعلم ان جدي رسول الله ﷺ واصحابه كانوا يزودون أم أيمن^(١) لكونها

(١) قال الزبيدي في التاج: أم أيمن امرأة أعتقها صلى الله

امراة محترمة وبشر الامة أن جدي محمداً ﷺ وجميع اصحابه وذريته يحبون هذه الامة، الا من خرج عن الطريق فانهم يبغضونه. فلحقني ازعاج من كلامها غيبتني فاما عدت الى الحس لم أجدها فواظبت على زيارتها الى يومنا هذا انتهى وبالقريّة المذكورة ضريح السيد الجليل مدرك [الفزاري الصحابي] اعاد الله علينا وعلى المسامين من بركاته وهذا الذي وصل اليه من معرفة من بدمشق من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين. وثم فيها من الانبياء والصحابة والاولياء والصالحين غير ما ذكرناه لكن لتوالى المحن واندراس العلم والمعاهد والدمن وباتقراض الخبر انقطع الخبر فلا عين ولا اثر

فان الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى قال في شرح [سنن] أبي داود الشام من العريش الى بالس وقيل الى الفرات وقال ابن السمعاني هي بلاد بين الجزيرة والغور الى الساحل ويجوز فيها التذكير والتأنيث والهمز وتركه وأما عليه وسلم وهي حاضنة أولاده فزوجها من زيد فولدت له أسامة

شأن بفتح الهمزة والمد فاباه أكثرهم الا في النسب انتهى
والله أعلم

فعلى هذا انظر ما في بلاد الشام من الانبياء والصحابة
والصالحين قال الحافظ العراقي « دمشق بلاد الانبياء
وموطن الاصفياء من الصحابة والتابعين والاولياء »
وبسندي الى النبي ﷺ انه اخبر انه زويت له مشارق
الارض ومغارها وقال سيبلغ ملك امتي مازوى الى وانهم
سيفتحون مصر وهي ارض يذكر فيها القيراط وان عيسى
ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق . انتهى

واما فضائل الشام فكثيرة ومحاسنها جمة غزيرة ،
وبركاتها مشهورة واخبار خيراتها مأثورة . ولهذا أطلقنا
عنان القلم في غيضاتها وروضاتها وقطوفها الدانية للمتفكر في
متنزهاتها ، وهيمنا الى الدور في تسلسل انهارها ونبينا
الاحداق في حدائق ازهارها

وقد ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء

والمشايخ والصالحين والعلماء العاملين وذكر المقابر ، فان كل
انسان اليها صائر . ونحبس عنان جواد القلم في ميادين
طرسه ، فان من دخل الى المقابر انقطعت اخباره بتواريه
في رسمه

والله تعالى اسأل ان يؤنسنا بالقرآن العظيم في
قبورنا وان ينقلنا منها الى الجنان بمحمد شفيعنا ﷺ صلاة
وسلاما يتارج شذاها ملء الاكوان ويفوح ضوعها على
نشر الازهار وطى عرف الريحان ويكون كالنسيم في
دوره بين الرياض والتنسيم فيكون آخر منتهاه اول
مبتداه ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه



فهرس

صفحة

٢	مقدمة الناشر
٤	خطبة المؤلف والحنين الى دمشق
١١	ما ورد من الحديث في الشام
١٣	اشتقاق اسم الشام
١٧	الشام بلد الانبياء
١٨	بناء دمشق
٢٣	بناء قصر ي جيرون والبريد
٢٤	أبواب دمشق
٢٩	الفتح العربي
٣٠	مسجد دمشق وفضله
٣٣	بناء الوليد المسجد
٤١	ما أذن المسجد وبعض ما كان فيه
٤٣	غناء الدولة الاموية
٤٤	وصف ابن حبيب الحلبي مسجد دمشق
٤٥	وصف هذا المسجد شعراً
٤٨	وصف البدر الدماميني دمشق
٥٠	ايات البرهان القيراطي في وصفها

صفحة

٥١	وصف اليعقوبي وابن جبير مسجدها
٥٨	الساعة العربية في دمشق أيام ابن جبير
٦٠	قلعة دمشق
٦٢	حي تحت القلعة
٦٥	بين النهرين في دمشق
١٨٥ و ٦٦	نواعير دمشق
٧٠	الشرقان ، والشقرا والميدان
٧٣	مرجة دمشق
٧٦	محلنا الخللخال والمنبيع
٧٧	متنزه الجبهة
٧٩	متنزه قطية
٨٠	متنزه البهنسية والنيريين
٨٢	ربوة دمشق
٩١	الزبداني
٩٢	أنهار دمشق
١٠٢	حوا كير دمشق ورياحينها
١٠٤	ورد دمشق
١٢١	رجس دمشق
١٣٣	بنفسج دمشق

صفحة

١٣٦	ياسمين دمشق
١٣٨	منشور دمشق
١٤٢	سوسن دمشق
١٤٦	زنبق دمشق
١٤٧	بهار دمشق
١٤٨	اقحوان دمشق
١٥٠	آذريون دمشق
١٥٢	البابونج وزهر الكركيش
١٥٣	الآس
١٥٩	زهر النمام
١٦٠	شقائيق النعمان
١٧٢	النيلوفر
١٧٩	البان
١٨٠	قف وانظر
١٨١	تمر الحنا
١٨٢	الحيلاني
١٨٣	الزرنخت والسرو
١٨٧ و ٢١٢	ارض المزة واللوان
١٨٨	المشمش

صحيفة

١٩٢	القراصية
١٩٥	الكشمري
٢٠١	التفاح
٢٠٦	الدراقن (الخوخ)
٢١٠	الاجاص والبرقوق
٢١٢	زيتون كفر سوسة وسائر دمشق
٢١٤	المزاز وأرض الشويكة : الرمان
٢١٩	داريا
٢٢٠	البطيخ الهندي (الاحمر)
٢٢٣	العنب
٢٣٥	الاوز وزهره
٢٤٨	مرج الشيخ رسلان : الخشخاش
٢٤٩	الوادي التحتاني : السفرجل
٢٥٤	غبيضة السلطان وست الشام
٢٥٥	شرق دمشق
٢٥٦	ضمير وبطيخها الاصفر
٢٦٠	برزة
٢٦١	التين
٢٦٤	القابون

صفحة	
٢٦٥	اختيار والقناء
٢٦٨	بيت لهيا والعنابة
٢٧١	العناب
٢٧٣	اراضي سطرًا ومقرى
٢٧٤	متنزه اليملك
٢٧٥	اهليون
٢٧٨	الطرخون
٢٨٠	الكرونب والقنبيط
٢٨٥	الباذنجان الاحمر
٢٨٧	الكراث
٢٩٠	الجزر
٢٩١	الزعر والفجل
٢٩٢	السذاب
٢٩٣	النعناع والرشاد والبقلة الحقاء
٢٩٤	الاسفناخ والكرفس والسلق
٢٩٥	الهندباء والبصل
٢٩٦	الثوم
٢٩٧	الكسفرة والكراويا والكمون
٢٩٨	القرع

صفحة	
٣٠١	الكفاة
٣٠٣	اللوبياء والارز والباقلاء
٣٠٦	الذرة والدخن والماش
٣٠٧	القرطم والعدس
٣٠٨	السمسم وبزر قطونا والترمس
٣٠٩	الحمص والحلبة
٣١٠	الخس ، أرض الميطور والسيلاق في غرس الشجر
٣١١	مأثرة لسليمان بن عبد الملك في غرس الشجر
٣١٢	البندق
٣١٤	الفستق
٣١٧	متنزه السهم
٣١٨	ارض بضر وبهران ، والكلام على التوت
٣٢٠	الصالحية وتلاعب النظارب وأوقاف المدارس والمساجد
٣٢٢	رخاء دمشق وخيراتها
٣٢٣	البلح والرطب والقصب والطلع والبسر والتمر والنخيل
٣٣٠	الآترج
٣٣٣	الليمون
٣٣٥	النارنج
٣٣٩	جبل قاسيون والكهف

الشيخ والسماق	٣٤٠
الزعزور	٣٤٢
الزيرفون	٣٤٣
الخرنوب	٣٤٤
قرية (منين) والجوز	٣٤٥
الثلج	٣٤٧
الرباس	٣٤٩
أمير باريس	٣٥٠
الصنوبر	٣٥١
القلقاس	٣٥٢
الموز	٣٥٣
قصب السكر	٣٥٤
٣٥٦ و ٣٦٧ عود الى غوطة دمشق وانها جنة الدنيا	
صناعات دمشق	٣٦٢
فضائل دمشق	٣٧٣
المدفونون في دمشق من العظماء	٣٧٤
آخر الكتاب	٣٨٥